

جامعة الجزائر (2)

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ

الحملة الفرنسية على مصر والجزائر 1798/1830م

- دراسة مقارنة -

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر

تخصص العلاقات بين المشرق و المغرب في العصور الحديثة و المعاصرة

إعداد الطالبة:

بليدي خليدة

إشراف الدكتورة:

شتوان نظيرة

السنة الجامعية 2011/ 2012م

جامعة الجزائر (2)

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ

الحملة الفرنسية على مصر والجزائر 1830/1798م

- دراسة مقارنة -

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر

تخصص العلاقات بين المشرق و المغرب في العصور الحديثة و المعاصرة

إعداد الطالبة:

بليدي خليدة

إشراف الدكتورة:

شتوان نظيرة

لجنة المناقشة :

أ.د.بوعزة بوضرساية .... رئيسا

د.نضيرة شتوان .... مقررا

د.عبد الرحمان أولاد سيدي الشيخ.. عضوا

د.محمد دراج .... عضوا

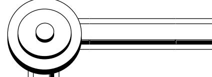
السنة الجامعية 2011/ 2012

الإهداء

إلىمنبع الحنان إلى من تقف دوما إلى جانبي تشجيعا، و مساندة و دعاءا إلى أمي الغالية، و إلى أبي، و كل أخواتي خاصة أختي الصغرى دليلة، و إلى أبنائهن خاصة أبو بكر و صدام عماد الدين ووصال و إلى أخي قويدر، كما لا أنسى جدي و جدتي أطال الله في عمرهما.

الشكــر

أولا الشكر والحمد لله الذي وفقني لإتمام هذه المذكرة، ثم لأستاذي الدكتور بن يوسف تلمساني باعتباره المشرف الأول لهذه المذكرة على كل ما قدمه إلي، و إلى أستاذتي المشرفة الدكتورة نظيرة شتوان على كل ما قدمته من نصائح و توجيهات إلي، و إلى كل من ساعدني أثناء عملية البحث خاصة الأستاذ عبد الله جلوط، و سعادي أحمد و عبد الرزاق و الأستاذ سنوسي بوزيدي، و كل عمال المكتبة الوطنية،و المركزية خاصة السيد بوجمعة و دحمان و الطيب.



قائمـة المختـصـرات

- ب. ط: بدون طبعة
- ب. س: بدون سنة
- ج: الجزء
- ج: الجزائر
- ح: الحامة
- ط: الطبعة
- م: المجلد
- م: ميلادي

- م أ: الملف الأول
- مج: مجموعة
- ص: الصفحة
- ص ص: صفحات
- ع: العلبة
- ق م بم و: قسم المخطوطات بالمكتبة الوطنية
- ه: هجري
- و: الوثيقة


المقدمة

تعرضت إيالة مصر سنة 1798م لاعتداء خارجي من قبل فرنسا، يعتبر الأول من نوعه على الإيالات العربية الخاضعة للسيادة العثمانية، و قد جاء تطلع فرنسا لمصر إثر فشلها في توجيه ضربة لعدوتها التقليدية انجلترا.

كما تطلعت فرنسا لمصر نظرا لموقعها الاستراتيجي الممتاز، و ثرواتها الطبيعية و غير ذلك، و التي تعرف عليها نابليون من خلال كتابات الرحالين، و القناصل الفرنسيين الذين كانوا في كل مرة يؤكدون على حكومتهم على ضرورة الاستيلاء على مصر، و قد أصبحت تلك الدعوة واقعا في القرن الثامن عشر، بدعوى حماية مصالحها التجارية في مصر من ظلم المماليك.

غير أن قيام فرنسا بالحملة على مصر لم ينسيها تطلعها للسيطرة على دول شمال إفريقيا و على رأسهم الجزائر التي كانت ترى الاستيلاء عليها ضرورة لا مفر منها و إنما مسألة أولويات، لدلك عمل نابليون بعد خروجه من مصر إلى إرسال الضابط بوتان(Boutin) إلى الجزائر سنة 1808م، ليضع له مخطط لاحتلالها لكن ظروف فرنسا الداخلية و الخارجية في تلك الفترة حالت دون تحقيق ذلك المشروع في أوانه غير أنه تم الاعتماد عليه بصورة كبيرة أثناء الحملة على الجزائر سنة 1830م، التي قامت بها بدعوى رد الاعتبار لشرف فرنسا المهان من قبل داي الجزائر إثر ضربه لقنصلها دوفال (Deval) في الجزائر.

فالإشكالية المطروحة في هذا الصدد ما طبيعة الحملة الفرنسية على مصر و الجزائر؟

و من خلال هذه الإشكالية يمكن طرح بعضالتساؤلات الفرعية منها: هل الحملة الفرنسية على مصر و الجزائر جاءت لتأديب المماليك في مصر، و الداي حسين في الجزائر و تعود أدراجها أم تحمل فرنسا نوايا أخرى تخفيها وراء ادعاءاتها؟ و ما هي السياسة التي انتهجتها فرنسا بعد نجاح حملتها على مصر و الجزائر؟ و ما هو الموقف العثماني من الحملة الفرنسية على مصر و الجزائر باعتبار أن الأولى من أهم إيالاتها في المشرق و الثانية في المغرب؟ و هل اتخذت الدولة العثمانية إجراءات لإخراج الفرنسيين من مصر و الجزائر؟ و ما موقف القوى الكبرى المعادية لفرنسا من الحملة على مصر

و الجزائر؟ فهل اتخذت موقفا محايدا من الحملة على مصر و الجزائر أم دافعت على مصالحها المهددة؟ باعتبار أن الحملة الفرنسية على مصر و الجزائر وقعت في متباعدتين فما هو موقف كلا منهما من الحملة على الأخرى؟ و هل كان للموقف العثماني تأثير على الوجود الفرنسي في مصر و الجزائر؟ و ما هي النتائج و الآثار المترتبة عن مجيء الحملة الفرنسية على مصر و الجزائر؟ و هل تلك النتائج هي واحدة في كل من مصر و الجزائر؟

أما عن عوامل اختياري لموضوع الحملة الفرنسية على مصر والجزائر والمقارنة بينهما فإنه يعود لعدم وجود دراسات حسب علمنا تناولت هذا الموضوع بهذه الطريقة فكل الدراسات وخاصة الأكاديمية لم تجمع بينهما، وإنما تناولت كل موضوع على حدا دون أدنى مقارنة لهما.

لإزالة المفهوم السائد لدى الكثيرين بأن الحملة الفرنسية على مصر والجزائر حدثت في فترتين متباعدتين، وبأنه لا علاقة بينهما تدفع إلى المقارنة مع العلم أن الجزائر كانت في أذهان الفرنسيين قبل، وأثناء الحملة على مصر، وإنما المسألة كانت مسألة أولويات.

كذلك عدم وجود الكثير من الكتابات الأكاديمية في المنهج المقارن في الجزائر مقارنة مع دول المشرق خاصة مصر حسب معلوماتي دفعني لإخضاع موضوعي إضافة إلى المنهج التحليلي المنهج المقارن.

هناك دوافع شخصية للبحث في هذا الموضوع، و التي تتمثل أساسا في تشوقي لمعرفة المزيد عن الحملة الفرنسية على مصر و الجزائر، و خاصة لمعرفة النتائج المترتبة عنها في كل من البلدين لأنني كنت دائما أسمع أن النتائج الحملة على مصر تختلف عن الجزائر، لذلك أردت اكتشاف هذا الاختلاف بنفسي من خلال اختياري لهذا الموضوع من أول مرة ذكره الأستاذ أبو القاسم سعد الله في اجتماع اختيار المواضيع.

كل تلك الأسباب التي ذكرناها آنفا هي التي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع الذي يفضي بالباحث إلى التحليل و المقارنة و الاستنتاج، مما يجعلنا نخرج من دائرة جمع المعلومات، و نقلها بطريقة السرد دون تحليلها، و مقارنتها بغيرها، و الاستنباط منها.

أما فيما يتعلق بالفترة التي اخترتها كإطار زمني لهذه الدراسة، فهي من قيام فرنسا بالحملة على مصر سنة 1798م إلى غاية قيامها بالحملة على الجزائر سنة 1830م.

و قد قسمت دراستي إلى فصل تمهيدي تناولنا فيه أوضاع مصر و الجزائر قبل الحملة الفرنسية، و ذلك لإبراز الأوضاع التي كانت سائدة فيهما قبل الغزو الفرنسيعليهما و قسمت هذا الفصل إلى عنصرين تناولت في كل عنصر أوضاع كل إيالة قبل الحملة الفرنسية عليهما.

أما الفصل الأول فقد خصصته لصلب موضوعي، و هو الحملة الفرنسية على مصر و الجزائر، و قد قسمت هذا الفصل إلى ثلاث عناصر، بداية بالتطرق إلى خلفيات الحملة الفرنسية على مصر و الجزائر، مبرزين من خلال هذا العنصر الأهداف و الأبعاد التي كانت فرنسا تسعى لتحقيقها من جراء حملتيها، لنصلفي العنصر الثاني إلى الاستعدادات التي قامت بها فرنسا للقيام بحملتها على مصر و الجزائر.و في آخر عنصر في هذا الفصل تطرقت إلى سير الحملة الفرنسية على مصر و الجزائر، و التي انتهت بعد خوض عدة معارك من سقوطهما في قبضة الفرنسيين.

أما في الفصل الثاني فقد تطرقت إلى موقف الدولة العثمانية من الحملة الفرنسية على مصر و الجزائر، و الذي بدوره قسمناه إلى ثلاث عناصر، ففي العنصر الأول تطرقنا إلى موقف الدولة العثمانية من الحملة الفرنسية على مصر و الجزائر، بحيث تطرقنا إلى كل موقف على حدا مع المقارنة.

لنتطرق بعدها في العنصر الثاني إلى موقف الجزائر من الحملة الفرنسية على مصر و في العنصر الثالث إلى موقف محمد علي باشا باعتباره كان يمثل السلطة الحاكمة في مصر من الحملة الفرنسية على الجزائر ، وقد جاء تطرقنا للعنصر الثانيو الثالث باعتبار أن الحملة وقعت في فترتين متباعدتين ، كما أنهما كانت تنضويان تحت سيادة ألا و هي السيادة العثمانية ، لذلك كان لزاما علينا أن نتطرق بعد الموقف العثماني إلى موقف كل من البلدين المتناولين للدراسة من الحملة عليهما.

و في الفصل الثالث تناولنا انعكاسات الموقف العثماني على الوجود الفرنسي في مصر و الجزائر، و قد قسمناه مثل بقية الفصول إلى ثلاث عناصر فالأول تناولنا فيه محاصرة الجيش الفرنسي في مصر و نقله الحرب إلى الشام، و تطرقنا في هذا العنصر منذ نقل الجيش الفرنسي الحرب إلى الشام إلى غاية الجلاء عن مصر. أما في العنصر الثاني فقد تناولنا الحملات التوسعية التي قام بها الفرنسيين بعد استيلاءهم على مدينة الجزائر إلى غاية سقوط مدينة قسنطينة في يد الفرنسيين بعد عجز الدولة العثمانية عن تقديم أي دعم لأحمد باي و تركته وحده يدافع عن قسنطينة، التي لم يستطع مجابهة القوات الفرنسية في المرة الثانية فاضطر إلى تسليم المدينة، أما في العنصر الثالث من الفصل الأخير فقد تطرقت إلى النتائج المتمخضة عن الحملة الفرنسية على مصر و الجزائر، و قد كانت تلك النتائج عديدة نظرا للسياسة التي اتبعتها فرنسا في كل منهما.

أنهيت دراستي بخاتمة كانت حوصلة لأهم النتائج التي توصلت إليها خلال تناولي لموضوع دراستي.

لقد اعتمدت في هذه الدراسة على من مصادر و مراجع، و من المصادر العربية التي اعتمدت عليها في هذه الدراسة المؤرخ المصري عبد الرحمن الجبرتي في كتابه عجايب الآثار في التراجم و الأخبار، و نقولا الترك في كتابه ذكر تملك جمهورية الفرنساوية الأقطار المصرية و البلاد الشامية، و محمد فريد بك المحامي في كتابه تاريخ الدولة العلية العثمانيةو حمدان عثمان خوجة في كتابه المرآة، و مذكرات كل من أحمد باي و بوضربة، و الأمير عبد القادر في كتابه مذكرات. أما المصادر الأجنبية فمنها ما هو مترجم كمذكرات الضابط الفرنسي جوزيف مواري مواريه و بفاير سيمون، و منها ما هو غير مترجم مثلDE Grammont في كتابه تاريخ الجزائر في العهد التركيوالجنرال الفرنسي Juchereau في كتابه عن تاريخ الدولة العثمانية.

أما المراجع فقد كانت عديدة منها: يحي جلال ، و عمر عبد العزيز عمر، و زاهية قدورة في كتبهم المعنونة بتاريخ العرب في العصر الحديث، و أبو القاسم سعد الله في كتابه بداية الاحتلال للجزائر، و الغالي غربي و آخرون في كتابهم عن العدوان الفرنسي على الجزائر و غيرهم.

المراجع الفرنسية كانت منها المترجم مثل كتاب شارل أجيرون في كتابه تاريخ الجزائر المعاصرة، و أولج فولكف في كتابه نابليون، أما المراجع الغير مترجمة التي اعتمدت عليها من أهمها Bret Patrice و Jean Louis Bernard في كتابهما عن مصر في فترة الحملة الفرنسية عليها، و Charles André Julien في كتابه عن تاريخ الجزائر في الفترة المعاصرة.

لقد إعترضتني بعض العوائق أثناء بحثي، منها أنه لا توجد دراسات في المنهج المقارن كثيرة في الجزائر، مما اضطرنا إلى الاطلاع على البحوث المنشورة من قبل إخواننا العرب في نفس المنهج الذي أبحث فيه، و قد كانت مختلفة في طريقة مقارناتها مما أتعبني ذلك كثيرا، إضافة إلى مشاكل أخرى بديهية يتعرض لها الباحث المبتدئ، كنقص الإمكانيات و غيرها.

الفصل التمهيدي:

أوضاع مصر و الجزائر قبل الحملة الفرنسية

1.أوضاع مصر قبل الحملة الفرنسية.

2. أوضاع الجزائر قبل الحملة الفرنسية.

1.أوضاع مصر قبل الحملة الفرنسية:

لقد كانت أوضاع إيالة مصر خلال العهد العثماني، لا تختلف عما آلت إليه الأوضاع في باقي الإيالات العربية التابعة، أو الخاضعة للسيادة العثمانية، بحيث أدى الوضع السياسي في إيالة مصر إلى التأثير على باقي الأوضاع الأخرى [1]، و هذا ما نلمسه من خلال التطرق إلى كل وضع على حدا.

1.1.سياسيا:

تميز الوضع أو الواقع السياسي في إيالة مصر خلال العهد العثماني، الممتد من القرن السادس عشر إلى غاية القرن الثامن عشر بنوع من الفوضى، و عدم الاستقرار و خاصة في الفترة التي يليها الغزو الفرنسي لها، و ذلك بسبب نظام الحكم الذي أوجده العثمانيون في إيالة مصر [2].

فالعثمانيون منذ دخولهم إلى مصر سنة 1517م، على إثر هزيمتهم للمماليك في موقعة الريدانية[3]، أوجدوا ثلاث هيئات لحكم مصر، حتى لا تنفرد هيئة بالحكم دون الهيئات الأخرى، و استمر هذا الوضع إلى غاية الحملة الفرنسية عليها[4].

تتكون هذه الهيئات من الوالي أو الباشا[5]، و هو نائب السلطان العثماني في حكم

---

(1)- محمد، أنيس، **الدولة العثمانية و الشرق العربي (1514 – 1922)**، مكتبة لأنجلو المصرية، القاهرة، ب.ط 1985م، ص ص، 148 – 149.

(2)- نفسه، ص، 148.

(3)- محمد، ابن أحمد ابن إياس، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، ج$_5$، تحقيق محمد مصطفى، دار إحياء الكتب المصرية القاهرة، ط$_2$، 1961م، ص، 152.

(4)- عمر، عبد العزيز عمر، **دراسات في تاريخ العرب الحديث و المعاصر**، دار النهضة العربية، بيروت، ب.ط 1975م، ص 45.

(5)- **الباشا:**هي كلمة مستقاة من الكلمة التركية باش آغا، بمعنى أخ أكبر.

مصر، و تترواح مدة حكمه من سنة إلى ثلاث سنوات، و لم تكن تزيد عن هذه المدة إلا نادرا جدا[1]. أما الهيئة الثانية فهي الحامية العثمانية[2]، التي تركها السلطان سليم الأول[3] بعد مغادرته لمصر[4]. أما الهيئة الثالثة و الأخيرة تتمثل في المماليك الذين بقوا من السلطنة السابقة[5]، و قد أبقاهم العثمانيون لحفظ التوازن بين الباشا و رؤساء الحامية العثمانية، و كان زعيمهم يعرف بشيخ البلد، و يمثل ثاني شخصية في مصر بعد الباشا العثماني[6].

لقد ارتبط حفظ التوازن بين الهيئات الثلاث الحاكمة لإيالة مصر بحالة الدولة العثمانية قوة و ضعفا[7]، بحيث أنه في القرن السادس عشر كانت الهيئات التي تحكم إيالة

---

(1)- عمر، عبد العزيز عمر، **تاريخ المشرق العربي (1516 – 1922)**، دار النهضة العربية، بيروت، ب.ط، ب.س ص، 136.

(2)- **الحامية العثمانية:** قوامها خمسة آلاف من الفرسان، و خمسة آلاف من المشاة حاملي البنادق ...أنظر:

- ابن إياس، مصدر سابق، ص، 602.

(3)- **سليم الأول:** هو من السلاطين العظام للدولة العثمانية، حكم قرابة تسع سنوات (918 – 926ه/ 1512 – 1520م)ضم خلال حكمه العديد من الدويلات خاصة المتاخمة للأراضي العثمانية مثل: بلاد فارس و الشام و حتى مصر كما سعى لفتح جزيرة رودس لكن الموت باغته في 22 سبتمبر 1520م، قبل أن يكمل مشروع الجزيرة سابقة الذكر ... للمزيد أنظر:

- فريد بك، المحامي، **تاريخ الدولة العلية العثمانية**، دار النفائس، بيروت، ب.ط، 1983م، ص ص، 188 – 197.

(4)- ابن إياس، مصدر سابق، ص، 206.

(5)- **السلطنة السابقة:** نقصد بها سلطنة المماليك الجراكسة، التي كان أول سلطان بها هو برقوق الجركسي، و آخرهم هو قانصوه الغوري، و قامت دولتهم من سنة 784 إلى غاية 923ه. و كان السلطان سليم الأول قد عفا عن ما تبقى منهم بعد دخوله مصر، و أشركهم في الحكم ... أنظر:

- عبد الرحمن، الجبرتي، **عجايب الآثار في التراجم و الأخبار**، ج$_1$، دار الفارس، بيروت، ب.ط، ب.س، ص، 36.

- ابن إياس، مصدر سابق، ص، 159.

(6)- عبد العزيز عمر، دراسات في تاريخ ...، مرجع سابق، ص، 46.

(7)- محمد عبد المنعم، السيد الراق، **الغزو العثماني لمصر و نتائجه على الوطن العربي**، إشراف أحمد أحمد الحتة مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ب.ط، ب.س، ص، 288.

مصر مرتبطة ارتباطا وثيقا بالدولة العثمانية. و بذلك عرف الواقع السياسي بإلة مصر نوعا من الاستقرار و الهدوء[1]، ما عدا تلك الاضطرابات المؤقتة التي كانت تحدثها الحامية العثمانية ضد الوالي، أو فئة المماليك ضد الوالي[2] مثلما حدث بعد وفاة خاير بك[3]، إلا أنه سرعان ما كان يعود الأمر، و الأمن إلى نصابهما بتدخل الدولة العثمانية لأنها كانت آنذاك في أوج قوتها[4].

لكن بمرور القرن السادس عشر طرأت على الدولة العثمانية العديد من التطورات انعكست سلبا على الوضع السياسي لإيالة مصر، بحيث بدأ الضعف يدب في صفوفها[5] بسبب حروبها المتواصلة مع النمسا و روسيا، و اختلال توازن شؤونها، و هذا ما أدى إلى زعزعة مكانة الباشا العثماني في إيالة مصر، و سلطته من طرف قواد الحامية العثمانية و زعماء المماليك الذين أصبحوا يسيئون معاملته، و لا يمتثلون لأوامره و يحيكون ضده المؤامرات، و الفتن من أجل عزله في حالة عدم امتثاله لأوامرهم[6].

بذلك تلاشت سلطة الوالي أو الباشا العثماني في إيالة مصر، و أصبح الحكم بيد المماليك[7]، و قواد الحامية العثمانية، غير أن هذه الأخيرة لم تسيطر كثيرا على الوضع

---

(1)- السيد الراق، مرجع سابق، ص، 288.

(2)- جلال، يحي، **العالم الإسلامي الحديث و المعاصر**، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ب.ط، ب.س، ص، 594.

(3)- **خاير بك:** هو من المماليك الذين بقوا في مصر، بعد دخول العثمانيون إليها، و قد عينه السلطان سليم الأول، واليا على مصر بعد عزله لوزيره الأعظم يونس باشا عن ولايتها اثر اكتشافه لأطماعه فيها. و قد تميز عهده بنوع من الاستقرار، و قد حكم مصر طول حياته، لكن بعد وافاته حدثت فتنة بين المماليك و العثمانيين حول الولاية، التي انتهت بتدخل السلطان سليمان القانوني بتعينه والي عثماني على مصر ...أنظر:

- فاضل مهدي، بيات، **دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني**، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط$_1$، 2003م، ص ص، 86 – 88.

(4)- السيد الراق، مرجع سابق، ص، 289.

(5)- نفسه، ص، 289.

(6)- نفسه، ص ص، 289 – 290.

(7)- أنيس، مرجع سابق، ص، 158.

بسبب التنافس، و الصراع فيما بينهم للوصول إلى سدة الحكم هذه من جهة[1] و انصهارهم في المجتمع المصري خاصة في القرن الثامن عشر من خلال الزواج[2] و امتلاك الأراضي من جهة أخرى، و بذلك أصبحوا يعيشون حياة مدنية، و فقدوا صفتهم العسكرية[3]، و هذا ما جعلهم يبتعدون عن السلطة المركزية في الدولة العثمانية، و استغل المماليك ذلك لصالحهم من أجل السيطرة على سدة الحكم في مصر، و إعادة نفوذهم القديم[4].

بعدها أصبح شيخ البلد هو الحاكم الفعلي لإيالة مصر يعزل من الولاة أو الباشوات من لا يرضى عنهم أو خالفوه في أمر[5]، مثلما قام به جركس بك[6] من إجبار الوالي محمد باشا النشنجي عن الاعتزال من منصبه لأنه يخالفه في الحكم، و لا يخدم مصالحه و حدث ذلك سنة 1725م[7].

لكن المماليك لم يكتفوا بالسيطرة على زمام الأمور في إيالة مصر، و إنما حاولوا إنهاء

---

(1)- أنيس، مرجع سابق، ص، 158.

(2)- محمد، عراقي يوسف، **الوجود العثماني المملوكي في مصر في القرن الثامن عشر و أوائل القرن التاسع عشر**، دار المعارف، القاهرة، ط$_1$، 1985م، ص لاص، 388 – 396.

(3)- أنيس، مرجع سابق، ص، 159.

(4)- جرجي، زيدان، **مصر العثمانية**، تحقيق و دراسة و تعليق د. محمد حرب، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط$_1$، 2002م ص، 135.

(5)- عراقي يوسف، مرجع سابق، ص ص، 129 – 130.

(6)- جركس بك: هو محمد جركس من مماليك يوسف بك القرد، عرف بالشجاعة و الفروسية بين مماليك المذكور آنفا و قد تقلد عدة مناصب حتى وصل إلى منصب شيخ البلد. كما اشتهر بتمرده على السلطة العثمانية، و طغيانه الذي ضاق الناس منه إلى غاية وافاته في 18 أفريل 1730م، أثناء محاولته عبور نهر النيل هربا من مطارديه من مماليك الفقارية، و على رأسهم زين الفقار بك ... أنظر:

- الجبرتي، عجايب الآثار ...، ج$_1$، مصدر سابق، ص ص، 189 – 196.

- عراقي يوسف، مرجع سابق، ص ص، 129 – 130.

(7)- نفسه، ص ص، 129 – 130.

الحكم العثماني لإيالة مصر بالانفصال عن الدولة العثمانية[1]. و ذلك ما قام به علي بك الكبير[2] في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، لكن الدولة العثمانية تدخلت و أوقعت بينه و بين قائد قواته محمد أبو الذهب[3]، فانقض على سيده و هزمه[4]، لكنه لم يستمر طويلا في الحكم، إذ مات بعد عامين من توليه السلطة[5]، و انتهى الأمر في النهاية إلى مراد[6] و إبراهيم بك اللذين عاثا في إيالة مصر فسادا حتى ضاق الناس منهما، و وصلت شكواهم إلى الدولة العثمانية التي أرسلت حملة بقيادة الصدر الأعظم سنان باشا لتأديبهما و على إثرها فر مراد و إبراهيم من القاهرة[7].

لكن بتجدد الحرب بين الدولة العثمانية، و روسيا عاد سنان باشا إلى اسطنبول

---

(1)- يحي، جلال، **العالم العربي الحديث**، دار المعارف، القاهرة، ب.ط، 1966م، ص، 68.

(2)- **علي بك الكبير:** هو من مماليك القازدوغلية، عرف بقوة العزيمة، و الجد في كل شيء، و كان يعتمد على قوته في بلوغ المناصب العليا، كما حاول الانفصال عن الدولة العثمانية من خلال منعه ورود الولاة العثمانيون، و لكن خيانة مملوكه أبو الذهب له قضت عليه في منتصف شهر صفر سنة 1187ه ... أنظر:

- الجبرتي، عجايب الآثار ...، ج$_1$، مصدر سابق، ص ص، 430 – 434.

(3)- **محمد أبو الذهب:** هو من مماليك علي بك الكبير، و لقب بأبي الذهب لأنه بعد توليه الحكم سار من القلعة حتى دخل إلى منزله و هو يفرغ البقشيش ذهبا على الفقراء، بحيث لم يفعل ذلك أحد قبله، لذلك لقب بأبي الذهب. و قد عمل خلال حكمه إيالة مصر على الإكثار من شراء المماليك، و استمالة الأهالي، و محاولة تحسين أوضاعهم خاصة ما تعلق منها بالعلم و العلماء الذي عمل على تقريبهم منه، و اتخذهم كمستشارين له، و قد استمر الأمر على هذه الوتيرة خلال عهده إلى غاية أن سافر إلى بلاد الشام، لمحاربة ظاهر العمر أين توفي هناك سنة 1189ه، و يعتبره الجبرتي آخر الحكام الصلحاء من المماليك الذين حكموا إيالة مصر...أنظر:

- الجبرتي، عجايب الآثار ...، ج$_1$، مصدر سابق، ص ص، 480 – 485.

(4)- عبد المنعم، صبحي، **الشرق الإسلامي زمن المماليك و العثمانيين**، دار العربي للنشر، القاهرة، ب.ط، ب.س، ص 137.

(5)- الجبرتي، عجايب الآثار ...، ج$_1$، مصدر سابق، ص، 485.

(6)- **مراد بك:** هو من مماليك محمد أبو الذهب ، أقام في الرق أياما قليلة و تم عتقه بعد تفوقه على أقرانه من المماليك فتزوج بزوجة صالح بك ثم زوجة علي بك الكبير بعد وفاتهما. و بعد وافاة أبي الذهب أصبح هم و إبراهيم يحكمان إيالة مصر إلى غاية الغزو الفرنسي، اللذين أجبرهم الفرنسيون على الفرار بعد هزيمتهم لهم في معركة إمبابة ... أنظر:

- عبد الرحمن، الجبرتي، **عجايب الآثار في التراجم و الأخبار**، ج$_4$، إعداد و تحقيق عبد العزيز جمال الدين، مكتبة مدبولي، مصر، ب.ط، 1997م، ص ص، 592 – 598.

(7)- عبد العزيز عمر، دراسات في تاريخ ...، مرجع سابق، ص، 47.

ليعود بعده مراد و إبراهيم بك لتسلم مقاليد السلطة في إيالة مصر، و انتهاج سياستهم الظالمة من جديد[1]، و هذه المرة طالت حتى الأجانب المقيمين في مصر الذين كان معظمهم من الفرنسيين، و هذا ما استغلته فرنسا كمبرر شرعي للقيام بحملتها على إيالة مصر[2].

غير أنه لم يكن ازدياد نفوذ المماليك في إيالة مصر، و إتباعهم للسياسة الظالمة هي السبب الوحيد في سوء الواقع السياسي بإيالة مصر، و إنما بعض الباشوات العثمانيون كانت لهم يد في ذلك خاصة بعد ضعف الدولة العثمانية، فانصرف هؤلاء الباشوات إلى جمع المال[3] للتعويض عن المال المدفوع مقابل حصولهم على المناصب، لأنهم يدكون أن مدة إقامتهم في إيالة مصر مؤقتة و قصيرة، و هذا ما أدى إلى عدم استقرار الواقع السياسي بإيالة مصر الذي كان له انعكاسا سلبيا على الاقتصاد المصري[4].

2.1. اقتصاديا:

تأثر الواقع الاقتصادي بإيالة مصر خلال العهد العثماني بعدة عوامل[5] سنحاول التطرق إلى أهمها في كل قطاع من القطاعات الاقتصادية.

---

(1)- عراقي يوسف، مرجع سابق، ص، 154.

(2)- عبد العزيز عمر، دراسات في تاريخ...، مرجع سابق، ص، 47.

(3)- جرجي، زيدان، مصدر سابق، ص، 121.

(4)- أنيس، مرجع سابق، ص، 161.

(5)- عبد الفتاح أبو علية، إسماعيل ياغي، **تاريخ أوربا الحديث و المعاصر**، الرياض، دار المريخ، ب.ط، 1984م، ص ص، 59 – 64.

نبدأ بأهم قطاع ألا و هو قطاع الزراعة، الذي عرف بإيالة مصر خلال العهد العثماني ببساطته، نظرا للأدوات المستعملة في فلاحة الأرض، و التي كانت بسيطة للغاية بحيث تعود إلى عصور ضاربة في القدم كالمحراث و غيره[1]. كما اعتمدت الزراعة في الري على نهر النيل من خلال فيضانه، لذلك أصبح الإنتاج الزراعي متوقفا على منسوب مياه النيل[2]، التي كثيرا ما تتسبب في مشاكل عديدة للفلاحين المصريين، كإتلاف المحاصيل الزراعية إذا كان منسوب المياه مرتفعا، أو عدم نموها لانخفاض منسوب المياه، و هذا ما جعل الفلاحين يعيشون في قلق و خوف دائم[3].

كما عانى الفلاحون من عصابات البدو التي طالما شكلت خطرا عليهم، و على منتجاتهم التي كانت تغير على قرى بأكملها لنهب ما فيها[4]، إضافة إلى تردي الأوضاع المعيشية للفلاحين، و قلة عددهم بسبب المجاعات، و الأوبئة التي عصفت بأرواح الكثيرين منهم[5]. و أمام تصاعد مشاكل الفلاحين، فإن السلطة الحاكمة سواء تمثلت في العثمانيين أو المماليك الذين تولوا زمام الأمور لفترات في العهد العثماني، لم تبد أي اهتمام لتحسين أوضاعهم، و تخليصهم من مشاكلهم، بل تركتهم يئنون تحت وطأة كل أنواع الضرائب[6].

لقد كانت تتم جباية الضرائب عن طريق نظام الالتزام[7] الذي بمقتضاه يتم تعيين

---

(1)- للمزيد عن الأدوات الزراعية المستعملة في فلاحة الأرض في إيالة مصر في العهد العثماني...أنظر:

- علماء الحملة الفرنسية، **وصف مصر**، م$_4$، ج$_1$، ترجمة زهير الشايب، مكتبة الخانجي، مصر، ب.ط، ب.س، ص ص 22 – 27.

(2)- السيد الراق، مرجع سابق، ص، 316.

(3)- نفسه، ص، 316.

(4)- علماء الحملة الفرنسية، مصدر سابق، ص، 41.

(5)- كمال حامد، مغيث، **مصر في العهد العثماني (1517 – 1798)**، تقديم د. رؤوف عباس، المطبعة التجارية الحديثة القاهرة، ط$_1$، 1997من ص، 74.

(6)- علماء الحملة الفرنسية، مصدر سايق، ص، 36.

(7)- **نظام الالتزام:** جاء ضمن قانون نامة الذي وضعه السلطان سليمان القانوني، لتنظيم الإدارة في مصر...للمزيد أنظر:

- السيد الراق، مرجع سابق، ص ص، 312 – 315.

أشخاص معينين للقيام بالجباية يسموا الملتزمين، و هؤلاء كانوا ملتزمين بالقوانين ما دامت الدولة العثمانية قوية، لكن بعد ضعفها و لاسيما في القرن الثامن عشر مارسوا على الفلاحين أعمال الظلم لقول الجبرتي[1]: " ...و كان إذا تأخر الفلاح في دفع الضريبة جروه من شنبه، و بطحوه بالنبابيت رجال الملتزم...، و كذلك الشاهد و الشاويش الذين كانوا يسومونه أنواع العذاب". إضافة إلى ممارسة النهب، و رفع الجبايات لتحصيل الفائض منها لصالحهم[2]، و هذا ما أدى بالفلاحين إلى فقدان الرغبة في زراعة أرضهم، و قاموا بهجرانها، و اتجهوا إلى ممارسات أخرى، كالرعي هروبا من الضرائب رغم صرامة قانون الالتزام الذي ينص على إعدام كل من يمتنع عن زراعة أرضه[3].

أما واقع الصناعة في إيالة مصر، لا يختلف عما آل إليه واقع الزراعة، فقد عرفت الصناعة المصرية انتكاسة في العهد العثماني، بعدما كانت منذ العهد الفاطمي حتى العهد المملوكي معروفة بازدهارها، لاسيما صناعة المنسوجات، و فن العمارة و غيرهما[4].

نظرا للانتكاسة التي عرفتها الصناعة المصرية في العهد العثماني، فإنه تراجع إنتاجها بشكل ملحوظ إلى درجة اقتصارها على بعض الحرف الضرورية الموجهة

---

(1)- **الجبرتي:** هو مؤرخ مصري ولد سنة 1167ه/ 1754م في بيئة ثرية ماديا و علميا، و كان لهذه البيئة أكبر الأثر في تنشئته، فهي من ناحية غرست فيه حب العلم، و معاشرة العلماء و طلاب العلم، الذين كان يكتظ بهم بيت والده، و من ناحية أخرى، وفرت له الوقت الكافي للاطلاع، و الدراسة دون أن يلجأ للعمل ليكسب قوت يومه، كما سهلت له الاتصالات بأولي الأمر من الحكام، و المسؤولين في الإدارة للحصول على المعلومات، فكل ذلك هيأ له أن يصبح فيما بعد عملاق مدرسة التاريخ المصري في العصر الحديث من خلال مؤلفه الضخم " عجايب الآثار في التراجم و الأخبار"... للمزيد أنظر:

- عبد الرحمن، الجبرتي، **مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس**، ج$_1$، دراسة و تحقيق و تعليق عبد الرازق عبد الرازق عيسى و عماد أحمد هلال، دار العربي، القاهرة، ط$_1$، 1998م، ص ص، 15 – 19.

(2)- عبد العزيز عمر، دراسات في تاريخ...، مرجع سابق، ص، 49.

(3)- السيد الراق، مرجع سابق، ص ص، 312 – 313.

(4)- نفسه، ص ص، 338 – 339.

للاستهلاك اليومي[1]، و كانت في مجملها حرفا يدوية تناثرت في أقاليم إيالة مصر و مدنها[2]، و يعود ذلك إلى عدة عوامل من أهمها:

– العزلة التي عاشتها إيالة مصر طيلة العهد العثماني، أدت إلى تقهقر الصناعة بها و انتكاسها، و نابعة تلك العزلة من حالة التوقع، و الانغلاق التي كانت تعيشها الدولة العثمانية عن النهضة الأوربية، و ثورتها الصناعية خوفا من تسرب النفوذ الأوربي إليها و إلى الإيالات التابعة لها[3].

– إتباع بعض الحكام سياسة كان لها دور في ركود الصناعة المصرية، فقد كانت سيطرة العثمانيين و المماليك، و ما فرضوه من ضرائب باهظة على الحرفيين، و مصادرتهم لأموالهم، و أزمات النقد التي خلقوها باستمرار عاملا مباشرا في ركود، و تخلف الصناعة إلى درجة استغلال بعض الحكام وضعهم، و أقاموا لأنفسهم مركزا احتكاريا في بعض الصناعات كالسكر، و النسيج ليتمتعوا بالإعفاء من الضرائب، و أغلقوا ورش الأهالي المنافسة[4].

– نقل السلطان سليم الأول بعد مغادرته مصر أشهر صناعها و حرفييها إلى اسطنبول لقول ابن إياس[5]: " ... توجه إلى اسطنبول جماعة من البنائين، و النجارين، و الحدادين و المرخميين، و المبلطين، و الخراطين، و المهندسين، و الحجارين، و الفعلة... ". و قد

---

(1)- علماء الحملة الفرنسية، مصدر سابق، ص، 187.

(2)- السيد الراق، مرجع سابق، ص، 339.

(3)- نفسه، ص ص، 339 – 341.

(4)- مغيث، مرجع سابق، ص، 35.

(5)- **ابن إياس:** هو أبو البركات زين الدين محمد بن شهاب الدين أحمد بن إياس، ذو أصل جركسي، ولد سنة 825ه/ 1448م بالقاهرة، حيث درس هناك علوم الدين، و بعض العلوم الأخرى كالتاريخ و تقويم البلدان. و قد عاش حياة مريحة في عهد السلطان الغوري، لامتلاكه لإقطاع وافر يدر عليه دخلا كبيرا، ووفر له ذلك الجو الملائم للكتابة و التأليف في التاريخ، و نظم الشعر، و الموشحات و غيرها، و قد عاش إلى غاية الفتح العثماني لمصر، لذلك اعتبر مؤرخ الفتح العثماني لمصر بدون منازع من خلال مؤلفه " بدائع الزهور في وقائع الدهور"، الذي يعتبر من أهم مؤلفاته توفي سنة 928ه/ 1522م، عن عمر يناهز 76 سنة ... للمزيد أنظر:

- حسين، عاصي، **ابن إياس مؤرخ الفتح العثماني لمصر**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط$_1$، 1993م، ص ص، 38 – 54.

أثر ما فعله السلطان سليم الأول كثيرا على الصناعة المصرية لقول ابن إياس: "... لم يقاس أهل مصر شدة من قديم الزمن أعظم من هذه الشدة، و لا سمعت بمثلها في التواريخ القديمة، و كذلك نتج عن ذلك إبطال خمسين صنعة"[1].

– تأثر الصناعة المصرية بالانحطاط الذي مس الزراعة، باعتبارها تعتمد في مواردها الأولية عليها بشكل كبير[2].

– تأثر الطوائف الصناعية في إيالة مصر بالحكم العثماني، مما أدى بها إلى التقلص في جماعات منغلقة على نفسها، يرأس كل جماعة منها شيخ، غير أن علاقته مع السلطة اقتصرت على جمع الضرائب، لذلك عاشت تلك الجماعات بعيدة عن الباشوات الذين كان همهم الوحيد جمع المال، دون الاستماع لحاجاتهم، و مساعدتهم بالرغم من انضمام رجال الأوجاقات إليها، إلا أنه لا نلمس لهم أثر في الحياة السياسية[3].

لقد كانت التجارة في إيالة مصر في العهد العثماني أكثر حظا من الزراعة و الصناعة، و لاسيما التجارة الخارجية، بحيث سعى العثمانيون منذ ربطهم مصر بالسيادة العثمانية إلى بذل جهود دبلوماسية، لإعادة لإيالة مصر سيطرتها على طرق التجارة العالمية، كما كانت قبل اكتشاف رأس الرجاء الصالح[4].

لقد كان أول جهد بذله العثمانيون هو إعادة الامتيازات للبندقية، التي كانت تتمتع بها في عهد المماليك، من خلال إبرام اتفاقية سنة 1517م[5]، كذلك منحت لفرنسا امتيازات في

---

(1)- مغيث، مرجع سابق، ص، 32.

(2)- السيد الراق، مرجع سابق، ص، 342.

(3)- نفسه، ص، 347.

(4)- نفسه، ص ص، 364 – 365.

(5)- أنظر نص هذه الاتفاقية في:

- السيد الراق، ص ص، 364 – 365.

عهد سليمان القانوني بعد توقيعه معها اتفاقية تجارية سنة 1528م[1]. كما فكر بعض السلاطين في شق قناة تربط البحر الأحمر بالبحر الأبيض المتوسط، لكن كثرة مشاغل الدولة العثمانية، و قصر مدة الولاة حالت دون تطبيق مشروع حفر القناة[2].

لقد استطاعت تلك الجهود المبذولة من قبل الدولة العثمانية إلى إعادة تنشيط التجارة الخارجية لإيالة مصر نسبيا[3]، حتى أنه في القرن الثامن عشر تنافست كل من انجلترا، و فرنسا على عقد الاتفاقيات مع المماليك من أجل السيطرة على أقصر طريق بين أوربا، و الهند في ظل الحاجة الماسة إليه، نظرا للبضائع المكدسة في انجلترا، و التي تحتاج إلى تسويق سريع.

بالرغم كل ما سبق فإن التجارة المصرية عانت من عدة مشاكل، كعدم توفير الأمن و كثرة الرسوم، و عدم الاهتمام بالموانئ، و الطرق التي هي شريان التجارة بنوعيها الداخلية، و الخارجية و غيرهما من المشاكل، و هذا ما جعل نشاط التجارة المصرية لاسيما الخارجية نسبيا[4].

3.1.اجتماعيا:

عرف النمو السكاني لإيالة مصر خلال العهد العثماني تراجعا كبيرا، يرجع ذلك إلى انخفاض مستوى المعيشة ، و سوء التغذية، و حدوث المجاعات، و ما نتج عن ذلكمن انتشار للأمراض، و الأوبئة التي فتكت بالعديد من الأهالي[5]،ففي بعض الأحيان كانت

---

(1)- السيد الراق، مرجع سابق، ص، 365.

(2)- نفسه، ص ص، 370 – 371.

(3)- نفسه، ص، 370.

(4)- جميل، سيار، **تكوين العرب الحديث**، دار الشروق، عمان، ط$_1$، 1997م، ص، 284.

(5)- مغيث، مرجع سابق، ص، 88.

تشتد نوبة الوباء فتقضي على قرى بأكملها، ففي سنة 1718م أصيب سكان مصر بوباء راح ضحيته بين خمسة و ستة آلاف شخص، و في سنة 1789م أصيبت راح ضحيته ثلثي سكان القاهرة[1].

لكن ما نلاحظه على الوباء أنه كان يحدث في إيالة مصر في فترات غير متباعدة عن بعضها البعض، فمثلا في القرن السابع عشر حدث في سنة 1601، 1603، 1618، 1619، 1620، 1623م، و في القرن الثامن عشر حدث سنة 1783، 1785، 1786، 1798م[2].

و هذا ما يفسر جانبا من التراجع الكبير الذي عرفه النمو السكاني في إيالة مصر لاسيما في القرن الثامن عشر، حيث بلغ تعداد السكان حوالي ثلاثة ملايين نسمة، بعدما كان في بداية القرن يتراوح ما بين خمسة، و أربعة ملايين نسمة[3].

أمام تصاعد معاناة أهالي مصر، و تراجع نموهم بشكل كبير، فإن السلطات العثمانية لم تحرك أي ساكن لمحاولة التحسين أو الحد مما كان يعانيه أهالي مصر، بل على العكس، فقد كان بعض الولاة يرون في حالات الأوبئة التي تعصف بالمدن، و القرى المصرية فرصة لهم، لجمع الأموال عن طريق بيع حق الالتزام[4].

فالوالي المحظوظ هو الذي يتفق قدومه مع احد مواسم الطاعون، ففي خلال ثلاثة أو أربعة أشهر التي تسري فيها العدوى، تجمع السلطة ثروات طائلة، لأن شهرا واحدا كان يدر مبلغا يتراوح ما بين مائتي و ثلاثمائة ألف ريال بسبب الأرض التي تؤول إلى

---

(1)- مغيث، مرجع سابق، ص، 88.

(2)- نفسه، ص، 88.

(3)- نفسه، ص، 89.

(4)- السيد الراق، مرجع سابق، ص، 413.

السلطة بعد وافاة ملتزمها، و في أسبوع واحد قد يباع نفس حق الالتزام ثلاث أو أربع مرات بسبب حالات الوفاة المتتالية لأولئك المشترين[1].

بذلك عاشت الطبقة الحاكمة على حساب الرعية، بحيث لا يهمها سوى الإثراء و جمع الأموال، دون التفكير في وضع مشاريع من شانها تحسين، و رفع المستوى المعيشي للأهالي[2].

بناءا على ما سيق يظهر لنا تقسيم الفئي للمجتمع المصري خلال العهد العثماني الذي انقسم إلى فئتين رئيسيتين، فالأولى فئة المحكومين، و الثانية فئة الحاكمين، و هناك فئة ثالثة تتوسطهما.

ففئة المحكومين تألفت من جموع أهالي مصر، الذين مارسوا معظمهم الفلاحة و فئة قليلة منهم عملت بقطاع الصناعة، و التجارة كعمال بسطاء، و قد عانت هذه الفئة من كل أنواع الاستغلال و النهب، و الظلم المسلط عليها من طرف الحكام، خاصة الذين مارسوا الفلاحة[3].

أما فئة الحاكمة فتألفت من الهيئات الحاكمة لإيالة مصر، المكونة من الوالي العثماني، و الحامية العثمانية، و المماليك[4]، وهي فئة أقل عددا من فئة المحكومين و عاشت هذه الفئة عيشة تختلف تماما عن عيشة عموم الأهالي، بحيث تمتعت بكل خيرات و ثراء إيالة مصر، و عاشت عيشة الرفاهية، و الترف، و بددت الأموال التي جمعتها على حساب عموم الأهالي[5]، إما بنقلها إلى خارج إيالة مصر، كما فعل الولاة أو إنفاقها

(1)- السيد الراق، مرجع سابق، ص، 413.

(2)- نفسه، ص، 413.

(3)- نفسه، ص ص، 394 – 400.

(4)- عبد العزيز عمر، دراسات في تاريخ ...، مرجع سابق، ص، 46.

(5)- السيد الراق، مرجع سابق، ص ص، 412 – 413.

على حياة الترف، و البذخ التي تعود عليها المماليك[1].

ففي البداية عاشت الفئة الحاكمة منعزلة عن الأهالي، لكن بمرور الوقت و ابتداء من القرن السادس عشر اندمج جل الجيش العثماني في المجتمع المصري عن طريق المصاهرات[2]، إلا أن ذلك لم يغير مما كان يعانيه الأهالي، لأننا لا نلمس لهم تأثيرا واضحا في الحياة السياسية[3].

لقد تكونت الفئة الوسطى من كبار رجال الدين و العلم، و تجار الجملة، و كان أغلبهم من الأقليات التي كانت موجودة بإيالة مصر سواء الإسلامية أو الأجنبية و استطاعت بعض تلك الأقليات أن تفرض سيطرتها على الحياة الاقتصادية كاليهود و الشوام النصارى[4].

كما ضمت هذه الطبقة الملتزمين، و نظار الأوقاف، و كان بقاء هذه الفئة مرتبط بكفاحها في الحياة، لكن بسبب الظروف التي كانت تعاني منها إيالة مصر لم تستطع الوصول إلى تكوين فئة رأسمالية، و بقيت تتأرجح بين الفئتين الرئيسيتين[5].

2.أوضاع الجزائر قبل الحملة الفرنسية:

إن أوضاع إيالة الجزائر خلال العهد العثماني لا تختلف عما آلت إليه الأوضاع في إيالة مصر على جميع الأصعدة سواء السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية.

---

(1)- السيد الراق، مرجع سابق، ص، 413.

(2)- عراقي يوسف، مرجع سابق، ص صن 388 – 396.

(3)- السيد الراق، مرجع سابق، ص، 374.

(4)- نفسه، ص ص، 403 – 405.

(5)- نفسه، ص ص، 404 – 405.

1.2.سياسيا:

تميز الواقع السياسي في إيالة الجزائر خلال العهد العثماني مثل مصر بنوع من الفوضى، و عدم الاستقرار، و ذلك بتوالي عدة أنماط من الأنظمة على السلطة، و هذه الأنظمة متمايزة عن بعضها البعض، متنافسة في ما بينها، و يعود ذلك كله إلى طبيعة التواجد العثماني في الجزائر[1].

أهم ما ميز هذا الوجود هو استفحال، و استمرار الصراع بين القوى السياسية و العسكرية، خاصة التي وضعت لتقوية دعائم السلطة العثمانية، و استمرارها في الجزائر، و هذا ما جعل أربعة أنظمة من الحكم تتعاقب على السلطة في الجزائر[2].

فكان أول نظام حكم عثماني بالجزائر بعد انضواءها تحت السيادة العثمانية، هو نظام البايلربايات[3]، و الذي كان يصل إلى منصب البايلرباي[4] يتمتع بصلاحيات واسعة و يحكم إلى غاية استدعاءه إلى مهام أخرى بالدولة العثمانية، لذلك اتسم الوضع السياسي في هذه الفترة بالاستقرار و القوة، لأن كل الحكام كانوا من طائفة رياس البحر الذين كانوا يتمتعون بشعبية كبيرة، كما اشتهروا بالقوة و التجربة و النفوذ الواسع[5].

و هذا ما أثار حفيظة الخوف لدى الدولة العثمانية من إمكانية استقلالهم بالجزائر

---

(1)- الغالي غربي، و آخرون، **العدوان الفرنسي على الجزائر**، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954م، الأبيار، الجزائر، 2007م، ص، 15.

(2)- نفسه، ص، 15.

(3)- وليم، سبنسير، **الجزائر في عهد رياس البحر**، تعريب و تعليق د. عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ي.ط، 1980م، ص، 63.

(4)- البايلرباي: تعني أمير الأمراء.

(5)- يحي، بوعزيز، **الموجز في تاريخ الجزائر**، ج2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م، ص ص، 21 – 22.

لذلك بعد انتهاء ولاية حسن فنزيانو[1] سنة 1587م، قامت بتغيير لقب البايلرباي إلى الباشا و حددت مدة حكمه بثلاث سنوات[2]، و حدت من اختصاصاته[3] من أجل إحكام سيطرتها على البلاد ، و رقابتها على الولاة أكثر[4].

بذلك بدأ عهد الباشوات الذي استمر من سنة 1587الى غاية 1659م[5]، و أهم ما ميز هذا العصر هو اتساع الهوة ما بين الرعية، و الباشوات الذين كان همهم الوحيد هو جمع الأموال، التي دفعوها مقابل حصولهم على مناصبهم[6]. لذلك لم يحاولوا القيام بأي مشاريع طويلة المدى، التي من شأنها رفع المستويات الاجتماعية، أو التقرب إلى الرعية ما دامت مدتهم في إيالة الجزائر مؤقتة[7].

كما عرف هذا العهد انتقال تدريجي للإدارة من الباشوات إلى الانكشارية[8]، الذين حاولوا الحد من نفوذهم لكنهم فشلوا، و انتقلت السلطة إلى أيديهم، التي قلبت النظام ليصبح

---

(1)- **حسن فنزيانو:** من طائفة رياس البحر، حكم الجزائر مرتين، الأولى من سنة 1577 إلى 1580م، و الثانية من سنة 1583 إلى 1587م...أنظر:

- بوعزيز، مرجع سابق، ص، 149.

(3)- عائشة، غطاس، **الدولة الجزائرية الحديثة و مؤسساتها**، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954م، الأبيار، الجزائر، 2007م، ص، 49.

(4)- بوعزيز، مرجع سابق، ص، 34.

(5)- Salah,Farkous,Op .cit, p, 96.

(6)- محمد مبارك، الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم و الحديث**، ج3، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، ب.ط 1976م، ص، 137.

(7)- الغالي غربي، و آخرون، مرجع يابق، ص ص، 17 – 18.

(8)- **الانكشارية:** مصطلح جاء من كلمة " يني تشري"، و تعني الجيش الجديد المعتمد من طرف الدولة العثمانية... للمزيد أنظر:

- Weissman,N,**Les janissaires étude de l'organisation militaire des Ottomanes**, thèse pour le doctorat d'université présentée a la faculté de letters de paris, Paris, 1983, p, 15.

بيد الأغوات[1].

غير أن السلطة بيد الأغوات لم تستمر أكثر من اثنتي عشر سنة (1659– 1671م)[2] لأن عهدهم حمل في طياته بذور زواله، بحيث كان الأغا ينتخب من الانكشارية لمدة شهرين[3]، و في كثير من الأحيان يرفض بعد انتهاء المدة النزول عن منصبه، مما يؤدي إلى حروب، و اغتيالات، فمعظمهم إذ لم يكن كل الأغوات الذين تداولوا على الحكم ماتوا مقتولين[4]، و انعكس ذلك على الوضع السياسي الذي عمته الفوضى، و الاضطراب و الاغتيالات في هذا العهد[5]، إلى أن تدخلت طائفة رياس البحر و استبدلت النظام بنظام آخر هو نظام الدايات[6].

فعهد الدايات هو أطول فترات الحكم العثماني بالجزائر، لاستمراره من سنة 1671 إلى غاية 1830م[7]، لقد كان الداي ينتخب من طرف الديوان[8] مدى الحياة[9]، و له

---

(1)- **الأغا:** هو القائد العام للجيش الانكشاري، يتم اختياره حسب الأقدمية، و لا يمكنه البقاء في منصبه سوى شهرين ... للمزيد أنظر:

- فهيمة، عمريوي، **الجيش الانكشاري بمدينة الجزائر خلال القرن 12ه/ 18م**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2009م، ص ص، 47 – 48.

(2)- محمد، بن ميمون الجزائري، **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية**، تقديم و تحقيق د. محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، ط$_1$، 1972م، ص، 14.

(3)- Salah, Farkous, Op.cit,p,104.

(4)- Ibid, p, 104.

(5)- أمين، محرز، **الجزائر في عهد الأغوات (1659 – 1671)**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر 2008م، ص، 81.

(6)- نفسه، ص، 82.

(7)- سيار، مرجع سابق، ص، 294.

(8)- حمدان، بن عثمان خوجة، **المرآة**، تقديم و تعريب و تحقيق د. محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2005م، ص، 94.

(9)- عبد الله شريط، محمد مبارك الميلي، **مختصر تاريخ الجزائر**، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ب.ط، 1985م ص، 156.

صلاحيات عديدة[1]. ففي البداية كان الدايات[2] ينتخبون من طائفة رياس البحر، لكن بعد اشتداد قوة الانكشارية، و تمكنها من استرجاع نفوذها أصبح الداي ينتخب من ضباطها ابتداءا من سنة 1689م[3].

لقد تمتعت الجزائر خلال عهد الدايات بالاستقلال عن الدولة العثمانية بعدما رفض استقبال مبعوث السلطان[4]، و بذلك ألغيت ازدواجية السلطة، و أصبح الداي يجمع بين اللقبين ابتداءا من سنة 1711م[5].

كما أصبحت الجزائر تبرم الاتفاقيات مع الدول دون الرجوع إلى وساطة الدولة العثمانية، و بذلك أصبحت العلاقة بينهما علاقة دينية أساسها الانتماء الروحي لهذه الدولة باعتبارها تمثل الخلافة الإسلامية مع إرسال الهدايا للسلاطين، و دفع الجزية السنوية و المشاركة إلى جانب أسطولها كلما دعت الحاجة إلى ذلك[6].

غير أن الدايات الذين تعاقبوا على الحكم، لم يكونوا كلهم في مستوى واحد فقد كان البعض منهم يسعون إلى الأعمال الخيرية كبناء المساجد و غيرها[7]، لكن البعض

---

(1)- شريط، الميلي، مرجع سابقن ص، 156.

(2)- الداي: هو تعبير تركي يعني الخال... للمزيد أنظر:

- مصطفى، بن عمار، **الصراع على السلطة في الجزائر في عهد الدايات (1671 – 1830)**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة الجزائر (2)، 2010م، ص ص، 42 – 43.

(3)- أحمد، السليماني، **النظام السياسي في الجزائر في العهد العثماني**، مطبعة دحلب، الجزائر، ب.ط، 1993م، ص، 17.

(4)- الداي علي شاوش (1710 – 1718م)، هو الذي رفض استقبال الباشا مبعوث السلطان العثماني، ثم أقنع الباب العالي على تعينه هو الباشا إلى جانب لقب الداي... للمزيد أنظر:

- بن عمار، مرجع سابق، ص ص، 97 -98.

(5)- ناصر الدين، سعيدوني، **النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني (1792 – 1830م)**، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط$_2$، 1985م، ص، 24.

(6)- بن عمار، مرجع سابق، ص ص، 99 – 100.

(7)- سعيدوني، مرجع سابق، ص، 25.

الآخر لا يمدون إلى السلطة بصلة، و إنما وصولهم إلى الحكم كان نتيجة تمرد رجال الانكشارية الذين كان همهم الوحيد دفع أجورهم[1]، لأنهم من قبل كانوا من عامة الناس يمارسون حرف وضيعة كالإسكافي أو الحمال و غيرها[2]. و بالتالي فالحكم كان بيد الانكشارية، و هم اسم و رمز فقط في السلطة، لذلك كانت غالبا ما تكون نهايتهم مؤسفة و تصادر جميع أملاكهم من طرف الانكشارية[3].

كما تميز هؤلاء الدايات بالإسراف، و أخذ الرشوة، و التبذير الصريح لأموال الخزينة العامة، من ذلك الداي محمد بن بكير باشا (1748 – 1754م)، الذي انفق كل ما في الخزينة العامة على رفاهية أولاده و زوجته و تركها فارغة[4]، و بذلك يكون قد تناسى هؤلاء الدايات حقيقة السلطة، و أهدافها السامية في خدمة المصلحة العامة[5]، و ركزوا طوال حكمهم على التنظيمات التي من شأنها ضمان مدا خيل مالية للدولة، لأن همهم الوحيد كان ملء الخزينة بالأموال، و ليس تأمين البلاد، و تحصينها من الأخطار المحدقة بها، لاسيما في أواخر عهدهم[6]، و نتيجة لذلك اتسم عهدهم بعدم الاستقرار و الفوضى لاسيما في ظل الصراع الذي اشتد بين مختلف أجنحة الحكم في عهدهم، و كان منحصرا أكثر بين الانكشارية و رياس البحر، مع العلم أن هذا الصراع لم يكن وليد فترة الدايات و إنما ملامحه طفت منذ عهد البايلربايات[7].

---

(1)- سعيدوني، مرجع سابق، ص ص، 25 – 26.

(2)- رشيدة، شدري معمر، **العلماء و السلطة العثمانية في الجزائر فترة الدايات (1671 – 1830)**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة الجزائر، 2006م، ص، 22.

(3)- سعيدوني، مرجع سابق، ص، 26.

(4)- Jean Michel, Venture de Paradis, **Tunis et Alger au 18ème siècle**,éditions Sindbad , Paris 1983, p, 101.

(5)- غربي،و آخرون، مرجع سابق، ص، 22.

(6)- نفسه، ص، 22.

(7)- شارل جوليان، أندري، **تاريخ إفريقيا الشمالية**، تعريب مزالي محمد بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، ب.ط 1978م، ص، 335.

انعكس تردي الوضع السياسي سلبا على الرعية التي عانت من ارتفاع الضغط المالي المسلط عليها من قبل الدايات، في ظل تراجع موارد القرصنة التي كانت تدر على الخزينة العامة مبالغا ضخمة[1]، بعد التدهور الذي أصاب الأسطول الجزائري نتيجة اختلال موازين القوى في حوض البحر الأبيض المتوسط لصالح الدول الأوربية، و قد تولد عن ذلك الضغط العديد من الانتفاضات و الثورات ضد الحكم العثماني[2].

2.2. اقتصاديا:

إن الاقتصاد في الجزائر خلال العهد العثماني لا يختلف عما آل إليه حال الاقتصاد في مصر كما أسلفنا ذكرا، بحيث عانت كل القطاعات الاقتصادية في كل من الإيالتين من نفس المشاكل تقريبا، إذ لم تكن واحدة في جميعها، و هذا ما سوف نلمسه بعد تطرقنا إلى كل قطاع على حدا.

فالزراعة في الجزائر خلال العهد العثماني عانت من مشاكل عديدة، و صعوبات عرقلت نموها، و أعاقت تطورها، و التي يمكن حصرها في النقاط التالية:

– الأساليب العتيقة المتبعة و الآلات البدائية المستعملة في خدمة الأرض، فأدوات الفلاحين الجزائريين آنذاك لا تتجاوز المحراث الخشبي بسكة واحدة، و المنجل البدائي، و فرشاة بسيطة لجمع بقايا المحصول الزراعي، لذلك تميزت الزراعة في تلك الفترة بالبساطة و البدائية كبدائية وسائل الإنتاج[3].

---

(1)- غربي، و آخرون، مرجع سابق، ص، 23.

(2)- نفسه، ص، 24.

(3)- الغالي، غربي، **الانتفاضات الشعبية في الجزائر منذ منصف القرن الثامن عشر حتى الاحتلال الفرنسي**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة دمشق، ص، 62.

- الوسائل المستعملة للري، و التي كانت تكاد تكون شبه معدومة، ما عدا بعض السدود التي أقامها الفلاحون لري أراضيهم الزراعية، و نظرا لباسطتها كانت معرضة في كل وقت للانهيار بسبب الكوارث الطبيعية لاسيما الفيضانات[1].

- الضرائب الثقيلة المفروضة على الفلاحين لاسيما بعد تراجع موارد البحر، إضافة إلى الطريقة إن صح التعبير غير الملائمة، و الظالمة التي طبقها أو مارسها جباة الضرائب على الفلاحين[2]، و هذا ما جعل الفلاحين يهجرون أراضيهم، و يتوجهون إلى ممارسة الرعي باعتباره حرفة تتلاءم مع عدم الاستقرار، و تمكن أصحابها من التهرب من الضرائب الثقيلة و الفادحة[3].

- تعرض إيالة الجزائر للكثير من المجاعات نتيجة فترات الجفاف الدورية، و غالبا ما يكون الجفاف مصحوبا بغزو الجراد، و انتشار الأوبئة كالطاعون الذي كان يذهب ضحيته العديد من الأهالي، و على رأسهم الفلاحين[4]، لأن المجتمع الجزائري في العهد العثماني كان مجتمعا فلاحيا بالدرجة الأولى[5].

- عدم اهتمام السلطة العثمانية بتشجيع، و تطوير الفلاحة إلا في القرن الثامن عشر بعد

---

(1)- غربي، و آخرون، مرجع سابق، ص ص، 32 – 33.

(2)- وليام، شالر، **مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر (1816 – 1824)**، تعريب و تعليق و تقديم إسماعيل العربي الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، ب.ط، 1982م، ص، 59.

(3)- محمد العربي، الزبيري، **التجارة الخارجية للشرق الجزائري(1792 – 1830)**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ط$_2$، 1984م، ص، 57.

(4)- أرزقي، شويتام، **المجتمع الجزائري و فعالياته في العهد العثماني (1519 – 1830)**، أطروحة دكتوراة في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة الجزائر، 2005م، ص، 223.

(5)- نفسه، ص، 224.

تراجع موارد البحر، و أصبحت هناك الحاجة الملحة لتصدير المنتوجات الزراعية تزداد غير أن هذا الاهتمام جاء متأخرا خاصة أن الهدف منه لم يكن أكثر من ضمان موارد للخزينة العامة.

بالرغم من كل ما ذكرناه آنفا فإن الزراعة في الجزائر في العهد العثماني كانت تتوفر على إمكانيات ضخمة، لو استغلت بطريقة جيدة كان بإمكانها أن تلعب دورا مهما و فعالا في تطوير الاقتصاد الجزائري، نظرا لاعتماده عليها أكثر، لكن المشاكل المذكورة آنفا حالت دون تحقيق ذلك[1].

أما الصناعة في الجزائر خلال العهد العثماني لم تكن أحسن حال من الزراعة بحيث عرفت هي الأخرى ببساطتها نظرا لاحتفاظها بطابعها التقليدي، و عدم تطوير وسائلها الإنتاجية[2]. كما أدت السياسة الضريبية المتبعة من قبل السلطة الحاكمة إلى إثقال كاهل الصناع الجزائريين الذين لم يجدوا أمامهم سوى رفع أسعار منتوجاتهم الصناعية لتغطية الالتزامات المالية المفروضة عليهم[3]، و هذا ما جعل المصنوعات الأوربية تضر بالمصنوعات الجزائرية عن طريق إغراق السوق الجزائرية بالمصنوعات التي كانت تتميز بالجودة، و رخص الأسعار[4].

لقد جاء ذلك الغزو الأوربي للمصنوعات الجزائرية نتيجة التسهيلات، التي منحتها السلطة الحاكمة للتجار الأوربيين إلى درجة مرور مصنوعاتهم بدون رقابة جمركية مما جعلهم يغرقون السوق الجزائرية بالمصنوعات، و يسحرون الأهالي بجودة مصنوعاتهم[5]

---

(1)- شويتام، مرجع سابق، ص، 224.

(2)- نفسه، ص، 234.

(3)- سعيدوني، مرجع سابق، ص، 37.

(4)- غربي، و آخرون، مرجع سابق، ص، 36.

(5)- نفسه، ص، 36.

الأهم من ذلك رخص أسعارها[1].

كما أدى تدهور الإنتاج الفلاحين، و الحيواني إلى انعكاسات سلبية مباشرة على الصناعة، باعتبارها تعتمد في مواردها الأولية على الإنتاج الفلاحي و الحيواني[2]. كما أدى انتظام الصناع ضمن جماعات تخضع كل واحدة منهال لأمين، الذي كان يحرص على أصول المهنة و جودة البضاعة، مع تحديد كميتها مع مرور الوقت إلى عائق يقف في وجه تطور الصناعة[3].

يعتبر كل ما ذكرناه آنفا من أهم العوامل التي حالت دون قيام صناعة حقيقية في الجزائر خلال العهد العثماني[4]، ما عدا بعض الصناعات التي لم تخرج عن طابعها اليدوي و كانت في أغلبها موجهة لتلبية المتطلبات اليومية للأهالي، كصناعة الأحذية و الزرابي و الفخار و غيرها من المصنوعات اليدوية[5].

أما التجارة بنوعيها الداخلية و الخارجية كذلك هي الأخرى لم تحظى باهتمام السلطة الحاكمة من أجل تطويرها، و إنما اهتمت بها لتحصيل الضرائب عليها كباقي القطاعات الأخرى.

فالتجارة الداخلية كانت تتم عن طريق الأسواق الأسبوعية أو السنوية[6] لتبادل المنتوجات بين أهالي الريف و المدينة، و بين المناطق السهلية و الجبلية[7]، و بين التل

---

(1)- غربي، مرجع سابق، ص، 68.

(2)- شويتام، مرجع سابق، ص، 243.

(3)- نفسه، ص، 236.

(4)- غربي، و آخرون، مرجع سابق، ص، 35.

(5)- نفسه، ص، 35.

(6)- صالح، عباد، **الجزائر خلال العهد التركي (1514 – 1830)**، دار هومة، الجزائر، ب.ط، 2005م، ص، 339.

(7)- نفسه، ص، 339.

و الجنوب، و نابع هذا التبادل من اختلاف الإنتاج الزراعي، و الصناعي بينهم، و كان يتم التبادل عن طريق عملية المقايضة. و قد كانت أغلبية الأسواق تقع في المناطق الريفية التي كانت السلطة الحاكمة تقيمها، و تراقبها لتحصيل الضرائب منها[1].

بالرغم من اهتمام السلطة الحاكمة بالأسواق، إلا أن اهتمامها لم يتعدى سوى جمع الضرائب[2]، لأن تلك المبادلات في الأسواق كانت محفوفة بالمشاكل، و المخاطر كعدم الاهتمام بالطرق المؤدية إلى تلك الأسواق، و عدم توفير الأمن لتلك القوافل التي تأتي إلى الأسواق التي كانت غالبا ما تتعرض لمهاجمة اللصوص، مما جعل أهالي المناطق البعيدة يخافون من المخاطرة، و جعلهم ذلك ينطوون على أنفسهم[3].

كان يتم التبادل بين الأهالي في المنتوجات الاستهلاكية، و الضرورية لتلبية حاجياتهم، لذلك كانت التجارة الداخلية محدودة الربح فلابد لها من مكملتها، وهي التجارة الخارجية التي كانت تتم مع مختلف الدول سواء الأجنبية أو الإسلامية[4].

لقد سيطر على التجارة مع الدول الأوربية الأجانب (اليهود) الذين كانوا يمثلون الوساطة بين الجزائر، و أغلبية الدول الأوربية، أما الدول المجاورة فقد سيطرت القبائل على المبادلات معهم[5]، أما باقي الدول الإسلامية ، فإن التبادل معهم كان يتم في أكبر حدث يعرفه المسلمون و هو الحج[6].

و تمثلت صادرات الجزائر إلى أوربا في المنتوجات الفلاحية لاسيما في أواخر

---

(1)- عباد، مرجع سابق، ص، 339.

(2)- غربي، مرجع سابق، ص، 73.

(3)- نفسه، ص ص، 73 – 74.

(4)- شويتام، مرجع سابق، ص، 246.

(5)- غربي، مرجع سابق، ص، 74.

(6)- عباد، مرجع سابق، ص، 341.

العهد العثماني كالحبوب و الأصواف و الزيوت ...الخ مقابل استيراد الكماليات و التجهيزات المتعلقة بالجيش و البحرية[1]، أما مع الدول الإسلامية فكانت تستبدل الأقمشة الصوفية و البوابيج و الشاشيات بحريريات المشرق، و أقمشة بلاد فارس، و العنبر و التوابل، و هي منتوجات الرفاهية التي كان سعرها المرتفع يعوض حجمها الضعيف[2].

إن الجزائر كانت تصدر مواد أساسية، و تستورد مواد كمالية بحيث يفوق سعرها سعر المواد المصدرة، و هذا ما أدى إلى عجز في ميزانها التجاري، الذي لم يستطع الدايات التغلب عليه، رغم محاولة البعض منهم التخفيف من آثاره[3].

3.2.اجتماعيا:

إن إيالة الجزائر كباقي الإيالات العربية الخاضعة للسيادة العثمانية لا تتوفر على إحصائيات رسمية صادرة عن جهات حكومية موثوقة لتعداد سكانها، لذلك هناك تضارب في الأعداد حول تعداد سكانها[4]، بحيث هناك من ضخمه، و رفعه إلى عشرة ملايين نسمة[5]، لكن الأرجح أنه كان يتراوح ما بين ثلاثة ملايين، و ثلاثة ملايين و نصف نسمة نظرا للتراجع الذي عرفه النمو السكاني مع نهاية العهد العثماني[6].

و يعود ذلك التراجع إلى الكوارث التي ضربت البلاد منها الطبيعية، و منها المرضية، فالطبيعية تمثلت في الزلازل، و الفياضنات لكنها لم تؤثر كما أثرت الأوبئة التي

---

(1)- عباد، مرجع سابق، ص، 342.

(2)- نفسه، ص، 341.

(3)- غربي، و آخرون، مرجع سابق، ص، 38.

(4)- حنيفي، هلايلي، **أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، دار الهدى، الجزائر، ط$_1$، 2008م، ص، 162.

(5)- بن عثمان خوجة، مصدر سابق، ص،

(6)- هلايلي، مرجع سابق، ص، 162.

كانت تضرب البلاد بين الحين و الآخر، و في بعض الأحيان كانت تستمر لعدة سنوات و يذهب ضحيتها الآلاف من السكان مثل الوباء الذي استمر من سنة 1784الى 1798م[1]. و قد كانت الأوبئة غالبا ما تأتي مصاحبة لفترات المجاعة، و الجفاف مثل وباء سنة 1740م الذي أتى إثر مجاعة ضربت البلاد[2].

و أمام ما كان يعانيه أهالي الجزائر من جراء الأوبئة، فإن السلطة الحاكمة لم تتخذ أي إجراء للحد من معاناة الأهالي[3]، و وقايتهم من الأوبئة الوافدة إليهم من دول المشرق خاصة عن طريق الحجاج، و طلاب العلم العائدين إلى البلاد، و إنما تركتهم يعتمدون على أنفسهم في معالجة تلك الأوبئة بوسائلهم الخاصة، التي كانت تعتمد في أساسها على الأعشاب التقليدية المتعلقة بأعمال الشعوذة، و السحر[4] في ظل غياب الصيدليات من إيالة الجزائر ما عدا صيدلية واحدة بمدينة الجزائر[5]، والتي لم تتوفر إلا على بعض العقاقير و التوابل، و التي كان يشرف عليها باش جراح الذي كان يجهل استعمال معظم تلك العقاقير[6].

أما عن التقسيم الفئي إن صح التعبير للمجتمع الجزائري، فقد انقسم كغيره إلى فئتين رئيسيتين فأولى فئة المحكومين، و الثانية فئة الحاكمين، و بينهما فئة تتألف من

---

(1)- ناصر الدين، سعيدوني، " الأحوال الصحية و الوضع الديمغرافي بالجزائر في العهد التركي"، مجلة الثقافة، عدد 92 1986م، ص، 123.

(2)- نفسه، ص، 123.

(3)- عائشة، غطاس، " الوضع الصحي بالجزائر خلال العهد العثماني"، مجلة الثقافة، عدد 76، 1983م، ص، 98.

(4)- فلة، القشاعي، **الصحة و السكان في الجزائر أثناء العهد العثماني و أوائل الاحتلال الفرنسي (1518 – 1871)** أطروحة دكتوراة في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة الجزائر، 2004م، ص، 182.

(5)- هلايلي، مرجع سابق، ص، 164.

(6)- نفسه، ص، 164.

الكراغلة ونهاية العهد العثماني نظرا لإلغاء تجارة الرقيق، لكن اليهود كانوا أكثر منهم حظا إذ ازداد نفوذهم إلى درجة تدخلهم في تعيين الدايات و البايات[1].

أما الفئة الحاكمة فهي تتألف من العثمانيين الذين حكموا الجزائر، و الذين كانوا يتمتعون بكل خيرات البلاد لكنهم لم يندمجوا مع الأهالي، و إنما انعزلوا عنهم، و أقاموا بينهم حاجزا من الوسطاء[2]، و هذا ما جعل الأهالي يعتبرونهم من الأجانب، و يحقدون عليهم، و يقومون بالثورات ضدهم كتعبير على سخطهم عليهم، لذلك قال هايدو: " بأنه لا توجد في الإمبراطورية العثمانية علاقة أسوء من علاقة الترك بالعرب في مملكة الجزائر "[3].

و في الأخير تأتي فئة المحكومين التي تألفت من جموع أهالي الجزائر الذين كانوا يمثلون الأغلبية، و الذين معظمهم من الأرياف بحيث تصل من 90 إلى 95 في المئة من مجموع الأهالي، و قد مارس معظمهم الفلاحة، لكنهم عانوا من كل أنواع السلب و النهب و الظلم المسلط عليهم من السلطة الحاكمة، و خاصة أعوانها المساعدين الذين يمثلون كما أسلفنا الوساطة بينهم و بين الرعية[4].

---

(1)- غربي، و آخرون، مرجع سابق، ص، 38.

(2)- نفسه، ص، 38.

(3)- Haedo, Diego, **Histoire des rois d' Alger**, traduite et annotée H.D Grammont et présentation de Jocelyne Dakhlia,Jourdan, Alger, 1881, p, 219.

(4)- عباد، مرجع سابقن ص ص، 354 – 355.

الفصـــــــــل الأول:

الحــملة الفرنسيـــــــة على مصــر و الجـــــزائر

1. خلفيات الحملة الفرنسية على مصر و الجزائر.
2. الاستعدادات للقيام و مواجهة الحملة الفرنسية.
3. سير الحملة الفرنسية على مصر و الجزائر.

1.خلفيات الحملة الفرنسية على مصر و الجزائر:

لقد كانت لفرنسا إلى جانب الأسباب التي اختلقتها، و تزعمتها لإضفاء الشرعية على حملتها على كل من مصر سنة 1798م، و الجزائر سنة 1830م، العديد من الخلفيات التي كانت تقف وراء حملتها على مصر و الجزائر، و هذه الخلفيات منها ما تعلق بأوضاعها الداخلية بصفة خاصة، و بأوضاع أوربا بصفة عامة، و منها ما تعلق بالمصالح الحيوية في قارتي آسيا و إفريقيا.

1.1.خلفيات الحملة الفرنسية على مصر:

إن فكرة غزو مصر كانت ضمن المخططات الفرنسية، منذ القرن السادس عشر و السابع عشر[1]، حيث دعا إليها العديد من الرحالين أمثال، الأب كوبان (Coubin) في كتابه عن الحروب الصليبية، و الفيلسوف الألماني ليبنتز (Leibnitz) الذي ظل يراسل حكومته لقبول مشروعه المعد سنة 1664م[2]، و بعض القناصل و السفراء خاصة الموجودين بالآستانة أمثال جيردان(Girardin)[3]. لتصبح هذه الفكرة واقعا في القرن الثامن عشر بدعوى حماية مصالح التجار الفرنسيين في مصر من عبث، و ظلم المماليك[4].

ففرنسا في مصر، اعتبرت حملتها موجهة ضد المماليك، و ليس ضد العثمانيين على العكس في الجزائر وجهت حملتها ضد العثمانيين مباشرة، غير أن فكرتها لتأديب

---

(1)- الجبرتي، عجايب الآثار ...، ج$_4$، مصدر سابق، ص ص، 34 – 35.

(2)- Jean Louis, Bernard, **Histoire Secrète de l' Egypte**, éditions Albin Michel, Paris, 1993 p, 320.

(3)- الجبرتي، عجايب الآثار...، ج$_4$، مصدر سابق، ص، 36.

(4)- مكي، شبيكة، **تاريخ وادي النيل (مصر و السودان) في القرن التاسع عشر**، دار الثقافة، بيروت، ب.ط، ب.س ص، 9.

المماليك، لم تكن إلا ذريعة اتخذتها لإعطاء نوع من الشرعية لحملتها على مصر[1] الواقع أنه كانت تقف وراء حملتها تلك على مصر العديد من الخلفيات أو الدوافع منها: رغبة فرنسا في السيطرة على البحر الأبيض المتوسط، و جعله بحيرة فرنسية، و بذلك تضرب المصالح الانجليزية في الشرق الأدنى[2]، و قد أرادت فرنسا تحقيق هذا الدافع كذلك في حملتها على الجزائر[3].

كما تطلعت فرنسا لمصر لمكانتها الاقتصادية[4]، و موقعها الاستراتيجي الممتاز فهي تعتبر همزة وصل بين الشرق و الغرب هذا من جهة[5]، و أرادت فرنسا كذلك توجيه ضربة بطريقة غير مباشرة لانجلترا – منافستها التقليدية – من خلال ضرب مصالحها التجارية في الهند، و الشرق الأقصى هذا من جهة أخرى[6]، و ذلك عن طريق استيلائها على أقصر طريق بين الشرق و الغرب[7]،و هذا ما أكده وزير الخارجية الفرنسي تاليران (Talleyrand)[8] في رسالة بعث بها سنة 1797م إلى

---

(1)- شبيكة، مرجع سابق، ص، 9.

(2)- زاهية، قدورة، تاريخ العرب الحديث، **دار النهضة العربية، بيروت**، ط$_2$، 1975م، ص، 327.

(3)- عمار، هلال، **أبحاث و دراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830 – 1962)**، ديوان المطبوعات الجامعية ب.ط، 1995م، ص، 38.

(4)- قدورة، مرجع سابق، ص، 327.

(5)- غالي، شكري، **عروبة مصر و امتحان التاريخ**، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط$_2$، 1981م، ص، 119.

(6)- Bernard, Op. cit, p, 320.

(7)- الغالي، غربي، **دراسات حول تاريخ الدولة العثمانية و المشرق العربي (1288 – 1916)**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م، ص، 173.

(8)- **تاليران:** رجل سياسي فرنسي، تقلد عدة مناصب في عهد حكومة الإدارة و قبلها، هو من مواليد سنة 1754م و توفي سنة 1838م.

نابليون (Napoléon)[1] جاء فيها ما يلي: " إن مصر باعتبارها مستعمرة، سوف تحل محل منتجات الأنتيل، و باعتبارها طريقا فإنها سوف تعطينا تجارة الهند"[2].

لقد تبنت فرنسا الدوافع سالفة الذكر من تطلعها إلى الثروات الاقتصادية، و الموقع الممتاز، و ضرب انجلترا بطريقة غير مباشرة من خلال ضرب مصالحها كما أسلفنا ذكرا في الشرق، في حملتها على الجزائر، و كانت أهم الدوافع التي أرادت تحقيقها في حملتها على مصر و الجزائر.

غير أن السبب الذي جعل فرنسا توجه ضربة غير مباشرة لانجلترا بغزوها لمصر هو فشلها في توجيه ضربة لها مباشرة[3]، و هذا ما توصل إليه نابليون بعدما عهدت إليه حكومة الإدارة[4] القيام بحملة لغزو لانجلترا، وعينته قائدا للجيش الذي يتولى

---

(1)- **نابليون بونابرت:** هو من مواليد 5 فبراير 1786م بمدينة أجاكسيو بجزيرة كورسيكا، التحق بالمعهد العسكري، ثم بالكلية العسكرية في باريس سنة 1784م. و بعد قيام الثورة الفرنسية سنة 1789م انضم إليها، و قضى على كل أعمال الشغب ضدها. كما قاد العديد من الحملات العسكرية منها: الحملة على ايطاليا سنة 1796م، و على مصر سنة 1798م ليعود بعدها إلى فرنسا سنة 1799م، و يقود الانقلاب ضد حكومة الإدارة، ليصبح قنصل أول ثم ينتخب قنصلا مدى الحياة فإمبراطورا. لكن حروبه المتواصلة في أوربا، و التي أشعل فتيلها على كل الجبهات، حالت دون استمرار حكمه في فرنسا حيث تم نفيه مرتين: الأولى سنة 1814م إلى جزيرة ألبا، و الثانية سنة 1815م إلى سانت هيلانة بعد هزيمته في معركة واترلوا أمام الحلف الأوربي ... للمزيد انظر:

- Evguéni, Tarlé, **Napoléon**, Tome 1, éditions de Moscou, Russe, quatrième édition, 1957, p p 11 – 43.

- بسام، العسلي، **نابليون بونابرت**، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، ط$_1$، 1980م، ص ص، 158 – 159.

(2)- غربي، دراسات حول تاريخ ...، مرجع سابق، ص، 173.

(3)- قدورة، مرجع سابق، ص ص، 327 – 328.

(4)- **حكومة الادارة:** هي الحكومة التي مارست السلطة في فرنسا من 1795م إلى غاية الانقلاب الذي قام به نابليون ضدها في 9 نوفمبر 1799م ...للمزيد أنظر:

- محمد قاسم، أحمد نجيب هاشم، **التاريخ الحديث و المعاصر**، دار المعارف، مصر، ب.ط، ب.س، ص ص،52 – 64.

مهمة القيام بالغزو[1]، و أطلقت عليه اسم " جيش انجلترا"[2]. و بعد محاولة استطلاعية قام بها نابليون من 8 إلى 20 فيفري 1798م، أدرك خلالها الصعوبات التي تعترض سبيل الإنزال في انجلترا، فرفع إلى حكومة الإدارة تقريرا جاء فيه ما يلي: " لقد بذلنا بعض الجهود، للحصول على التفوق البحري، غير أننا لا نزال بعيدين لبلوغ هذا الهدف الذي يتطلب العمل سنوات عديدة، و ستكون عملية الإنزال في انجلترا، من أخطر العمليات، و أقساها ما لم يتوافر لفرنسا التفوق البحري"[3].

على إثر ذلك تقدم نابليون إلى حكومة الإدارة بمشروع بديل تضمن ثلاث اقتراحات و هي: إما أن تقوم بعقد الصلح مع انجلترا، أو تقوم بالهجوم على هانوفر بدل انجلترا، أو تستولي على مصر، و بذلك تقطع شريان الحياة بين انجلترا و الهند، درة التاج البريطاني[4]. فوافقت حكومة الإدارة على الاقتراح الثالث من اقتراحات نابليون و ذلك لضرب عدوتها التقليدية انجلترا، و كذلك لإبعاد نابليون، نظرا للخطر الذي أصبح يشكله عليها، بتزايد شعبيته لا سيما بعد الانتصار الذي حققه في ايطاليا سنة 1797م و كذلك بطموحه الذي لا يحد[5].

أما نابليون فقد رأى في إبعاده عن فرنسا فرصة له[6]، للسماح للظروف السياسية

---

(1)- Jacques, Bainville, **Bonaparte en Egypte**, édition ballant, 1997, p, 11.

(2)- Patrice, Bret, **L'Egypte au temps de l'expédition (1798 – 1801)**, hachette, Paris, p, 21.

(3)- العسلي، مرجع سابق، ص، 87.

(4)- محمد فيصل، عبد المنعم، **مصر تحت السلاح**، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة، ب.ط، ب.س، ص، 125.

(5)- قدورة، مرجع سابقن ص، 328.

(6)- نفسه، ص، 328.

بالتطور طبيعيا لمصلحته، لأنه كان يتوقع تجدد الحرب بين فرنسا و أوربا، و قدر أن تحل الهزيمة بالفرنسيين في غيابه، فيعود هو و يصبح سيد الموقف[1]. كما أراد نابليون تحقيق حلمه الشرقي الذي طالما راوده[2]، المتمثل في إقامة دولة في مصر تكون نقطة انطلاق لبناء إمبراطورية استعمارية في الشرق، و بذلك تعوض فرنسا خسارة ممتلكاتها في أمريكا و الهند[3]. و ليتسنى له تحقيق حلمه، كان نابليون يقرا العديد من الكتب عن المشرق مثل: رحلة فولني (Volney)[4] التي قام بها سنة 1782م إلى مصر و الشام[5] و تاريخ العرب لماريني (Marigny) ، و كتاب البارون دو توت (Baron de Tott) الذي هو عبارة عن مذكرات حول الأتراك و التتر و غيرهم. بغية تكوين رصيد عن المشرق يستعمله نابليون فيما بعد كقناع لاستمالتهم و خداعهم[6].

غير أن فكرة تعويض فرنسا عما فقدته من ممتلكات في أمريكا، و الهند نتيجة هزيمتها في حرب السبع سنوات، من خلال غزو مصر دعا إليها العديد قبل نابليون أمثال: الدوق شوازيل في سنة 1776م، حيث قال مايلي: " يجب غزو مصر، لكي تكون بديلا عن أمريكا الضائعة، و الهند"[7]. و القنصل الفرنسي في مصر ميرو (Miro) حيث كتب سنة 1783م إلى حكومته قائلا : " إن احتلال مصر يعوضنا عن منتجات

---

(1)- قدورة، مرجع سابق، ص، 328.

(2)- Patrice, Bret, Op. cit, p, 20.

(3)- لوتسكي، **تاريخ الأقطار العربية الحديث**، دار الفارابي، بيروت، طو، 2007م، ص، 46.

(4)- Patrice, Bret, Op. cit, p, 20.

(5)- قام فولني بالرحلة إلى مصر في ديسمبر 1782م، و وصل إلى الإسكندرية في بداية جانفي 1783م ... للمزيد أنظر:

- Volney, **Voyage en Egypte et en Syrie**, Publié avec une introduction et des notes par Jean Gaulmier, Mouton la haie, Paris, 1959.

(6)- Patrice, Bret, Op. cit, p, 20.

(7)- الجبرتي، عجايب الآثار...، ج$_4$، مصدر سابق، ص، 36.

أمريكا"[1]. كما حذر حكومته من إمكانية قيام النمسا بغزو مصر، ظنا منه أن النمسا لها أطماع في مصر، كما أعرب عن تخوفه من إمكانية تحالفها مع روسيا لغزو مصر لاسيما بعد تجدد الحرب بين الدولة العثمانية و روسيا[2].

إضافة إلى ما سيق فقد رغبت فرنسا من غزوها لمصر الانتقام منها، و الثأر لهزيمة ملكها لويس التاسع (Louis ix)[3] في موقعة المنصورة، على أيدي المصريين و أسره سنة 1250م أثناء الحملة الصليبية السابعة[4].

2.1.خلفيات الحملة الفرنسية على الجزائر:

إن فكرة غزو الجزائر مثل مصر كانت ضمن المخططات الفرنسية[5] قبل تاريخ تنفيذها، و يظهر ذلك من خلال المشاريع الموضوعة لاحتلال الجزائر، بحيث يعود أول مخطط أو مشروع احتلالي إلى سنة 1791م، الذي وضعه ديكارسي (Dekercy)

---

(1)- الجبرتي، عجايب الآثار ... ، ج4، مصدر سابق، ص، 37.

(2)- عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق ...، مرجع سابق، ص، 229.

(3)- **لويس التاسع:** هو ابن لويس الثامن، ولد سنة 1214م، و أصبح ملكا لفرنسا من سنة 1226 إلى غاية 1270م قام خلال حكمه بالحملة الصليبية السابعة على مصر سنة 1249م، للثأر لهزيمة الصليبيين على أيدي صلاح الدين الأيوبي لكنه انهزم أمام المصريين في موقعة المنصورة، و أسر على أثرها ليفتدي نفسه، بعدها جهز حملة أخرى لكنه توفي على أسوار تونس و فشلت حملته، التي هي آخر الحملات الصليبية ... أنظر :

- جوزيف، نسيم يوسف، **العدوان الصليبي على مصر**، دار النهضة العربية، بيروت، ب.ط، 1981م، ص، 281.

(4)- عبد المنعم، مرجع سابق، ص، 128.

(5)- للمزيد عن المخططات الفرنسية لاحتلال الجزائر ... أنظر:

- فريد، بنور، **المخططات الفرنسية اتجاه الجزائر**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة الجزائر 1999م.

أصبح يعرف باسمه، و منذ هذا المشروع، توالت العديد من المشاريع الاحتلالية الموجهة ضد الجزائر[1]. لكن ظروف فرنسا الداخلية المتمثلة في بعض المجاعات التي ضربت البلاد خاصة في نهاية القرن الثامن عشر، و فيما بعد حروبها المتواصلة في أوربا مع جميع الدول تقريبا في عهد نابليون، و قيامها بجمع العديد من المبررات لإضفاء الشرعية على حملتها على الجزائر حال دون تحقيق مخططاتها الاحتلالية قبل سنة 1830م[2].

لذلك حاولت فرنسا طوال حكم الداي حسين[3] اختلاق المشاكل من أجل توتير العلاقات، و دفع الجزائر إلى ارتكاب الأخطاء كي تستغلها لتحقيق ما تصبو إليه، مثلما استغلت ظلم المماليك في مصر للقيام بحملتها عليها، و تحقيق ما تصبو إليه، و فعلا حققت ما أرادت. لكن قبل ذلك افتعلت في الجزائر عدة مشاكل، لكن في مصر لم تفتعل المشاكل و إنما استغلت الأوضاع الداخلية المتردية لمصر[4].

لقد كانت أول مشكلة افتعلتها فرنسا في الجزائر هو تماطلها في دفع الديون المترتبة عنها، و التي قامت الحكومة الجزائرية بحفظها إلى 7 ملايين فرنك بعدما كانت 24 مليون[5]. أما ثاني مشكلة قيامها بتحصين مراكز القالة، بحجة تهيئة المكان الملائم لإقامة

---

(1)- هلال، مرجع سابق، ص ص، 37 – 43.

(3)- نفسه، ص، 37.

(3)- **الداي حسين:** هو حسين بن الحسن آخر دايات الجزائر، ولد سنة 1773م بأزمير، و نشأ هناك و تدرب على فنون الحرب ثم جاء إلى الجزائر، و شغل عدة مناصب، و نظرا لتدينه كان محل احترام الجميع، و بعد وافاة الداي علي خوجة أصبح دايا على الجزائر بعدما أوصى له بذلك، و أهم شيء وقع في عهده هو الحملة الفرنسية على الجزائر بعد قصته مع قنصلها، و التي على إثرها نجاحها نفته فرنسا إلى نابولي، و منها ذهب إلى الإسكندرية التي مكث بها إلى غاية وافاته سنة 1838م ... أنظر:

- بن عمار، مرجع سابق، ص ص، 123 – 124.

(5)- زكية، زهرة، **التنافس الفرنسي الانجليزي على الجزائر و موقف الباب العالي منه (1792 – 1830)** ، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة الجزائر، 1987م، ص ،

(6)- كارل، بروكلمان، **تاريخ الشعوب الإسلامية**، نقله إلى العربية أمين فارس و منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت ب.ط، 1974م، ص، 621.

التجار الفرنسيين بها في سنة 1825م. فقد حملوا ثمانية عشر مدفع إلى مركز القالة، مع عدد لا بأس به من الرجال المسلحين، و حتى لا تنتبه الحكومة الجزائرية إلى ذلك قاموا بتحريض البايليك ضدها من أجل شغلها، لأنها لا تسمح لهم بإقامة، و لو مدفع واحد على أرضها[1].

أما المشكلة الثانية فهي التدخل في شؤون الجزائر الداخلية، بدعوى أن فرنسا حامية للمسيحية في الأراضي العثمانية، لذلك أرادت إطلاق سراح سفن الفاتيكان[2] التي ألقى القبض عليها البحارة الجزائريون في 18 – 20 أوت 1826م[3]، و بعد رفض الداي لهذا التدخل أخبرت الفاتيكان أنها ستقوم بضرب الحصار على الموانئ الجزائرية في نوفمبر 1826م – قبل حادثة المروحة – شرط بقاء الأمر طي الكتمان حتى لا تعلم به الجزائر[4].

كما أضافت فرنسا إلى مشكلة الفاتيكان مشكلة أخرى أثارتها في خريف سنة 1826م، و تعلقت هذه المشكلة بمسألة تفتيش السفن الفرنسية من قبل البحارة الجزائريين بدعوى تعرض بعض بحارتها لإهانة من قبل الجزائريين أثناء عملية التفتيش لذلك رفضت التفتيش في شتاء سنة 1827م[5]، رغم وجود معاهدة مبرمة بين البلدين في 24 ديسمبر 1689م، و التي بموجبها تقر مبدأ التفتيش، و لم تلغه أي معاهدة بعدها[6].

---

(1)- زهرة، مرجع سابق، ص ص، 167 – 169.

(2)- أحمد توفيق، المدني، **كتاب الجزائر**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ب.ط، 1984م، ص، 43.

(3)- نفسه، ص ص، 171 – 174.

(4)- أحمد، مسعودي، **الحملة الفرنسية على الجزائر و المواقف الدولية منها (1792 – 1830)**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة الجزائر، 2010م، ص، 35.

(5)- زهرة، مرجع سابق، ص، 174.

(6)- نفسه، ص، ص، 174 – 175.

إن كل ما ذكرناه آنفا يعتبر تمهيدا لما يعرف بضربة المروحة، التي دارت أحداثها ليلة الاحتفال بعيد الفطر المصادف ل 29 أفريل 1827م[1]، و التي اعتاد القناصل أن يأتوا لتهنئة الداي بهذه المناسبة، و كان من بينهم القنصل الفرنسي دوفال فاستغل الداي زيارته ليسأله عن عدم تلقيه أي رد على الرسائل التي بعث بها إلى حكومته[2]، لكن رد القنصل على سؤال الداي كان وقحا[3]، و مستفزا بحيث قال: " إن ملك و حكومة فرنسا لن يستطيعوا الرد على الرسائل التي بعثتها إليهم"[4]، و أضاف كلاما جارحا في حق الدين الإسلامي و مكانة السلطان العثماني، و هذا ما أثار غضب الداي، و جعله يقوم بضربه بالمروحة التي كانت بيده مرة أو مرتين، و هناك من قال ثلاث مرات[5].

ردت فرنسا على حادثة المروحة بإرسال الضابط الفرنسي كولي (Collet) على رأس ستة بوارج حربية إلى الجزائر في 12 جوان 1827م[6]، ليملي مطالبها على الداي المتمثلة في تقديم الاعتذار للقنصل دوفال، مع رفع العلم الفرنسي على كل حصون الجزائر بما في ذلك قصر الداي، و إطلاق مئة طلقة لتحيته[7]. لكن الداي حسين رفض

---

(1)- Charles André, Julien, **Histoire de l' Algérie contemporaine, la conquete et les début dela colonisation (1827 – 1871)**, édition Casbah, Alger, 2005, p, 27.

(2)- Ibid, p, 27.

(3)- بن عثمان خوجة، مصدر سابق، ص، 142.

(4)- زهرة، مرجع سابق، صن 177.

(5)- Julien, Op. cit, p, 27.

(6)- أبو القاسم، سعد الله، **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال**، دار نافع للطباعة، مصر، ط$_2$، 1776م ص، 24.

(7)- نفسه، ص ص، 24 – 25.

تلك المطالب مما جعل الضابط كولي يعلن الحصار على الجزائر في 16 جوان[1]. و قد رد الداي على ذلك بإصدار أوامر في 26 جوان تقضي بهدم المؤسسات، و المصارف الفرنسية في القالة، و عنابة بعد إجلاء الفرنسيين عنهما، و بذلك قدرت الخسائر الفرنسية فيهما بمليونين و نصف فرنك[2].

لقد أثار الحصار المفروض على الجزائر جدلا كبيرا في الأوساط الفرنسية بين مؤيد و رافض لاسيما بعدما كلف فرنسا مبلغا كبيرا قدر ب 20 مليون فرنك[3]. و عليه كلفت فرنسا الرائد لابروتونيير (La Bretonnière) بإعادة فتح المفاوضات مع الداي، و على إثرها سافر إلى الجزائر على متن سفينة لابروفانس ، و عقب وصوله حظي باستقبال حسن، و تم استئناف المفاوضات مع الداي في لقاءين الأول يوم 31 جويلية، و الثاني يوم 2 أوت 1829م، لكن لم يتوصلا إلى اتفاق في ظل إصرار فرنسا على مطالبها الأولى[4]. بعدها غادر الرائد على متن لابروفانس، التي اقتربت كثيرا من التحصينات الجزائرية، مما جعل البحارة يطلقون عليها النار[5]، و على إثر هذا الحادث قام الداي بمعاقبة وزير البحرية، و المسؤولين عن ذلك بطردهم من مناصبهم[6].

أما فرنسا فقد أثار غضبها إطلاق النار على سفينتها لابروفانس، و اعتبرت هذه الحادثة القطرة التي أفاضت الكأس مع الجزائر. و لم تعر أي اهتمام لما قام به الداي من

---

(1)- للمزيد من المعلومات عن الحصار الفرنسي على الجزائر، و كيف تعاملت معه الجزائر ...أنظر:

- ناصر الدين، سعيدوني، " الحصار البحري على السواحل الجزائرية 1827 – 1830"، المجلة التاريخية المغربية عدد 5، 1976م، ص، 35.

(2)- محمد، زروال، **العلاقات الجزائرية الفرنسية (1791 – 1830)**، مطبعة دحلب، الجزائر، ب.ط، ب.س، ص 94.

(3)- أبو القاسم، سعد الله، **أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر**، ج$_1$، دار الغرب الإسلامي، ط$_4$، 2005م، ص، 261.

(4)- زروال، مرجع سابق، ص ص، 105 – 108.

(5)- Julien, Op. cit, p, 33.

(6)- زروال، مرجع سابق، ص، 109.

إقالة المسؤولين عن الحادثة أو ما قدمه من تبريرات في رسالة بعث بها إلى الرائد لابروتونيير[1]، بل قرر الساسة الفرنسيون نهائيا شن حملة على الجزائر[2]، و أخذوا في القيام بالاستعدادات اللازمة لذلك.

إن كل ما أثارته فرنسا من مشاكل مع الجزائر لم تكن سوى ذرائع كانت تبحث عنها لإعطاء الشرعية لحملتها على الجزائر، لأنه كانت تقف وراء تلك الذرائع أسباب عديدة منها من تعود إلى عهد نابليون، و التي أراد تحقيقها كما أسلفنا في حملته على مصر و هي جعل البحر الأبيض المتوسط بحيرة فرنسية من اجل القضاء على النفوذ الانجليزي. مع تجهيز حملة أخرى عسكرية لاحتلال مصر نهائيا بعد احتلال الجزائر، و من ثم يتأتى لفرنسا السيطرة على المشرق العربي، و إلحاقه بالمستعمرات الفرنسية[3].

أما عن الأسباب التي تعود إلى حكومة شارل العاشر (Charles X)[4] منها: إشغال الرأي العام الفرنسي عن مشاكل فرنسا الداخلية بقضية خارجية، حتى تبعدهم عن الأفكار التحررية، و المعارضة الليبرالية[5]، و لم تكتف بالرأي العام بل حتى الجيش تخوفت من إمكانية انضمامه إلى المعارضة باعتبار أن أوربا في هذه الفترة تشهد نوعا من السلام لذلك اختلقت الذرائع لتبرير غزوها للجزائر، و بذلك تتمكن من إبعاد الجيش، و خاصة

---

(1)- عمار، حمداني، **حقيقة غزو الجزائر**، ترجمة لحسن زغدار، منشورات ثالة، الجزائر، ب.ط، 2007م، ص، 113.

(2)- بن عثمان خوجة، مصدر سابق، ص، 146.

(3)- هلال، مرجع سابق، ص ص، 37 – 38.

(4)- **شارل العاشر:** هو الكونت دارتوا، تولى الحكم سنة 1824م خلفا لأخيه لويس الثامن عشر عرف برجعيته، و تطرفه بحيث أعاد لرجال الدين كل امتيازاتهم.كما عرف عهده معارضة من جانب اللبراليين، لذلك أراد أن يشغل الرأي العام بقضية خارجية، فقرر القيام بحملة على الجزائر، لكن ذلك لم ينفعه بحيث في جويلية 1830م قامت ثورة في فرنسا على إثرها تم خلعه، و تولى لويس فليب الحكم بدله ...أنظر:

- قاسم، هاشم، مرجع سابق، ص ص، 106 – 107.

(5)- شريط، الميلي، مرجع سابق، ص، 49.

الضباط المشكوك في ولائهم[1]. و هذا ليس بغريب عن حكومات فرنسا، بحيث أن حكومة الإدارة عملت الشيء نفسه مع نابليون الذي كان يهدد بقاءها، لذلك وافقت على إرساله إلى مصر للتخلص منه و من شعبيته[2]. و كذلك أرادت فرنسا من حملتها على الجزائر التخلص من النمو الديمغرافي الذي كانت تعاني منه بسبب تحسن الظروف الصحية و المعيشية[3].

كما تطلعت فرنسا من احتلالها للجزائر مثل مصر من الحصول على ثروات الجزائر الزراعية و المعدنية و حتى المالية، و هذا ما ورد في تقرير وزير الحرب الفرنسي الجنرال كليرمون تونير (Clermont Tonnerre) إلى شارل العاشر في سبتمبر 1827م: " توجد مراسي عديدة على السواحل الجزائرية الطويلة التي يعتبر الاستيلاء عليها مفيدا لفرنسا، و تحوي أراضي الجزائر مناجم غنية بالحديد و الرصاص و تزخر بكميات هائلة من الملح و البارود. كما توجد في سواحلها ملاحات غنية. و إلى جانب كل هذه الثروات توجد الكنوز المكدسة في قصر الداي، و تفوق قيمتها 150 مليون فرنك"[4].

و بحصول فرنسا على ثروات الجزائر تكون قد وفرت المواد الأولية لصناعتها من جهة، و تفتح أسواقا جديدة لتصريف منتجاتها الصناعية من جهة أخرى، و هذا ما أكده الجنرال جيرارد (Girard) عشية نزول القوات الفرنسية بالجزائر: " إن هذا الاحتلال يستند إلى ضرورات هامة جدا، و يرمي إلى فتح منفذ واسع لتصريف بضائعنا، و تبادلها ببضائع أخرى أجنبية عن أرضنا، و عن مناخنا"[5]. و بذلك تعوض – مثلما حاولت

---

(1)- Claude, Bontent, **Manuel des institutions Algériennes de la domination turque àindépendance**, éditions Cutas, Paris, 1976, p p, 90 – 92.

(2)- قدورة، مرجع سابق، ص، 328.

(3)- شريط، الميلي، مرجع سابق، ص، 51.

(4)- نفسه، ص، 49.

(5)- Marcel, Egretaud, **Réalité de la nation algérienne**, éditions socials, Paris, 1961, p, 49.

تعويض ذلك في مصر- ما فقدته من مستعمرات في أمريكا و الهند، و كذلك غرب إفريقيا (السنغال) عقب حرب السبع سنوات (1756 – 1763) مع انجلترا، و كذلك بعض الأراضي في أوربا بعد حروبها في أوربا (الألزاس و اللورين).

كما سعت فرنسا باعتبارها حامية للمسيحية الكاثوليكية[1] في الأراضي العثمانية من الثأر لملكها لويس التاسع على هلاكه في تونس أثناء قيامه بآخر الحملات الصليبية[2] و هذا ما ذكره وزير الحرب الفرنسي كليرمون تونير أثناء الحملة على الجزائر لملكه شارل العاشر قائلا: " كان احتلالنا للجزائر اخذ بثأر الإهانة التي لحقت بممثل فرنسا و إرضاء للمسيحيين، و ذلك بإبادة المسلمين أشد أعداءهم طغيانا..."[3]. كما أضاف في التقرير نفسه: " مولاي ... إنها الإرادة الإلهية التي قضت بأن تنادي سليل القديس لويس ليأخذ الثأر، و ليقتص للدين و الإنسانية، و ليغسل العار الذي لحق به هو بالذات..."[4].

لقد أرادت فرنسا إلى جانب ثأرها لملكها لويس التاسع، إعادة إحياء المسيحية في إفريقيا، و هذا ما جاء في تقرير بعث به كذلك وزير الحرب الفرنسي كليرمون تونير إلى حكومته يوم 14 أكتوبر 1827م، عبر فيه عن آماله في تنصير الجزائريين بقوله: " يمكننا في المستقبل أن نكون سعداء و نحن نمدن الجزائريين، و أن نجعلهم مسيحيين لنحقق بذلك نصرا يبدوا أن العناية الإلهية تعده لنا "[5]. إضافة إلى تصريح شارل العاشر أثناء القيام

---

(1)- خديجة، بقطاش، **الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر (1830 – 1871)**، مطبعة دحلب، الجزائر، ب.ط، ص 17.

(2)- عبد الجليل، التميمي، " التفكير الديني و التبشيري لدى عدد من المسؤولين الفرنسيين في الجزائر في القرن التاسع عشر "، المجلة التاريخية المغربية، عدد 1، 1974م، ص، 13.

(3)- أحمد إسماعيل، راشد، **تاريخ أقطار المغرب العربي السياسي الحديث و المعاصر**، دار النهضة العربية، ط1 ، 2004م ص، 135.

(4)- نفسه، ص، 135.

(5)- Julien, Op. cit, p, 31.

بالاستعدادات اللازمة للقيام بالحملة على الجزائر في خطاب إلى العرش يوم 2 مارس 1830م[1] قائلا: " ... إن العمل الذي سأقوم به ترضية للشرف الفرنسي، سيكون بمساعدة العلي القدير لفائدة المسيحية كلها"[2].

كما يظهر كذلك إحياء المسيحية في التصريح الذي خص به دي برمون (De Bourmont)[3] القساوسة المرافقين للحملة، و الذين كان عددهم ستة عشر قسا[4] بعد دخوله إلى مدينة الجزائر بقوله: " أنكم أعدتم معنا فتح الباب للمسيحية في إفريقيا، و لنأمل أن تنيع الحضارة التي انطفأت في هذه الربوع"[5]. و هذا التصريح يدل على المكانة التي كان يتمتع بها رجال الدين لدى رجال البلاط الفرنسي في عهد حكومة شارل العاشر.

2.الاستعدادات للقيام و مواجهة الحملة الفرنسية:

لقد كانت الاستعدادات الفرنسية أثناء حملتها على مصر، و الجزائر قائمة على قدم و ساق، أما عن استعدادات المواجهة فقد كانت من الجزائر فقط، لتوقعها قدوم الحملة عليها في أي وقت بعدما ضرب عليها حصار دام ثلاث سنوات على عكس مصر التي لم تكن تعلم بقدوم الحملة عليها إلا بعد ظهور أسطولها على مشارف الإسكندرية.

---

(1)- حميد، قريتلي، **البعد الديني في السياسة الفرنسية في الجزائر (1830 – 1907)**، مذكرة ماجستير في التاريخ المعاصر، جامعة الجزائر (2)، 2010م، ص، 18.

(2)- المدني، مرجع سابق، ص، 46.

(3)- **د ي برمون:** هو دي غايزن د ي برمون، من مواليد سنة 1773م بمنطقة أنجو الفرنسية، و قد كان ضابطا في الجيش الفرنسي في عهد نابليون، لكن بعد معركة واترلوا فر إلى البرتغال رافضا العودة إلى نابليون، و الانضمام إليه. و باعتباره كان ملكيا فإنه بعد النظام الملكي إلى فرنسا عاد، و شارك معهم في عدة حروب و حملات ... للمزيد أنظر:

- غربي، و آخرون، مرجع سابق، ص ص، 307 – 309.

(4)- التميمي، مرجع سابق، ص، 14.

(5)- Gabrail, Edquer, **la price d'Alger**, Librairie la Rose, Paris, 1921, p, 320.

1.2.الاستعدادات الفرنسية للقيام بالحملة على مصر:

بعدما أتمت حكومة الإدارة دراسة كل الجوانب، و بأدق التفاصيل من خلال كل ما كتبه الرحالون، و القناصل قررت القيام بالحملة رسميا على مصر في 5 مارس 1798م[1] بعدها عهدت إلى نابليون في 12 أفريل القيام بالاستعدادات اللازمة للقيام بالحملة[2]، بعدما أسند إليه قيادتها[3]، و أصدرت تعليمات له تأمره فيها: " بتسيير القوات البرية و البحرية التي تحت قيادته إلى مصر، و الاستيلاء عليها، و طرد الانجليز من جميع البلاد الشرقية التي يستطيع الوصول إليها، و هدم المراكز التجارية التي لهم في البحر الأحمر. و عهدت إليه حفر برزخ السويس، و اتخاذ كل الوسائل اللازمة ليضمن للجمهورية الفرنسية احتلال البحر الأحمر"[4].

غير أن كل القرارات، و التعليمات كانت حكومة الإدارة تصدرها إلى نابليون في سرية تامة[5]، حتى لا تعلم الحكومة الانجليزية بوجهة الحملة[6]، و قد بالغت في التكتم عن وجهة الحملة إلى درجة أنها أطلقت على الجيش الذي أعدته لها اسم " الجناح الأيسر لجيش انجلترا"[7]، لتوهم انجلترا أنها مصممة على غزو الجزر البريطانية. حتى في فرنسا

---

(1)- Michéle, Battesti, **La bataille d' Aboukir 1798**, édition Economica, 1998, p, 1.

(2)- Yves, Laissus, **L' Egypte une aventure savente (1798 – 1801)**, Fayard, Paris, 1998, p, 24.

(3)- Bret, Op. cit, p, 22.

(4)- شبيكة، مرجع سابق، ص، 12.

(5)- Bret, Op. cit, p, 28.

(5)- شبيكة، مرجع سابق، ص، 13.

(7)- Bret, Op. cit, p, 28.

لا يعلم أحد بوجهة الحملة إلا رؤساء حكومة الإدارة و نابليون و تاليران[1].

لقد غادر نابليون من باريس إلى ميناء طولون في 9 ماي 1798م، ليشرف بنفسه على الاستعدادات الأخيرة للحملة قبل إبحارها[2]. و قد تم الاستعداد للحملة بما يتوافق مع أهدافها[3]، و يظهر ذلك في تكوينها، و التي ضمت أكبر أسطول شهده البحر المتوسط في ذلك الحين[4] المؤلف من 13 سفينة و 14 بارجة و 300 عمارة بحرية شاحنة[5]. كما تراوح عدد الجيش بين 30الى 45 ألف بين الجنود و الضباط[6]. و قد انضم إلى هذا الحشد عدد كبير من الأخصائيين في مختلف العلوم، و الفنون حيث بلغ عددهم 146 شخصا[7]، كما ألحقت الحملة بمطبعتين واحدة عربية، و الأخرى فرنسية بغرض طبع المناشير[8]. و قد استغرقت الاستعدادات للحملة أكثر من شهر، لتصبح جاهزة لإبحار نحو مصر.

---

(1)- عبد العزيز عمر، دراسات في تاريخ... ، مرجع سابق، ص، 99.

(2)- محمد أسد الله، صفا، **نابوليون بونابرت**، دار النفائس، بيروت، ط$_1$، 1988م، ص، 101.

(3)- العسلي، مرجع سابق، ص، 88.

(4)- عبد المنعم، مرجع سابق، ص، 130.

(5)- أوكتاف، أوبري، **نابليون**، نقله إلى العربية متري شماي، المطبعة البوليسية، لبنان، ب.ط، 1969م، ص، 25.

(6)- هناك اختلاف في عدد الجيش بين المؤرخين الفرنسيين و العرب، فالفرنسيون يتراوح عندهم ما بين 30 إلى 35 ألف بينما العرب منهم من ذكر حتى 60 ألف.

(7)- سيار، مرجع سابق، ص، 304.

(8)- محمود نجيب، أبو الليل، **الصحافة الفرنسية في مصر منذ نشأتها حتى الثورة العرابية**، مطبعة التخزين، القاهرة، ط$_1$ 1953م، ص، 258.

2.2.الاستعدادات الفرنسية للقيام بالحملة على الجزائر:

بعد فشل الحصار الفرنسي المضروب على الجزائر، و الذي دام قرابة ثلاث سنوات (1827 – 1830)[1] قرر مجلس الوزراء القيام بالاستعدادات اللازمة لشن حملة على الجزائر في جلسته المنعقدة يوم 30 جانفي 1830م. و قد صادق الملك الفرنسي على ذلك القرار يوم 7 فيفري[2] مصدرا مرسوما ملكيا بتعيين الكونت د ي برمون قائدا عاما للحملة، و الأميرال دوبيري (Duperré) قائدا للأسطول[3]، و بذلك تبدأ الاستعدادات الرسمية، و الحثيثة للإعداد للحملة على الجزائر[4].

لقد تزامن الإعداد للحملة بتولي دي بولينياك (De Polignac) لرئاسة الوزارة و الذي كانت له مشاريع لاحتلال الجزائر[5]، و البارون دي هوسي (D' Haussez) لمنصب وزير الحرب الفرنسي، و الذي كان يرى ضرورة قيام حكومته بحملة ضد الجزائر في ربيع 1830م، و هو التاريخ الفعلي لبداية الاستعدادات الفرنسية للقيام بالحملة على الجزائر[6].

لقد سعت فرنسا في إعداداتها للحملة على الجزائر لبلوغ هدفين: الأول هو محاولتها لكسب التأييد الدولي حتى تتجنب المنافسات، و تضمن نجاح حملتها على الجزائر ربما

---

(1)- شريط، الميلي، مرجع سابق، ص، 202.

(2)- سعد الله، محاضرات في تاريخ...، مرجع سابق، ص، 33.

(3)- De Grammont, Op. cit, p, 394.

(4)- سعد الله، محاضرات في تاريخ...، مرجع سابق، ص، 33.

(5)- Julien, Op. cit, p p, 33 – 35.

(6)- سعد الله، محاضرات في تاريخ ...، مرجع سابق، ص، 30.

حتى لا يتكرر معها ما حدث لها في مصر من وقوف الدول الأوربية إلى جانب الدولة العثمانية، مما جعل حملتها على مصر تفشل، لأنها لم تسع في ذلك الحين لكسب التأييد الدولي، و الذي كان في تلك الفترة يستحيل بسبب الحروب المتواصلة، و التي أشعلت نيرانها تقريبا على كل جبهات أوربا، أما الهدف الثاني هو الإعداد المادي للحملة.

ليتأتى لفرنسا الحصول على التأييد الدولي، فقد وجه رئيس الوزراء الفرنسي بولينياك في 12 مارس 1830م رسالة إلى جميع الدول شرح فيها الأسباب، التي دعت فرنسا للاستعداد للقيام بالحملة على الجزائر[1]، في ظل فشل كل المساعي السلمية لإصلاح الوضع مع الجزائر، ثم أعرب عن الخدمة التي ستقدمها فرنسا للدول الأوربية من وراء حملتها على الجزائر المتمثلة في تخليصها من القرصنة، و دفع الجزية[2]، كما أكد أنه بعد إسقاط الحكم العثماني بالجزائر، سيتشاور شارل العاشر مع حلفائه لتقرير مصير الجزائر[3].

لقد وافقت أغلبية الدول على الحملة الفرنسية على الجزائر، ما عدا انجلترا التي أصرت على فرنسا أن تقدم مبررات، و ضمانات أكثر على القيام بالحملة[4]، و هذا ما جعل بولينياك يوجه رسالة أخرى في 12 ماي 1830م إلى السفير الفرنسي بلندن الدوق دي لافال مخبرا إياه، بأنه وجه قبل إقلاع الحملة رسائل إلى كل حلفائهم، حتى يجعل الحملة مألوفة لكل أوربا حتى تتمكن تلك الدول من دعمه[5]، مركزا على

---

(1)- غربي، و آخرون، مرجع سابق، ص، 110.

(2)- أبو القاسم، سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج$_1$، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ب.ط، 1992م، ص، 16.

(3)- بوعزيز، مرجع سابق، ص ص، 135 – 136.

(4)- سعد الله، أبحاث و آراء ...،ج$_1$، مرجع سابق، ص ص، 263 – 264.

(5)- نفسه، ص، 267.

المصلحتين المتمايزتين التي دفعت فرنسا للقيام بالاستعدادات في موانئها للحملة على الجزائر مع ذكر أن: " المصلحة الأولى تخص فرنسا بالدرجة الأولى و هي: الثأر لشرف رايتنا، و الحصول على تصحيح الأخطاء التي كانت السبب المباشر في النزاع و المحافظة على ممتلكاتنا من الاعتداءات، و أعمال العنف التي تتعرض لها في كثير من الأحيان ثم الحصول على تعويض مالي بالقدر الذي تسمح به دولة الجزائر على مصاريف الحرب التي لم تتسبب فيها. أما المصلحة الثانية التي تهم المسيحية عامة، هي إلغاء نظام الرق و القرصنة و دفع الجزية التي ما زالت أوربا تدفعها إلى ولاية الجزائر"[1].

تمكنت فرنسا في خضم ثلاثة أشهر من حشد أسطول قوامه حوالي 37 ألف منهم 31 ألف من الجنود[2] مقسمون إلى ثلاث فرق: هيئة المدفعية، وحدة الهندسة، و فليق الخالية، و يتم نقل الجيش على متن 675 سفينة مع حمل ذخيرة لمدة أربعة أشهر[3] و التي قدرها د ي برمون ب 24 مليون فرنك، و بعدها يتم التمويل مما تحتويه خزينة القصبة طبعا بعد الاستيلاء عليها[4].

لقد رافقت الحملة على الجزائر مثل الحملة على مصر مجموعة من العلماء في مختلف الاختصاصات من رسامين، و رجال الدين، و القساوسة الذين بلغ عددهم 16 قسا[5] يرأسهم القس كومبري (Cumperré)، و فريق من الأطباء، و الصيدليين إضافة

---

(1)- سعد الله، أبحاث و آراء ...، ج$_1$، مرجع سابق، ص، 268.

(2)- Jean Bernardin, Soleillet, **Cap sur Alger (Toulon 25 mai 1830)**, L'Atlanthrope, Paris, 1980 p, 115.

(3)- حمداني، مرجع سابق، ص، 42.

(4)- مسعودي، مرجع سابق، ص، 42.

(5)- التميمي، مرجع سابق، ص، 14.

إلى عدد لا بأس به من المترجمين، و الذين بلغ عددهم أربعين مترجما، منهم من شارك في الحملة على مصر أمثال دوبراسوستر[1]، كما ألحقت الحملة بمطبعة بهدف إعداد جريدة، و نشرها في الجزائر خاصة، و في شمال إفريقيا عامة[2]، إضافة إلى قيام فرنسا بإعداد بيان باللغة العربية، و طبعه، و إرسال منه إلى الجزائر 400 نسخة بواسطة عملائها ، و جواسيسها إلى قنصلها في تونس لتوزيعه في الجزائر، بغية إضعاف معنويات أهالي الجزائر[3]، و عزلهم عن البلدان المجاورة لهم كي لا تقدم لهم يد العون، و نجد الشيء نفسه فعله نابليون أثناء الحملة على مصر، بحيث بعد إطلاقه سراح الأسرى المسلمين من جزيرة مالطا بعث إلى دول المغرب رسائل عن طريق قناصلهم الموجودين بهم يخبرهم بذلك، و كان يسعى من ذلك إلى ضمان حيادهم من تقديم أي دعم أو مساندة للمصريين و بالفعل كان له ما أراد لولا تخل الدولة العثمانية، لتجبر إيالاتها بالمغرب على إعلان الحرب ضد فرنسا[4].

3.2.الاستعدادات الجزائرية لمواجهة الحملة الفرنسية:

لقد كانت الجزائر على علم بأخبار الحملة الفرنسية عليها، و بتفاصيلها لذلك لابد عليها من الاستعدادات اللازمة لمواجهة تلك الحملة، على غرار مصر التي لا يمكنالحديث عن الاستعدادات فيها لمواجهة الحملة، لأنها لم تكن تعلم بأمر الحملة إلا قبل ثلاثة

---

(1)- مسعودي، مرجع سابق، ص، 14.

(2)- الزبير، سيف الإسلام، **تاريخ الصحافة في الجزائر**، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، ب.ط، 1971م، ص 21.

(3)- سعد الله، أبحاث و آراء ...، $ج_1$، مرجع سابق، ص، 265.

(4)- مج 3190، م أ، و 65، ق م بم و، ح، ج.

أيام من وصولها، لكن المصريين لم يصدقوا ذلك، إلا بعد ظهور الأسطول الفرنسي على ثغر الإسكندرية[1]، و بسبب سرعة إنزال القوات الفرنسية تخوفا من مهاجمة الأسطول الانجليزي لها من الخلف[2]، لم يتسن للمصريين القيام بأي شيء من الاستعداد قبل نزول القوات الفرنسية.

بالرغم من علم الجزائر بأخبار الحملة، و حتى المكان الذي حددته فرنسا لإنزال قواتها في الجزائر، من خلال الجواسيس الذين بعث بهم الداي حسين للتجسس على التحركات الفرنسية في كل من اسبانيا و ايطاليا و مالطة و جبل طارق و مرسيليا و طولون و باريس[3]، و هذا ما أكده أحمد باي[4] في مذكراته بقوله: " ذهبت سنة 1830م إلى مدينة الجزائر لأداء الدنوش أو الزيارة الإجبارية، التي يؤديها إلى الباشا جميع البايات مرة كل ثلاث سنوات ... و عندما حصرت بين يدي الباشا قال لي: ليس لديكم أكثر من الوقت الكافي للخروج إلى الفرنسيين الذين سينزلون بسيدي فرج، و إنني أعرف مكان النزول من الرسائل التي تصلني من بلادهم، و من كتاب طبع بفرنسا، و أرسله لي جواسيس من مالطة ، و جبل طارق إن تلك الرسائل ترد إلى من فرنسا، و إني على علم بكل ما يجري هناك"[5].

---

(1)- أمل، بشور، **حملة بونابرت إلى الشرق " مخطوطة نقولا الترك"**، دراسة و تحقيق، دار جروس بروس، لبنان، ب.ط 1993م، ص، 237.

(2)- كمال، حسنة، **العلاقات العثمانية الفرنسية في عهد سليم الثالث (1789 – 1807)**،مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث جامعة الجزائر، 2006م، ص، 103.

(3)- سعد الله، محاضرات في تاريخ ...، مرجع سابق، ص ص، 35 – 36.

(4)- **أحمد باي:** هو آخر البايات الذين حكموا قسنطينة، ولد سنة 1782م بقسنطينة، تربى هناك، و في الصحراء عند أخواله تعلم الفروسية، و تدرب على فنون القتال، لذلك كان فارسا شجاعا. تولى منصب الباي على قسنطينة في 1826م ، و تميز حكمه بالعدل و الاستقرار، كما اشتهرا بمحاربته للفرنسيين منذ أن وطأت أقدامهم ارض الجزائر ... للمزيد أنظر:

- بوعزة، بوضرساية، **الحاج أحمد باي**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة الجزائر، 1991م.

(5)- **مذكرات أحمد باي و حمدان خوجة و بوضربة**، تحقيق العربي الزبيري، الشركة الوطنية لنشر و التوزيع، الجزائر ب.ط، 1981م، ص، 11.

بالرغم كل ما توفر لها الجزائر من معلومات عن الحملة إلا أنها لم تكن حالها أحسن من مصر. لأن الداي لم يقم بالاستعدادات اللازمة لمواجهة الحملة، و حتى أنه لم يقم بتحصين سيدي فرج، رغم علمه بأنه مكان نزول القوات الفرنسية في الجزائر، و إنما اكتفى بالإجراءات الاحتياطية التي اتخذها الأغا يحي[1]، منذ إعلان الحصار على الجزائر.

إن إهمال الداي حسين للتحصينات البرية يعود لاعتقاده، أن الحملة الفرنسية الجزائر لن تتعدى الضرب من ناحية البحر، شأنها في ذلك شأن الحملات الأوربية السابقة لها، لذلك اهتم بالتحصينات البحرية دون غيرها[2]. كما كان يعتقد أن فرنسا رغم استعداداتها فإنها لن تتخلى عن مبدأ التفاوض معه معتمدا في اعتقاده على كثرة البعثات و الرسل التي توافدت عليه منذ وقت إعلان الحصار[3]. و مما زاد في اعتقاده مساعدات انجلترا من خلال قنصلها المتواجد في الجزائر، و الذي يقوم بنشاط ملحوظ منذ وقت إعلان الحصار، بدعوى أن انجلترا من مصلحتها استمرار النظام القائم في الجزائر لأنه بسقوطه ستتضرر مصالحها في الشرق. لذلك عندما كتب له والي مصر ناصحا إياه رد عليه بأن يبيع الفول للمسيحيين بدل إعطائه النصائح بدون جدوى[4].

لم يكتف الداي حسين بإهمال التحصينات البرية، وإنما أسند إليه قيادة الجيش لصهره

---

(1)- **الأغا يحي:** هو يحي بن مصطفى من اقلي مقره دنيز الروميلي، التحق بالجزائر صغيران و انضم في صفوفها العسكرية، ليصبح قائدا للجيش في عهد الداي حسين مدة حوالي 12 سنة، أهم ما تميز به نشاطه، و خبرته بشؤون البلاد و أهاليها، و هذا ما جعله محل غيرة، و شك من أعدائه الذين قدموا وثائق مزورة إلى الداي تثبت تآمره لقلب النظام لصالحه، و هذا ما جعل الداي يأمر بإعدامه. و بذلك تم خسران قائد لو كان وقت الغزو الفرنسي، لا اختلف الأمر، نظرا لما يتمتع به ... للمزيد أنظر:

- أبو عمران الشيخ، و آخرون، **معجم مشاهير المغاربة**، منشورات دحلب، الجزائر، 2007م، ص ص، 6 – 12.

- بن عثمان خوجة، مصدر سابق، ص صن 150 – 151.

(2)- نفسه، ص ص، 151 – 152.

(3)- سعد الله، محاضرات في تاريخ ...، مرجع سابق، ص، 36.

(4)- نفسه، ص، 36.

الأغا إبراهيم بعد إعدامه للأغا يحي[1]، و كان صهره لا تتوفر فيه المؤهلات لقيادة الجيش[2] لاسيما في تلك الظروف الصعبة التي كانت الجزائر تمر بها. فهو رغم تسليمه خطة الفرنسيين في الهجوم، و مكان نزولهم إلا أنه لم يقم بأي استعدادات لمواجهة الحملة[3]، بدعوى أن القبائل سيرغمون الفرنسيين على الفرار، منذ نزولهم على الأرض دون توجيه دعوة لهم ليأتوا إلى العاصمة لمواجهة الفرنسيين[4]. و اعتقاده هذا هو ما ذهب إليه مراد بك قبله أثناء تحذيره من الفرنسيين بقوله: " أتحسب أن هناك ما يدعونا إلى الخوف من الفرنسيين، خاصة إذا كانوا كهؤلاء الكاقاديات (التجار) الموجودين عندنا؟ عندما يهبط منهم مئة ألف ، يكفيني أن أرسل للقائهم التلاميذ المماليك الشبان، الذين سوف يقطعون رؤوسهم بحد ركاب سروج خيولهم"[5]. هذا و إن دل فإنما يدل على التقوقع و عدم مواكبة التطورات، التي حصلت في فرنسا بصفة خاصة، و أوربا بصفة عامة.

إضافة إلى كل ما سبق ادعى إبراهيم أغا أن لديه 5 آلاف من المغامرين سيذهبون إلى معسكر الفرنسيين ليلا، و يشيعون فيه الفوضى، و الاضطراب حتى يقتل الفرنسيون بعضهم بعضا. أما أهالي جرجرة فقد تخلوا عن إبراهيم، و عادوا إدراجهم لأنه لم يعطهم لا ذخيرة و لا مؤونة[6]، و فوق ذلك هو و الداي حسين أبقوا القوات التي جاءت من

---

(1)- بن عثمان خوجة، مصدر سابق، ص، 151.

(2)- نفسه، ص، 150.

(3)- نفسه، ص، 151.

(4)- سعد الله، محاضرات في تاريخ ...، مرجع سابق، ص، 38.

(5)- هنري، لورنس، **الحملة الفرنسية في مصر، بونابرت و الإسلام**، ترجمة بشير السباعي، دار سينا للنشر، ط$_1$ 1995م، ص، 139.

(6)- سعد اله، محاضرات في تاريخ ...، مرجع سابق، ص ص، 38 – 39.

البايليك خارج مدينة الجزائر[1]، لذلك فالاستعدادات الجزائرية لمواجهة الحملة الفرنسية كانت استعدادات ظاهرية تحمل كثيرا من الثقة الزائدة، و الأخطاء في الاستعداد[2]، التي ستظهر عشية نزول القوات الفرنسية إلى الجزائر كواقع لا ما فر منه.

3.سير الحملة الفرنسية على مصر و الجزائر:

1.3.سير الحملة الفرنسية على مصر:

عقب الانتهاء من الاستعدادات غادرت الحملة الفرنسية ميناء طولون متجهة نحو مصر في 19 ماي 1798م، بقيادة نابليون[3] الذي احتفظ بوجهة الحملة سرا حتى، و هم في عرض البحر.

بعد مرور عشرين يوما من الإبحار وصل نابليون إلى جزيرة مالطا في 9 جوان 1798م[4]، و استولى عليها بدون مقاومة تذكر[5]، و سلمت له القلعة في 12 جوان 1798م ، و بقي بها ستة أيام قام خلالها بتنظيمها، باعتبارها أصبحت مقاطعة تابعة لفرنسا. و في 19 جوان غادرها[6]، بعدما ترك بها حامية مؤلفة من 4 آلاف جندي مصطحبا معه المسلمين كمترجمين للحملة بعدما أطلق سراحهم من تلك الجزيرة[7].

---

(1)- سيمون، بفاير، **مذكرات**، تعريب أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، ب.ط، 1974م، ص، 64.

(2)- سعدالله، محاضرات في تاريخ ...، مرجع سابق، ص، 39.

(3)- صفا، مرجع سابق، ص، 101.

(4)- Battesti, Op. cit, p, 38.

(5)- جوزيف ماري، مواريه، **مذكرات ضابط في الحملة الفرنسية على مصر**، ترجمة و تقديم كاميليا صبحي، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 200م، ص، 24.

(6)- Battesti, Op. cit, p, 44.

(7)- علي، سلطان، **تاريخ العرب الحديث (1516 – 1918)**، منشورات طرابلس العلمية، طرابلس، ب.ط، ب.س ص، 145.

أما انجلترا فقد اعتقدت أن فرنسا ستقوم بغزوها، لذلك قامت بتحصين ثغورها[1] و عهدت إلى الأميرال نلس(Nelson)، بالتجول في عرض البحر الأبيض المتوسط لمراقبة تحركات الأسطول الفرنسي[2]، و لم يتمكن نلس من معرفة وجهة الحملة إلا بعدما توجه إلى جزيرة مالطا، و هناك علم بأن نابليون كان هناك. و بعد مغادرته تلك الجزيرة اتجه شرقا، بعدها أجمع نلس مع كبار ضباطه أن الوجهة مصر فاتجه إلى هناك[3].

أما نابليون بعد مغادرته جزيرة مالطا اتجه إلى جزيرة كريت، التي وصلها في 26 جوان 1798م، و هناك علم أن نلس على رأس أسطول ضخم كان على مقربة من الجزيرة، و أنه اتجه إلى جزيرة مالطا[4]، بعدها أصدر نابليون أوامره بالاتجاه إلى مصر و بذلك كشف الغطاء للجنود عن وجهة الحملة بعدما بقي سرها مكتوما عنهم.

لقد كان أول من وصل إلى الإسكندرية الأسطول الانجليزي[5]، بقيادة الأميرال نلس في 28 جوان[6]، و قد أرسل إلى السيد محمد كريم[7] حاكم مدينة الإسكندرية ينبه من

---

(1)- نقولا، الترك، **ذكر تملك جمهور الفرنساوية الأقطار المصرية و البلاد الشامية أو الحملة الفرنسية على مصر** و الشام، حققه و قدم له ياسين سويد، دار الفارابي،بيروت، ط$_1$، 1990م، ص، 26.

(2)- Battesti, Op.cit, p, 44.

(3)- عبد العزيز عمر، دراسات في تاريخ ...، مرجع سابق، ص، 100.

(4)- الجبرتي، عجايب الآثار ...، ج$_4$، مصدر سابق، ص، 45.

(5)- الأسطول الانجليزي يتكون من خمسة و عشرون مركبا، بحيث وصلت إلى الإسكندرية عشرة مراكب، ثم لحقت بها خمسة عشر مركبا آخر ...أنظر:

- الجبرتي، عجايب الآثار ...، ج$_4$، مصدر سابق، ص، 58.

(6)- عبد المنعم، شعيب، **المختصر في تاريخ مصر من أقدم العصور حتى الاحتلال البريطاني**، دار ابن زيدون، لبنان ب.ط، ب.س، ص، 237.

(7)- **محمد كريم:** عمل في البداية في حانوت بميناء الإسكندرية يزن البضائع، ثم عمل وكيلا بدار السعادة، و اتصل بمراد بك الذي رفع شانه، و قلده أمر الديوان، و الجمارك بالميناء ثم تولى أمر المدينة، و حين جاءت الحملة الفرنسية إلى مصر تصدى لها بكل قوة، و رفض التعاون مع الفرنسيين، و بعد دخول نابليون الإسكندرية عفا عنه، و عينه محافظا عليها. لكن بعدها اتهم بالعمل ضد الفرنسيين، و اعدم رميا بالرصاص في 6 سبتمبر 1798م ...أنظر:

- الجبرتي،عجايب الآثار...، ج$_4$، مصدر سابق، ص ص، 240 – 242.

احتمال حضور الأسطول الفرنسي، و يطلب منه الإذن في دخول الميناء لتزويد الأسطول بالمؤونة. لكن محمد كريم لم يأذن له، و أساء الظن في مقاصده[1]، و قال له أنه لا شغل للفرنسيين في مصر، فغادر نلس بأسطوله قاصدا شواطئ الأناضول للتزود[2].

بعد مرور ثلاثة أيام على مغادرة الأسطول الانجليزي، ظهر الأسطول الفرنسي على ثغر الإسكندرية في الفاتح من جويلية 1798م[3]. و طلب نابليون إحضار القنصل الفرنسي إليه الذي أخبره بمجيء الأسطول الانجليزي إلى الإسكندرية بحثا عنهم[4]. بعدها قرر نابليون الإسراع في إنزال قواته إلى البر خوفا من عودة الأسطول الانجليزي، و مهاجمته لهم، و هم في عرض البحر، و قبل أن يستعد أهالي الإسكندرية للمقاومة[5].

لكن نابليون قبل البدء في عملية الإنزال وجه نداء إلى جنوده يأمرهم بالامتناع عن كل ما يسيء إلى الأهالي في عقائدهم، و تقاليدهم بقوله: " أيها الجنود إن الشعب الذي سنتصل به يدين دين الإسلام ... فلا تعارضوهم في دينهم، و عاملوهم كما عاملتم اليهود و كما عاملتم الايطاليين. و احترموا مشايخهم... كما احترمتم الربانيين و الأحبار و القساوسة ... و ستجدون هنا عادات تختلف عن عادات أوربا فعليكم أن تألفوها"[6]. كما بعث بخطاب إلى الباشا العثماني لطمأنته بقوله: " إنني ما حضرت بنيات عدائية نحو القرآن أو نحو السلطان، إنك تعلم أن الأمة الفرنسية هي الحليفة الوحيدة للسلطان في أوربا. فبادر إلى مقابلتي، و اشترك معي في استنزال اللعنات على طائفة المماليك الممقوتة[7].

---

(1)- صبحي، مرجع سابق، ص، 160.

(2)- بشور، مصدر سابق، ص، 237.

(3)- صبحي، مرجع سابق، ص،27.

(4)- الترك، مصدر سابق، ص،27.

(5)- نفسه، ص ص، 27 – 28.

(6)- حسنة، مرجع سابق، ص، 103.

(7)- شبيكة، مرجع سابق، ص صن 15 – 16.

بعدها بدأ إنزال القوات الفرنسية إلى البر ليلة 2 جويلية[1]. و في الصباح زحفت نحو مدينة الإسكندرية، و قد هال ذلك سكانها، و حاكمها الذي بعث إلى إبراهيم و مراد بك ليصف لهم ضخامة الأسطول الفرنسي بقوله: " لا يعرف أولهما من آخرهما"[2]، و في الوقت نفسه استعد للمقاومة مع من معه، لكنهم لم يستطيعوا الصمود أمام قوات نابليون المدربة التي تمكنت من دخول المدينة و الاستيلاء عليها[3].

بالرغم من المقاومة التي أبداها أهل الإسكندرية، و حاكمها رأى نابليون أن ينتهج معه سياسة المسالمة على عكس – دي برمون رغم توقيعه لمعاهدة التسليم التي تنص على احترام الأهالي، و مقوماتهم فإنه ضرب بها عرض الحائط، و استباح المدينة بعد تسليمها له – بحيث أبقى نابليون على السيد محمد كريم محافظا على الإسكندرية بقوله: " لقد أخذتك و السلاح في يدك. و كان لي أن أعاملك معاملة الأسير. و لكنك استبسلت في الدفاع و الشجاعة متلازمة مع الشرف. لذلك أعيد إليك سلاحك، و آمل أن تبدي للجمهورية الفرنسية من الإخلاص ما كنت تبديه لحكومة سيئة"[4].

كما وزع نابليون منشورا باللغة العربية على الأهالي لطمأنتهم مؤكدا فيه أن الفرنسيين لم يأتوا لمحاربة المصريين. و أنهم أصدقاء للسلطان، و أنهم جاءوا لمحاربة المماليك، و الاضطهاد الذي يمارسونه عليهم بقوله: " ما قدمت إليكم إلا لأخلص حقكم من يد الظالمين"[5]. و أضاف قائلا: " الفرنساوية في كل وقت من الأوقات صاروا محبين مخلصين لحضرة السلطان العثماني"[6]. كما أكد في المنشور أيضا أن الفرنسيين مسلمون

---

(1)- Bret, Op. cit, p, 39.

(2)- الترك، مصدر سابق، ص، 28.

(3)-الجبرتي، عجايب الآثار ...، ج$_4$، مصدر سابق، ص ص، 64 – 65.

(4)- شبيكة، مرجع سابق، ص، 30.

(5)-الجبرتي، عجايب الآثار ...، ج$_4$، مرجع سابق، ص، 67

(6)- نفسه، ص،68.

حقيقيون، و أنهم خلعوا البابا الذي يحرض على محاربة المسلمين، لذلك يناشد جميع المصريين لمساعدته على طرد المماليك من مصر [1].

لقد حاول نابليون أن يستغل كره الأهالي للمماليك لما يمارسوه عليهم من ظلم و اضطهاد، لاستمالتهم و ضمان ولائهم حتى يجد المماليك أنفسهم وحدهم، و بذلك يتمكن من الانتصار عليهم بكل سهولة و يبعدهم عن مصر، و منها تنجح حملته على مصر و يحقق أحلامه الشرقية[2].

و بعد استتاب الأمن له في الإسكندرية غادرها تاركا وراءه الجنرال كليبر(Cléber)[3] بعدما عينه حاكما عليها، مع حامية كافية لإقرار الأمن فيها، نحو القاهرة التي رغم الصعاب، و المتاعب التي واجهته أثناء طريقه إليها، فإنه لم يتراجع و استطاع إحراز انتصار على المماليك في أول موقعة له معهم، و التي تعرف بموقعة شبراخيت في 13 جويلية 1798م، و كانت هذه الموقعة أول اختبار بين الطرفين[4]، بحيث لم يستطع المماليك بقيادة مراد بك الصمود أمام قذائف المدفعية الفرنسية فعادوا إلى القاهرة[5]. و أخذوا يستعدوا للقتال مع إبراهيم، و مراد بك الذي خسر هو الآخر في موقعة إمبابة التي كانت في 21 جويلية بعد حوالي ساعتين من القتال، وولوا فارين من القاهرة

---

(1)- الجبرتي، عجايب الآثار ...، ج$_4$، مصدر سابق، ص، 67.

(2)-Bret, Op. cit, p, 20.

(3)- **كلبير:** هو من مواليد سنة 1753م، درس فن العمارة و الهندسة الحربية،انضم إلى الحرس الوطني الفرنسي سنة 1789م. و هو كذلك من قادة الحملة الفرنسية على مصر، بحيث كان قائد الفرقة الأولى بها قبل تعينه حاكما على الإسكندرية، ليصبح بعد رحيل نابليون إلى فرنسا القائد العام للجيش الفرنسي بمصر إلى غاية اغتياله على يد سليمان الحلبي أثناء ثورة القاهرة الثانية سنة 1800م ... أنظر:

- عبد المنعم، مرجع سابق، ص ص ، 99 -100.

(4)- مواريه، مصدر سابق، ص ص، 43 – 44.

(5)- عبد الله عبد الرازق إبراهيم، شوقي الجمل، **تاريخ مصر و السودان الحديث و المعاصر**،دار الثقافة، القاهرة، ب.ط 1997م، ص، 82.

مع الباشا العثماني بحيث اتجه مراد بك إلى الصعيد، بينما فر إبراهيم بك إلى الشام[1]. و الواقع أنهم لم يستفيدوا من معركة شبراخيت، و يغيروا من تكتيكهم حتى يتجنبوا فتك المدفعية الفرنسية بهم. و بعدها سلمت القاهرة للفرنسيين، و وزع نابليون المنشور على الأهالي لطمأنتهم[2]، و بسقوط القاهرة يسقط النظام العثماني المملوكي في مصر.

2.3.سير الحملة الفرنسية على الجزائر:

بعد الانتهاء من الاستعدادات انطلقت الحملة الفرنسية الموجهة ضد الجزائر يوم 25 ماي 1830م، بقيادة د ي برمون من ميناء طولون[3]، لتصل على مرأى من شواطئ الجزائر في 31 ماي، لكن اضطراب البحر بسبب رداءة الأحوال الجوية حال دون إمكانية عملية الإنزال، لذلك انصرف الأسطول الفرنسي إلى جزيرة بالما لبضعة أيام[4]، و بعدها غادرها ليصل إلى الجزائر يوم 13 جوان، بعدما قام باستعراض للقوة على طول الساحل الجزائري، ثم اتجه إلى شبه جزيرة سيدي فرج لعلمهم بأنها نقطة ضعف الدفاع الجزائري[5].

لقد بدأ إنزال القوات الفرنسية إلى البر بسيدي فرج يوم 14 جوان 1830م[6] دون مقاومة تذكر لقوا أحمد باي: " نزل العدو في غرب الجزائر برجاله و فرسانه، دون أن يكن هناك أحد يملك الجنود و الفرسان لرده، كما أنه لم يكن هناك شخص مستعد لمحاربته

---

(1)- عبد الرازق إبراهيم، الجمل،مرجع سابق، ص، 83.

(2)- صبحي، مرجع سابق، ص، 160.

(3)- Soleillet, Op. cit, p, 158.

(4)- جمال، قنان، **دراسات في المقاومة و الاستعمار**، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، ب.ط، ب.س ص، 24.

(5)- سعد الله، الحركة الوطنية...، ج$_1$، مرجع سابق، ص، 16.

(6)- Calmann, Lévy, **La Derniére conquete du roi Alger 1830**, Tome 2, Copyright, Paris, 1930 p, 1.

مما سمح للعدو أن ينزل جنوده، و أن يحفر الخنادق، و ينصب مدافعه، و يحارب المسلمين المشتتين الذين لا يملكون البارود و الذخيرة"[1]. و تم الإنزال وفقا لخطة المهندس العسكري بوتان التي وضعها بأمر من نابليون سنة 1808م، و التي ذكر فيها أن أنجع طريقة لإنجاح الحملة، و السيطرة على الجزائر هي النزول من سيدي فرج[2].

لقد أصبحت سيدي فرج قاعدة عسكرية خلفية للقوات الفرنسية بعد استيلائهم على كل ما وجدوه بها. و اتخاذ د ي برمون من ضريح سيدي فرج مقرا لقيادته[3]، كما وضعوا خطا دفاعيا على الطريق المؤدي إلى العاصمة، و تجمعت وراءه السفن الحربية تحسبا لأي هجوم في ظل انتظار وصول بقية القوات الفرنسية[4].

تراجعت القوات الجزائرية التي كانت في سيدي فرج إلى اسطاولي، بناءا على طلب من الداي للاستعداد للمقاومة، و التي لم تكن تتجاوز 300 فارس مع الأغا إبراهيم[5] إضافة إلى عدد قليل من المحاربين كانوا مع باي قسنطينة، بينما باي التيطري كان لا يزال في عاصمة إقليمه (المدية)، و لم يصل إلا بعد بضعة أيام من نزول القوات الفرنسية. و لما وصل لم يأت معه أكثر من ألف رجل بعدما كان قد وعد الداي ب 20 ألف فارس[6]. أما باي وهران فإنه أرسل خليفته الذي لم يكن بعيدا عن سيدي فرج عشية نزول القوات الفرنسية بها[7].

---

(1)- هلال، مرجع سابق، ص، 52.

(2)- Julien, Op. cit, p ,51 – 52.

(3)- سعد الله، محاضرات في تاريخ ...، مرجع سابق، ص، 35.

(4)- مسعودي، مرجع سابق، ص، 46.

(5)- بن عثمان خوجة، مصدر سابق، ص، 152.

(6)- نفسه، ص، 153.

(7)- سعد الله،محاضرات في تاريخ ...، مرجع سابق، ص، 40.

بالرغم من وجود القوات الفرنسية بسيدي فرج، فإن الأغا إبراهيم لم يقم بأي شيء و حتى لم يأخذ بالنصائح التي وجهها له باي قسنطينة المتمثلة في توزيع القوات، و حفر الخنادق لمنع وصول القوات الفرنسية من تحقيق هدفها، و هو الزحف نحو العاصمة[1]. لكن الأغا اعتبر الباي جاهلا بالتكتيك الأوربي، الذي حسب رأيه يختلف عن التكتيك الحربي العربي، فما كان من الباي إلا أن يلتزم الصمت[2].

لقد اقتنع الأغا إبراهيم في آخر لحظة بنصائح أحمد باي، فأمر بحفر الخنادق التي كانت معطلة لجيشه أكثر ما هي معطلة للجيش الفرنسي[3]. ووزع القوات إلى ثلاث أقسام: الأول مرابط بباب عزون على أسوار المدينة، و الثاني في المنطقة التي تمتد بين البحر و المرتفعات المحيطة بمدينة الجزائر، و الثالث كان تحت قيادته مع باي قسنطينة، و خليفة باي التيطري معسكر في اسطاولي[4]. و لما أصبحت تلك القوات التي كانت على نحو 15 ألف[5] جاهزة هاجمت في 19جوان 1830م القوات الفرنسية، و تعرف هذه الواقعة بمعركة اسطاولي[6]، التي تمكنت القوات الجزائرية في البداية من الانتصار، و تكبيد قوات العدو خسائر و دحرهم إلى الوراء، لكن قيام القوات الفرنسية بهجوم معاكس بعد انسحاب القوات الجزائرية أدى إلى ترجيح كفة الانتصار لصالحهم، و تكبيد الجزائريين خسائر تراوحت ما بين 4 و 5 آلاف بين قتيل و جريح، بينما هم فقدوا 57 قتيلا و 473 جريحا و استولوا على المعسكر بما فيه[7].

---

(1)- بن عيمان خوجة، مصدر سابق، ص، 154.

(2)- نفسه، ص، 154.

(3)- سعد الله، محاضرات في تاريخ ...، مرجع سابق، ص ص، 40 – 41.

(4)-مسعودي، مرجع سابق، ص، 52.

(5)- بن يوسف، تلمساني، **التوسع الفرنسي في الجزائر(1830 -1870)**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة الجزائر، 2005م، ص، 37.

(6)- شريط، الميلي، مرجع سابق، ص، 53.

(7)- Julien, Op.cit, p, 53.

لقد خلفت معركة اسطاولي آثارا سيئة على نفوس الجزائريين، و أضعفت من معنوياتهم، و منهم الأغا إبراهيم الذي انسحب مباشرة بعد المعركة ليعزل نفسه في إحدى المنازل الريفية مع بعض خدمه[1]. و الداي حسين بدل عزله، و تغييره برجل له كفاءة يزيد في نفوس الجيش قوة، و عزيمة على مواصلة الحرب بعث له حمدان خوجة[2] ليرفع من معنوياته، و يقنعه بضرورة مواصلة قيادة الجيش، و الذي وجده يائسا منكسرا منحط المعنويات. فكيف لرجل بهذه النفسية يقود جيشا للفصل في مصير البلاد؟

بعد عودته قاد معركة أخرى كانت مثل سابقتها، و هي معركة سيدي خالف التي دارت أحداثها يوم 24 جوان 1830م[3]، حيث هاجمت القوات الجزائرية القوات الفرنسية التي كانت تقوم بعملية الاستطلاع، و تمكنت من إحراز انتصار عليها، غير أن وصول القوات الفرنسية أخرى في شكل جبهتين أجبرت القوات الجزائرية على التراجع، و التي وجدت نفسها محاصرة من قبل القوات الفرنسية.

إثر هزيمة سيدي خالف ترك إبراهيم قيادة الجيش من جديد، و أمام هربه لم يجد الداي حسين أمامه سوى عزله، و دعا المفتي ابن العنابي[4]، و أعطاه سيفا و أمره

---

(1)- بن عثمان خوجة، مصدر سابق، ص ص، 158 – 159.

(2)- **حمدان خوجة:** هو من مواليد سنة 1773م، تلقى علوم الدين و اللغة على يد والده و خاله و باقة من أساتذة ذلك العصر.و كانت له أسفار متعددة بحكم أنه رجل علم و ثقافة و دين، شغل عدة مناصب منها مستشار أول للداي حسين، و قد لازمه إلى غاية الاحتلال الفرنسي للجزائر. من مؤلفاته كتابه الضخم " المرآة". توفي سنة 1840 أو 1842م، و قبيل وفاته تفرغ للكتابة و التجارة ... للمزيد أنظر:

- عبد المجيد بن نعيمة، و آخرون، **موسوعة أعلام الجزائر (1830 – 1954)**، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954م، الأبيار، الجزائر، 2007م، ص ص، 121 – 131.

(3)- De Grammont, Op. cit, p, 404.

(4)- **ابن العنابي:** سمي بالعنابي نسبة إلى عنابة، و هو من مواليد سنة 1775م بمدينة الجزائر، و التي تلقى بها تعليمه الأول قبل سفره إلى مصر، و منها إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، ليتولى بعد عودته إلى الجزائر الإمامة و الإفتاء و الأوقاف إضافة إلى السفارة، فقد بعثه الداي عمر كسفير إلى المغرب لطلب المعونة بعد حملة اكسموث الانجليزي ثم إلى اسطنبول لنفس الغرض. غير أنه بعد احتلال الجزائر نفته سلطات الاحتلال، فتوجه إلى مصر أين تولى الإفتاء للحنفية إلى غاية وفاته سنة 1850م ... للمزيد أنظر:

- الشيخ، و آخرون، مرجع سابق، ص ص، 346 – 347.

بجمع الناس، و إقناعهم بالجهاد[1]. أما قيادة الجيش فقد أعطاها إلى باي التيطري مصطفى بومزراق لكن تغيير القيادة في هذه الظروف لم يكن يدل على الحكمة، و بعد النظر لأن الباي رغم ما يتمتع به من الشجاعة و التجربة، فإنه لم يقم سوى بجمع الغنائم، و اختيار البنادق الطويلة لإطلاق الرصاص على الفرنسيين[2].

و في هذه الأثناء كان الخزناجي يتولى الدفاع عن قلعة مولاي حسن (حصن الإمبراطور)، و الذي كان يطمح للاستيلاء على الحكم من الداي حسين، و كان طموحه يزداد كلما اقترب الفرنسيون من القلعة، و يظهر ذلك في لا مبالاته بأبواب القلعة إن كانت مفتوحة أو مغلوغة، و قيامه بتفجير مخزن البارود الصغير الذي أحدث ضجة كبيرة في المدينة، و لو فجر المخزن الكبير لكان الأمر مهولا بالنسبة للمدينة و السكان[3].

تمكن الفرنسيون في 29 جوان 1830م من الوصول إلى المرتفعات المحيطة بقلعة مولاي حسن من ناحية الغرب، و بعد إتمام استعدادهم[4] هاجموا القلعة يوم 4 جويلية و بعد ساعات من القصف استطاع الفرنسيون من السيطرة عليها، و بذلك سهلت عليهم مواصلة الزحف نحو العاصمة[5]. و يصف لنا أحمد الشريف الزهار[6] ذلك بقوله: " بينما كان العدو بين المتارز التي هي أعلى برج مولاي حسن، دخل الخوف في قلوب الناس

---

(1)- بن عثمان خوجة، مصدر سابق، ص ص، 159 – 160.

(2)- سعد الله، محاضرات في تاريخ ...، مرجع سابق، ص، 43.

(3)- De Grammont, Op. cit, p, 404.

(4)- شارل روبير، أجيرون، **تاريخ الجزائر المعاصرة**، ترجمة عيسى عصفور، منشورات عويدات، بيروت، ط$_1$، 1982م ص، 15.

(5)- **أحمد شريف الزهار:** هو من الأشراف بالجزائر لتوارث عائلته مهنة الأشراف، ولد سنة 1781م بالجزائر، و تلقى بها تعليمه الأول. و أثناء الحملة الفرنسية شارك في الدفاع عن مدينة الجزائر، و نفي على إثرها إلى تونس ثم المغرب الأقصى ليعود بعدها، و يتقلد نقابة الأشراف في ظل الإدارة الفرنسية إلى غاية وافاته سنة 1872م ...أنظر:

- الشيخ، و آخرون، مرجع سابق، ص ص، 221 – 224.

و اشتد الأمر على المسلمين، و أتم الفرنسيون بناء هذه المتارز، و اشتد أزرهم بها ... نصب في تلك المتارز ما يزيد على ألفي مدفع، و صار يضرب البرج ... تهدم البرج بعد قتال كبير، و مات خلق كثير من الفريقين، و اشتد الأمر على من بقي في البرج، فمنهم من هرب منهم من ألقى بنفسه من أعلى الجدران، و منهم من تدلى بحبل، و خرج من بقي فيه و منهم الخزناجي..."[1].

بعد استيلاء الفرنسيين على حصن مولاي حسن جمع الداي أعيان المدينة، و رجال الدين و شرح لهم الوضع الذي آلت إليه البلاد، طالبا منهم النصح، و الإرشاد بين إمكانية مواصلة المقاومة ضد الفرنسيين أو يجب تسليم المدينة إليهم. لكن الحاضرين أجابوه جوابا يحمل نوعا من الغموض خوفا من أن يكون رأيه مخالفا لرأي الداي[2].

بعدها بدأت روح الهزيمة تدب في أوصال الجهاز الإداري، و الاجتماعي و كان للبيان الذي وزعه الفرنسيون تأثير كبير على الجزائريين، لما حمله من وعود لاحترام مقوماتهم كما فعلوه مع إخوانهم في مصر، و بأنهم جاءوا لتأديب الداي، بمعنى أن الحملة موجهة ضد العثمانيين، و ليس ضد الجزائريين، مما جعلهم يثقون في كلام فرنسا باعتبارها أمة شريفة[3]، و شعارات ثورتها مازالت تلوح في الأفق، لذلك اعتبروا أن أمة مثلها لا يمكن أن تخلف وعودها، لكن الواقع اثبت لهم مع مرور الوقت عكس ما كانوا يعتقدوه في فرنسا.

---

(1)- أحمد الشريف، الزهار، **مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار**، إشراف و تحقيق أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، ط$_2$، 1974م، ص، 174.

(2)- سعد الله، محاضرات في تاريخ ...، مرجع سابق،ص، 44.

(3)- نفسه، ص ص، 44 – 45.

قبل ثلاثة أيام من دخول الجيش الفرنسي إلى العاصمة، اجتمع عدد من أعيان المدينة في قلعة باب البحرية، رأوا أن ضياع المدينة أمر لا مفر منه، و انه إذا دخلها الفرنسيون عنوة سيبحونها، لتجنب ذلك رأوا على الداي قبول التفاوض مع الفرنسيين مع عدم مقاومتهم لهم أثناء دخول المدينة، و أرسلوا وفدا إلى الداي لاطلاعه على ما اتفقوا عليه[1].

و بناءا على طلب أعيان المدينة أرسل الداي كاتبه مصطفى مع قنصل انجلترا و أحمد بوضربة، و حسن بن عثمان خوجة، للتفاوض مع القائد العام للقوات الفرنسية د ي برمون[2]. غير أن مصطفى كان يتفاوض باسم الخزناجي لا باسم الداي لكن د ي برمون رد عليه قائلا: " ما أتيت من أجل تشجيع الاغتيالات، و إنما أتيت من أجل خوض الحرب سأوافق على اقتراح حسين باشا الذي طلب إبرام معاهدة السلم... لكي يحقن كثيرا من الدماء"[3]. و بعد مراجعة المعاهدة وقعها الداي حسين يوم 5 جويلية 1830م، و بذلك سلمت للفرنسيين مدينة الجزائر[4]، التي بمجرد دخولهم إليها أقاموا الصلوات في مساجدها، و استباحوها في الأرواح و الأملاك و الأعراض، و ذلك بموافقة القائد العام د ي برمون[5].

غير أن ما سمح به دي برمون لقواته بعد دخولها مدينة الجزائر، فإن نابليون منعه على قواته بعد دخوله إلى مصر بصفة عامة، و القاهرة بصفة خاصة، و ذلك من خلال

---

(1)- بن عثمان خوجة، مصدر سابق، ص، 169.

(2)- De Grammont, Op. cit, p, 406.

(3)- بن عثمان خوجة، مصدر سابق، ص، 170.

(4)- محفوظ، قداش، **جزائر الجزائريين (1830 – 1954)**، ترجمة محمد المعراجي،المؤسسة الوطنية للاتصال و النشر و الإشهار، ب.ط، 2008م، ص، 13.

(5)- غربي، و آخرون، مرجع سابق، ص، 120.

الأمر الذي أصدره بإعدام كل جندي من جنوده رميا بالرصاص يسيء إلى أهالي مصر خاصة ما تعلق منه بالجانب الديني. و لم يكتف نابليون بهذا الأمر، و إنما بعد تسليم القاهرة إليه عفا عن من حاربوه، و قام ببعض الإصلاحات فيها، و ذلك بإنشاء ديوان لحكم مصر[1]، و أشرك في عضويته علماء مصر[2]، كما أمر بإنشاء اثني عشر مصنعا في القاهرة لسد حاجة الجيش و الأهالي[3]. و بالفعل أنشأتا فيما بعد تلك المصانع. و من خلال ما سبق نستخلص أن السياسة التي اتبعها نابليون في مصر خاصة في بداية نجاح حملته عليها غير السياسة التي اتبعها دي برمون في الجزائر".

---

(1)- صبحي، مرجع سابق، ص، 164.

(2)- عدد العلماء المصريين في الديوان الذي أنشأه نابليون عشرة من كبار علماء مصر، برئاسة عبد الله الشرقاوي ... أنظر:

- صبحي، مرجع سابق، ص، 165.

(3)- أولج، فولكف، **القاهرة مدينة ألف ليلة و ليلة (969 – 1969**، ترجمة أحمد صليحة، الهيئة العامة للكتاب، مصر ب.ط، 1986م، ص، 141.

الفصـــــل الـــــثاني:

موقف الدولة العثمانية من الحملة الفرنسية على مصر والجزائر

1. **موقف الدولة العثمانية من الحملة الفرنسية على مصر و الجزائر**
2. **موقف الجزائر من الحملة الفرنسية على مصر**
3. **موقف محمد علي باشا من الحملة الفرنسية على الجزائر**

1.موقف الدولة العثمانية من الحملة الفرنسية على مصر و الجزائر:

لقد كان الموقف العثماني من الحملة الفرنسية على مصر و الجزائر مرتبطا ارتباطا وثيقا بأوضاعها الداخلية والخارجية من جهة، وبأوضاع أوربا من جهة أخرى فهي في الحملتين اتخذت موقف المراقب من بعيد في البداية لما يجري في مصر والجزائر وكانت تتحين الفرص، و الظروف كي تجد من يساعدها أو بالأحرى من يدفعها إلى اتخاذ موقف. وقد تباين موقفها بين الحملة على مصر والجزائر. ففي مصر منذ اتخاذها موقف أعلنت مباشرة الحرب ضد فرنسا[1]، أما في الجزائر فقد اكتفت فقط بالتدخلات الصورية الهزيلة من أجل إيجاد حل للوضع في الجزائر[2]. ربما يعود ذلك إلى أن الدولة العثمانية في حربها ضد الفرنسيين في مصر وجدت قوى تآزرها وتدعمها في حربها، أما في الجزائر فلم تجد.

1.1.موقف الدولة العثمانية من الحملة الفرنسية على مصر:

لقد كانت الدولة العثمانية تربطها علاقة صداقة، مع فرنسا حتى في عهد حكومة الإدارة، حيث اعترف السلطان العثماني سليم الثالث[3]، بالجمهورية الفرنسية في سنة 1974م، بعدما وقفت في وجهها العديد من الدول إذ لم يكن كل الدول في أوروبا، وحتى خارجها. واعتراف السلطان العثماني سليم الثالث بذلك نابع من إعجابه بمبادئ ثورة الفرنسية وقدراتها العسكرية، إلى درجة استعانته ببعض خبراء فرنسا العسكريين لتدريب

---

(1)- العسلي،مرجع سابق، ص، 92.

(2)- شريط، الميلي،مرجع سابق، ص،57.

(3)- **سليم الثالث:** هو ابن السلطان مصطفى الثلث، ولد سنة 1761م باسطنبول. و قد تولى الحكم سنة 1789م، و كان عهده حافلا بالأحداث سواء ما تعلق منها بالحرب مع روسيا أو فرنسا التي غزت مصر، و التي تمكن من إخراجها منها بعد إقامته للحلف الدولي. كما شهد عصره تمردات سواء في شبه الجزيرة العربية أو في الصرب مع تجدد الحرب مع روسيا، و آخرها ثورة قباقجي التي حدثت سنة 1807م، و على إثرها تم إبعاده عن العرش، و مات بعدها بسنة واحدة عن عمر يناهز 46 عاما ...أنظر:

- عبد القادر، أوغلو، **السلاطين العثمانيون**، ترجمة محمد جان، تونس، دار سحنون، ب.ط، 1990م، ص، 74.

القواتالعسكرية العثمانية، حتى أثناء قيام فرنسا بالحملة على مصر[1].

بالرغم من تلك الصداقة التي جمعت بين الدولة العثمانية، و فرنسا في عهد حكومة الإدارة، فإن فرنسا تجرأت، و قامت بالحملة على مصر حتى دون إبلاغ الدولة العثمانية وهي تعرف عز المعرفة بأن مصر من أهم الإيالات العثمانية في المشرق، نظرا لما تتمتع به من موقع استراتيجي ممتاز[2]، و مكانة اقتصادية، لسيطرتها على طرق التجارة العالمية[3].

لذلك عملت حكومة الإدارة كل ما في وسعها لجمع أكبر قدر ممكن من الحجج البراهين لإقناع السلطان العثماني أن الحملة ليست موجهة ضده ، و إنما موجهة ضد المماليك نتيجة ظلمهم للتجار الفرنسيين[4]. و مثلما حاولت أيضا إقناعه في حملتها ضد الجزائر، بأن الحملة ليست موجهة ضده ، و إنما موجهة ضد أوجاق الجزائر المتمردين على طاعته، و حاولت بكل الطرق للحصول منه على فرمان الموافقة على حملتها على الجزائر لكنها لم تفلح في ذلك[5]. و تأتي جهود فرنسا المبذولة لإقناع الدولة العثمانية حتى تتجنب أي رد سلبي منها اتجاه حملتها على مصر و الجزائر.

لقد اعتمدت فرنسا في حملتها على مصر، لإقناع السلطان العثماني على سفرائها المتواجدين في اسطنبول، ووزرائها أمثال تاليران، الذي كان متأكدا من نجاح الحملة على مصر، كما حاول تبديد مخاوف نابليون، و حكومة الإدارة من أي معارضة[6] في تقرير رفعه إلى حكومة الإدارة بقوله: " يجب على حكومة الإدارة أن لا تخشى شيئا، بحيث لن

---

(1)- جلال، العالم العربي ...، مرجع سابق، ص، 92.

(2)- شكري، مرجع سابق، ص، 119.

(3)- قدورة، مرجع سابق، ص، 327.

(4)- شبيكة، مرجع سابق، ص، 9.

(5)- زهرة، مرجع سابق، ص ص، 203 – 206.

(6)- حسنة، مرجع سابق، 105.

تكون أية معارضة لامتلاكنا مصر"[1]. كما أبدى تاليران استعداده للذهاب إلى اسطنبول والدفاع عن مشروع الحملة، غير أنه غير رأيه في آخر لحظة، و لم يسافر إلى اسطنبول مما دفع بحكومة الإدارة إلى استدعاء السفير الفرنسي السابق باسطنبول ديسكورش وتكليفه بمهمة السفر إلى اسطنبول، وإقناع السلطان العثماني، بأن الحملة ليست موجهة ضده و إنما موجهة ضد المماليك. و لقد جاء تكليف حكومة الإدارة لديسكورش بتلك المهمة نظرا لما يتمتع به من القدرة الكبيرة على المفاوضات و الإقناع. غير أنه تأخر كثيرا في السفر مما جعل خبر إعلان الدولة العثمانية الحرب على بلاده تصل قبل تحركه، و بذلك ألغيت سفارته التي أصبحت لا جدوى منها[2].

غير أن الدولة العثمانية في البداية لم تتخذ أي موقف اتجاه الحملة الفرنسية على مصر، وظلت مترددة في قطع علاقاتها مع فرنسا[3]، رغم ضغط كل من انجلترا و روسيا من خلال سفرائهما المتواجدين باسطنبول على السلطان العثماني بإعلان الحرب على فرنسا لاسيما بعد دخول الفرنسيين إلى مصر[4]. إلا أن السلطان العثماني في البداية اكتفى باستدعاء السفير الفرنسي باسطنبول لإعطائه معلومات، و توضيحات أكثر على ما تقوم به بلاده في مصر، إلا أن السفير أنكر ذلك، و ادعى أنه لا يعرف شيئا عن الموضوع[5].

غير أن الشيء الذي دفع الدولة العثمانية إلى تغيير موقفها، وعلى رأسها سلطانها سليم الثالث، هي معركة أبي قير التي كان بطلها الأميرال نلسن، الذي تمكن من مفاجأة الأسطول الفرنسي، وهو راسي في أبي قير، ومهاجمته[6] بحيث تمكن من تحطيمه إلا

---

(1)- حسنة، مرجع سابق، ص، 105.

(2)- Laissus, Op. cit, p, 134.

(3)- لطف الله أحمد، جحاف، **نصوص يمنية عن الحملة الفرنسية على مصر**، نشر و تحقيق سيد مصطفى سالم، مركز الدراسات اليمنية، اليمن، ب.ط، ب.س.

(4)- عبد العزيز عمر، دراسات في تاريخ ...، مرجع سابق، ص ص، 109 – 110.

(5)- نفسه، ص، 110.

(6)- سلطان، مرجع سابق، ص، 146.

أربع سفن[1] فرت إلى جزيرة مالطا في أوت 1798م[2]. و أسفرت هذه المعركة عن قطع الاتصال بين الفرنسيين في مصر وحكومتهم في فرنسا. و عقب ذلك رأى السلطان العثماني أن الظروف أصبحت مهيأة لإعلان الحرب على فرنسا على أمل التغلب عليهم وطردهم من مصر، خاصة أن انجلترا و روسيا أعلنت انضمامها إلى جانب الدولة العثمانية، و تعهدتا أن تساندها مساندة كبيرة في حربها ضد فرنسا[3].

لقد أعلنت الدولة العثمانية رسميا الحرب على فرنسا بعد مرور شهر على موقعة أبي قي أي في سبتمبر 1798م[4]. وبذلك أصبحت تهدد فرنسا بتدخل عسكري ضد الفرنسيين المتواجدين في مصر، و قد جاء هذا القرار لتفنيد ما كان يدعيه نابليون بأن هدفه هو تحرير مصر من المماليك بتفويض من السلطان العثماني[5].

بعد مرور اثني عشر يوما على إعلان السلطان العثماني "سليم الثالث" الحرب ضد فرنسا قام بصياغة منشور أوضح فيه الأسباب التي دفعته إلى إعلان الحرب ضد فرنسا بقوله: " ... بعد وصول خبر الحملة على مصر استدعينا المكلف بأعمال فرنسا روفين لكي يقدم توضيحات لكنه أجاب، وقال أنه لا يعرف شيئا حول الموضوع ... وحتى السفير العثماني بباريس سعيد علي أفندي طلبنا منه توضيحات حول الموضوع من حكومة الإدارة... وعندما التقى سعيد علي أفندي مع تاليران، أوضح له هذا الأخير، أنه لا توجد أي حملة ضد مصر بل أكد له أن أسطول بونابرت كان متوجها إلى مالطة ... إن مسألة إخلاء مصر تهم كل المسلمين دون استثناء، لذلك لم يبق أمام الدولة العثمانية، إلا

---

(1)- العسلي، مرجع سابق، ص، 92.

(2)-Battesti, Op. cit, p, 93.

(3)- Le Bonder Denys, Juchereau, **Histoire de l' empire Ottoman depuis 1792 jusqu' en 1844** Tome deux, Paris, imprimerie de Guiraud et Jouaust, 1844, p, 80.

(4)- لوتسكي، مرجع سابق، ص، 52.

(5)- العسلي، ص، 92.

أخذ السلاح ضد الفرنسيين الذين تجرؤا على غزو إحدى مقاطعاتهم... "[1].

بعد ذلك قام السلطان العثماني بسجن القنصل الفرنسي باسطنبول ، وكل العاملين معه ، مع مصادرة أملاكهم. ثم بعث بفرمانات إلى الإيالات العربية المنضوية تحت لوائه طالبا منها إعلان الحرب ضد الفرنسيين مع سجن كل الفرنسيين المتواجدين على أراضيهم[2].

بالرغم من فشل مساعي حكومة الإدارة ونابليون في إقناع الدولة العثمانية بأن الحملة ليست موجهة ضدها، و إنما موجهة ضد المماليك. وبالرغم من إعلان السلطان العثماني الحرب على فرنسا، فإن نابليون لم يفقد الأمل في بذل جهود أكثر من أجل إقناع السلطان العثماني بالعدول عن قراره بإعلان الحرب ضد بلاده، و ذلك من رزنامة الرسائل التي بعث بها إلى السفير الفرنسي باسطنبول في 9 نوفمبر 1798م بعضها موجه إلى الصدر الأعظم يوسف باشا[3] الذي طلب منه توضيحات عن عدم تلقيه أي رد على رسائله المبعوثة إليه مؤكدا على أواصر، وروابط الصداقة التي جمعت بين فرنسا و الدولة العثمانية بقوله: " ... صدقوني أنني أرغب في الغزو، واستعمال كل إمكانياتي وقوتي لفعل شيء يفيد السلطان ... "[4].

لقد باءت محاولات نابليون مع الصدر الأعظم بالفشل لأنه لم يتلق أي رد منه على رسائله، لذلك لجأ إلى طريقة أخرى، وهي بعث العثمانيين المتواجدين في الإسكندرية مع

---

(1)- حسنة، مرجع سابق، ص ص، 109 – 110.

(2)- عبد العزيز عمر، دراسات في تاريخ ...، مرجع سابق، ص، 113.

(3)- **يوسف باشا:** الصدر الأعظم في عهد السلطان سليم الثالث و حمود الثاني، و أصله من جورجيا عين واليا على أضروم، ثم قائدا للجيش العثماني الذي أرسل إلى مصر لإخراج الفرنسيين منها. و في عهد السلطان مصطفى عين واليا على بغداد، ثم تولى قيادة الجيش في الحرب مع روسيا، لكنه عزل بعد ذلك لعدم خبرته في شؤون الحرب و الإدارة، و ذلك بهزيمته في كل المعارك التي خاضها تقريبا، و توفي سنة 1818م ...أنظر:

- حسين مجيب، المصري، **معجم الدولة العثمانية**، مكتبة لأنجلو المصرية، القاهرة، 1989م، ص، 253. نقلا عن الجبرتي مظهر التقديس ...، ج$_1$، مصدر سابق، ص، 64.

(4)- حسنة، مرجع سابق، ص، 113.

القنصل الفرنسي هناك بوشمب (Bouchamps)[1] بقوله:" اليوم سأقدم لكم دليلا آخر ببعث الحامية العثمانية مع المواطن الفرنسي بوشمب أتمنى أن يبقى مبعوثي مدة قصيرة في اسطنبول وابعثوا معه مطالبكم و رغباتكم ... و تقبلوا مني مشاعر الصداقة "[2] .

كما زود نابليون بوشمب بتعليمات في إخبار القنصل الفرنسي بأوضاعهم في مصر مع إقناع السلطان العثماني أن الحملة ليست موجهة ضده، وإنما هدف الفرنسيين الموجودين في الإسكندرية هو معاقبة المماليك. مع التوسط للمساجين الفرنسيين لدى السلطات العثمانية حتى تقوم بإطلاق سراحهم. وكذلك تحذير الدولة العثمانية من النوايا الحقيقية لكل من انجلترا و روسيا والنمسا الساعية إلى تقسيم ممتلكاتها[3].

غير أن بوشمب لم يتمكن من تنفيذ تعليمات نابليون، لأنه تم أسره، وهو في طريقه إلى اسطنبول من طرف الإنجليز، و بأمر من السلطان العثماني سليم الثالث الذي أصبحت عنده مساعي فرنسا غير مجدية، باعتباره قد أعلن الحرب عليها. وهو في ذلك الوقت يتأهب لتوقيع معاهدات مع الدول التي أعربت انضمامها إليه في حربه ضد فرنسا، وبذلك سيكون سليم الثالث قد كون تحالفا ضد فرنسا، على العكس في الحملة الفرنسية على الجزائر فإن السلطان العثماني محمود الثاني[4] لم يجد من يأخذ بيده، و يتحالف معه في

---

(1)- حسنة، مرجع سابق، ص ص، 113 – 114.

(2)- نفسه، ص، 114.

(3)- نفسه، ص، 114.

(4)- **محمود الثاني:** هو ابن السلطان العثماني عبد الحميد الأول، و لد في سنة 1785م باسطنبول، و تلقى دراسة علمية جيدة مثل باقي السلاطين، و من بين هؤلاء السلاطين الذين اهتموا به شخصيا السلطان سليم الثالث. و كان عند ارتقائه العرش لم يتجاوز 23 من عمره، بحيث حكم مدة طويلة تصل إلى 31 سنة، و تميز عهده بعدة أحداث منها : الحرب مع روسيا في سنة 1812م، و التي انتهت بتوقيع معاهدة بكرش، وما كادت تنتهي حتى ظهرت الحركة الوهابية التي ألب عيها محمد علي الذي تمكن من القضاء عليها، بعدها ثورة اليونان التي تم إخمادها بعد ما راح ضحيتها الآلاف من المدنيين، و تم على إثرها إلغاء الجيش الانكشاري بناءا على فتوى من شيخ الإسلام. لتتجدد الحرب بعدها مع روسيا في سنة 1827م، و التي أثناءها تحطم معظم الأسطول العثماني إلى جانبه الأسطول الجزائري، و انتهت هذه الحرب بفرض معاهدة ثقيلة على الدولة العثمانية. ثم احتلال الجزائر من طرف فرنسا، و ختاما لعده تمردات محمد علي، و ما نتج عنها ليتوفى في سنة 1839م بداء السل الذي أصابه نتيجة الحوادث الكثيرة التي حدثت في عهده ... أنظر:

- عبد القادر، أغلو، مرجع سابق، ص، 77.

حربه ضد فرنسا.

1.1.1.التحالف الدولي ضد فرنسا :

بعد إعلان الدولة العثمانية الحرب على فرنسا في ظل فشل كل مساعي حكومة الإدارة، لإقناعها باتخاذ موقف ايجابي اتجاه حملتها على مصر. بدأت تتهيأ لتوقيع الاتفاقيات من أجل عقد التحالف مع القوى المعادية لفرنسا ، و التي أعربت عن استعدادها للوقوف مع الدولة العثمانية في حملتها على الفرنسيين المتواجدين بمصر، خاصة انجلترا وروسيا، و ذلك من خلال سفرائهم المتواجدين باسطنبول[1].

لقد كانت أول معاهدة وقعتها الدولة العثمانية مع القوى المعادية لفرنسا أو قوى التحالف هي روسيا، و ذلك بعد مفاوضات أجراها سفيرها باسطنبول مع الريس أفندي كممثل عن الجانب العثماني في جويلية 1798م[2]. و في نفس الوقت الذي كانت روسيا تجري فيه مفاوضات مع الدولة العثمانية كانت كذلك تجري مفاوضات مع انجلترا حول التحالف ضد فرنسا[3]. أسفرت المفاوضات بين الدولة العثمانية وروسيا عن توقيع معاهدة دفاعية هجومية في 25 ديسمبر 1798م لمدة ثماني سنوات[4]، و نصت هذه المعاهدة على بنود علنية وأخرى سرية[5].

فالبنود العلنية تتمثل في الحلف الدفاعي، بحيث سيكون للدولتين خلال هذه المعاهدة نفس الحلفاء، و نفس الأعداء مع احتفاظ كل دولة منهما بسيادة ممتلكاتها بما في ممتلكات الإيالات التابعة للدولة العثمانية منهم مصر،وبالتالي فإن هذا الحلف هو حلف دفاعي وليس

---

(1)- عبد المنعم، الهاشمي، **الخلافة العثمانية**، دار ابن حزم، بيروت، ط$_1$، 2004م، ص، 411.

(2)- عبد العزيز عمر، دراسات في تاريخ ...، مرجع سابق، ص، 113.

(3)- نفسه، ص، 113.

(4)- عبد الرازق إبراهيم، الجمل، مرجع سابق، ص ص، 95 – 96.

(5)- الهاشمي، مرجع سابق، ص، 411.

موجه للقيام بالحروب ما دام هدفه هو الحفاظ على ممتلكات كل من الدولتين.

أما البنود السرية للمعاهدة تتمثل في تعهد روسيا بإمداد الدولة العثمانية باثني عشر قطعة حربية، و إذا زاد الأمر و تفاقم ، فإنها تتعهد بتعزيز القوات العثمانية بقوات برية يتراوح عددها بين 75 و 80 ألف جندي روسي، في مقابل ذلك تتعهد الدولة العثمانية هذه المرة فقط بالسماح للسفن الروسية الحربية بالمرور في المضايق التي تسيطر عليها مرورا حرا[1].

بعد الاتفاق على البنود العلنية، و السرية للمعاهدة وقع السلطان سليم الثالث مع قيصر روسيا بول الأول[2] تلك المعاهدة. و يعود فضل ذلك إلى نابليون، و حملته على مصر فلولاه ما كانت روسيا، و الدولة العثمانية ليوقعا معاهدة باعتبار أن روسيا هي من أكثر الدول التي لها حروب، و عداءات مع الدولة العثمانية خاصة في العهد الذي سبق القيصر بول الأول[3].

لم تكتف روسيا بتحالفها هي فقط مع الدولة العثمانية ، وإنما دعت بعض الدول الأوربية كانجلترا و بروسيا و النمسا و غيرهم للتحالف مع الدولة العثمانية ضد فرنسا[4]. وكانت أول من استجابت لدعوة روسيا انجلترا، و انضمت إلى التحالف الروسي العثماني

---

(1)- عبد العزيز، الشناوي، **الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها**، ج$_1$، مكتبة لأنجلو المصرية، القاهرة، ب.ط 1984م، ص ص، 198 – 199.

(2)- **بول الأول:** هو ابن بطرس الثالث و كاترين الثانية. ولد سنة 1754م في بيترسبورغ. حكم روسيا من سنة 1796م إلى غاية 1808م، اثر مؤامرة حوكت ضده من طرف الكونت باهلن الذي كان رئيسا لبيترسبورغ ، و قد لعب هذا الأخير دور كبير في توجيه السياسة الروسية في عهد بول الأول.

(3)- العهد الذي سبق عهد بول الأول، هو عهد والدته كاترين الثانية التي عرفت بطموحها، و حبها في التوسع، لذلك خاضت عدة حروب مع عدة دول خاصة منهم الدولة العثمانية ... للمزيد أنظر:

- أبو علية، ياغي، مرجع سابق، ص ص، 243 – 245.

(4)- عبد العزيز عمر، دراسات في تاريخ ...، مرجع سابق، ص، 114.

في 5 جانفي 1799م، وذلك من خلال إبرام معاهدة مع الدولة العثمانية[1]جاء فيها ما يلي: " إن جلالة ملك بريطانيا الذي تربطه بإمبراطور روسيا أواصر المحالفة الوثيقة قد انضم الآن في هذه المحالفة (المبرمة بين بريطانيا و الدولة العثمانية) إلى المحالفة الدفاعية التي تم إبرامها أخيرا بين السلطان العثماني و قيصر روسيا "[2].

لقد نصت المعاهدة التي أبرمتها انجلترا مع الدولة العثمانية على نفس البنود العلنية التي نصت عليها معاهدة روسيا مع الدولة العثمانية، مع إضافة بعض البنود كأن تقوم الدولة العثمانية رفقة انجلترا بالقيام بعمليات مشتركة لضرب الفرنسيين بمصر. بالمقابل يتعهد السلطان العثماني سليم الثالث بغلق كل الموانئ الموجودة بأراضيه في وجه التجارة الفرنسية. و قد حضر جيش قوامه 100 ألف جندي للغرض سالف الذكر، أما انجلترا من جهتها تتعهد بتوظيف بحريتها للغرض نفسه[3].

كما استجابت لدعوة روسيا، و انضمت إلى التحالف الموجه ضد فرنسا مملكة نابولي بتوقيعها معاهدة مع الدولة العثمانية في 21 جانفي 1799م، و النمسا في 24 جانفي 1799م بعد إعلانها الحرب على فرنسا بسبب الهزائم الشنيعة التي ألحقتهم بها في الولايات الإيطالية. أما بروسيا فقد رفضت انضمامها إلى التحالف الدولي الموجه ضد فرنسا[4].

بناء على ما سبق فقد ضم التحالف الدولي ضد فرنسا كل من الدولة العثمانية بطبيعة الحال، باعتبار أن مصرمن إيالاتها، وبالتالي فالاعتداء على مصر بمثابة الاعتداء عليها. وروسيا و انجلترا العدوة اللدودة، و التقليدية لفرنسا و نابولي و النمسا فيما

---

(1)- عبد العزيز عمر، دراسات في تاريخ ...، مرجع سابق، ص، 114.

(2)- نفسه، ص، 114.

(3)- حسنة، مرجع سابق، ص، 116.

(4)- عبد العزيز عمر، دراسات في تاريخ ...، مرجع سابق، ص، 114.

بعد[1]. فكيف قابل المصريين كل ما قامت به الدولة العثمانية لمساعدتهم على طرد الفرنسيين من أراضيهم؟

2.1.1.*صدى الموقف العثماني في مصر:*

رغم إتباع نابليون لسياسة الاستمالة مع أهالي مصر عموما، و أهالي القاهرة خصوصا كمشاركتهم في الاحتفال بأعيادهم مثل عيد وفاء النيل[2] الذي كان في 18 أوت 1798م، بحيث شاركهم نابليون هذا العيد مع جيشه بإقامة الزينات، و إطلاق المدافع والصواريخ من البر و البحر[3]، وكذلك عيد المولد النبوي الشريف المصادف ل 24 أوت 1798م، بحيث أهداهم المال بهذه المناسبة للاحتفال بها، كما أنه بعد حلول موسم الحج عمل كما كانت تجرى العادة من قبله، بحيث عين أميرا لركب الحج في احتفال بهيج بذلك التعيين[4]. إلا أن ذلك لم يجد مع المصريين الذين كانت نفوسهم تمتلئ غضبا على الفرنسيين نتيجة الضرائب الباهظة التي فرضها نابليون على الأهالي، والتي كانت تزداد يوما بعد اليوم إضافة إلى أعمال أخرى تثير النفوس[5].

لذلك كان المصريون ينتظرون فقط الشرارة التي تشعل، و تخرج ما بداخلهم من سخط و غضب على الفرنسيين. لذلك بعد إعلان الدولة العثمانية الحرب على فرنسا في سبتمبر 1798م[6]، و تهديد نابليون بتدخل عسكري ضده في مصر، رأى المصريون في

---

(1)- الهاشمي، مرجع سابق، ص،412.

(2)- Bernard, Op. cit, p, 321.

(3)- صبحي، مرجع سابق، ص، 166.

(4)- عبد العزيز محمد، الشناوي، **صور من دور الأزهر في مقاومة الاحتلال الفرنسي لمصر في أواخر القرن الثامن عشر** مطبعة دار الكتب، القاهرة، ب.ط، 1971م، ص ص، 38 – 43.

(5)- للمزيد عن الضرائب و الأعمال التي قام بها الفرنسيين، و أثارت نفوس المصريين ...أنظر:

- الشناوي، صور من دور الأزهر ...، مرجع سابق، ص ص، 77 – 99.

(6)- Laissus, Op. cit, p, 134.

ذلك فرصة لهم لإخراج ما في نفوسهم، فقاموا بثورة في القاهرة في 21 أكتوبر 1798م هذا من جهة[1]، وعبروا من خلال تلك الثورة عن استجابتهم لقرار الدولة العثمانية باعتبارها مركز الخلافة الإسلامية من جهة أخرى[2]، و بذلك باءت كل محاولات نابليون بالفشل في فصل مصر عن الدولة العثمانية مركز الخلافة الإسلامية[3].

لقد كان مركز ثورة القاهرة جامع الأزهر[4]، لأن علماء هذا الأخير هم من تزعم تلك الثورة، و اتخذوا من جامع الأزهر مركزا لهم لتنظيم، و انطلاق الثورة[5]. لقد تمكن الثوار في البداية من التغلب على الجنود الفرنسيين في أحياء عدة من القاهرة، حتى أنهم استطاعوا قتل حاكم القاهرة الجنرال ديبوي(DIBOUE)[6]، لأن نابليون في هذه الأثناء كان خارج القاهرة يتفقد بعض النواحي.

بعد ما علم نابليون بتلك الثورة عاد مسرعا إلى القاهرة، و أصدر أوامره بمهاجمة حي الأزهر، و قصفه بما في ذلك الجامع، و قطع كل السبل المؤدية إليه، و بذلك وجد

---

(1)- Laissus, Op. cit, p, 135.

(2)- و قد جاءت استجابة المصريين لخلافتهم عن طريق المنشور الذي بعثه لهم السلطان سليم الثالث عن طريق الشام الذي يحثهم فيه على إعلان الحرب ضد الفرنسيين ... للمزيد أنظر

- الشناوي، صور من دور الأزهر ...، مرجع سابق، ص ص، 69 – 73.

(3)- العسلي، مرجع سابق، ص، 92.

(4)- **جامع الأزهر:** بعدما دانت مصر للفاطميين حوالي سنة 968م، لم يشاءوا الاصطدام مع السنيين في مساجدهم من أجل إقامة شعائر المذهب الفاطمي، لذلك قام جوهر ببناء الجامع الأزهر في سنة 970م، و بعد سنتين تقريبا تم بناؤه و إقامة الصلاة فيه. و اهتم به الخلفاء الفاطميين حتى حولوه إلى مدرسة تستقبل الطلاب من كل صوب و حدب.و لما وصل صلاح الدين إلى الخلافة عزل علماء الشيعة، و عين علماء من المذهب الشافعي، و بذلك استعاد المذهب السني قوته على حساب المذهب الشيعي الذي ضعف حتى زال، و لم يبق له أنصار في مصر، و بذلك أصبح الجامع الأزهر من أهم الجامعات الإسلامية. و قد تم ترميمه و إصلاحه أكثر من مرة ... أنظر:

- حسين إبراهيم، حسن، **تاريخ الإسلام السياسي و الديني و الثقافي و الاجتماعي**، ج$_4$، دار الجيل، بيروت، ط$_1$، 2001م ص ص، 578 – 581.

(5)- صبحي، مرجع سابق، ص، 168.

(6)- Laissus, Op. cit, p, 137.

الثوار أنفسهم محاصرين بين قذائف المدافع، و نار الجنود فاضطروا إلى الاستسلام[1]بعدها دخل الجنود إلى جامع الأزهر عنوة، و يصف الجبرتي بقوله : " ثم دخل أولئك الوعول إلى الجامع الأزهر، و هم راكبون الخيول وولجوه من الباب الكبير وخرجوا من الباب الثاني حيث موقف الحمير، و داس فيه المشاة بالنعالات، و هم يحملون السلاح و البندقيات و تفرقوا في صحنه و مقصورته و ربطوا خيولهم بقبلته، و عاثوا بالأروقة و البحرات (مساكن الطلاب) و كسروا القناديل و السهارات و فتحوا خزائن الطلبة المجاورين و الكتبة و نهبوا ما وجدوه من المتاع و الأواني و القصاع و الودائع المخبآت بالدواليب و الخزانات، و شققوا الكتب و المصاحف، و على الأرض طرحوها بأرجلهم و نعالاتهم داسوها "[2]. لقد استطاع الفرنسيون بفضل تفوق عتادهم و كثرة عددهم من إخماد نار الثورة التي لم تستمر أكثر من ثلاثة أيام، وانتقموا من الذين شاركوا فيها بإعدامهم بما في ذلك العلماء[3]، هكذا دفع المصريون ضريبة الثورة لوحدهم التي من أسباب قيامها الاستجابة لمركز الخلافة الإسلامية .

2.1.موقف الدولة العثمانية من الحملة الفرنسية على الجزائر:

لقد علمت الدولة العثمانية بنشوب الحرب بين الجزائر و فرنسا في 2 أوت 1827م على إثر مذكرة كتبها إليه سفير فرنسا باسطنبول[4]، أعرب فيها عن وجوب التدخل العسكري في الجزائر بقوله : " ... و حيث أن الداي قد زاد من تعدياته السابقة ، بتحقيره قنصل فرنسا في الجزائر ، فإن جناب إمبراطور فرنسا اضطر إلى طلب ترضية علنية مهددا بإعلان الحرب في حالة رفض طلبه ، إلا أن طلبه قد رفض و عليه فالحرب

---

(1)- الجبرتي، عجايب الآثار ...، ج4، مصدر سابق، ص، 128.

(2)- نفسه، ص، 129.

(3)- صبحي، مرجع سابق، ص، 170.

(4)- أرجمنت، كوران، **السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر**، ترجمة عبد الجليل التميمي، منشورات الجامعة التونسية، تونس، ب.ط، 1970م، ص، 39.

محققة"[1]. كما أخبرهم بقيام بلاده بضرب الحاصر على السواحل الجزائرية[2]. و قد بررت فرنسا إعلانها الحرب على الجزائر بناء على ما ورد في البند الحادي عشر[3] من المعاهدة المبرمة بين فرنسا، و الدولة العثمانية في 30 ماي 1740م.

غير أن الدولة العثمانية، و كعادتها في البداية قررت عدم التدخل في الحرب الناشبة بين فرنسا و الجزائر، في اجتماع ترأسه الصدر الأعظم، و بحضور وزير البحرية خسروا باشا لانهماكها بإخماد ثورة جزيرة مورا[4]، وتحطيم بعد ذلك أسطولها في معركة نافارين في 20 ديسمبر 1827م[5]، و تجدد حربها مع روسيا هذا من جهة، و من جهة أخرى ثقتها في الجزائر بأنها قادرة على التصدي لفرنسا كما كانت تفعل من قبل، لذلك لم تكن تنوي التدخل في تلك الحرب[6]، و اكتفت بالكتابة عن طريق وزير حربيتها إلى مفتي الجزائر بأزمير خليل أفندي لإعطائها معلومات أكثر حول الحرب الناشبة بين بلاده فرنسا[7]، و الذي بدوره كتب إلى حكومته مخبرا إياها بعلم الدولة العثمانية بخبر حربها

---

(1)- كوران، مرجع سابق، ص، 39.

(2)- نفسه، ص، 39.

(3)- ينص البند الحادي عشر على أنه: عندما يرسي قراصنة الجزائر في موانئ الفرنسيين فعلى هؤلاء أن يراعوهم و يقدموا إليهم البارود و الرصاص و الأشرعة و سائر الآلات. و على الجزائريين أن لا يغيروا على أسرى، و أموال التجار الفرنسيين عندما يلاقوهم، و قد منعوا من القيام بذلك عدة مرات في زمن عظمة جدنا المرحوم. و لكنهم لم يكفوا عن ذلك و مازالوا على العدوان، و مع أن السلطنة الهمايونية غير راضية عن ذلك، فيجب إذن إعتاق الأسرى الفرنسيين إن وجدوا و إعادة أموالهم كاملة، و إذا تمادى القراصنة في عصيانهم، و استمروا في عدوانهم ووقع إعلامنا من طرف السعادة، فإنه يجب عزل والي الجزائر أيا كان، و يقع بعدها دفع التعويضات عن الآلات المغار عليها، و إذا لم يمتثلوا لأمري الشريف مع تنبيههم لذلك، فعلى ملك فرنسا إذا ما وصلوا إلى الموانئ الفرنسية أن يرفض قبولهم بموانئه و قلاعه كما أن الوسائل التي يستعملها لمعاقبتهم سوف لن تمس بسوء هاته المعاهدة، و ذلك تماشيا مع الحكم الشريف الصادر زمن أجدادنا، الذي مازلنا متمسكين به و واعدين ملك فرنسا بتأكيد شاكياته، أو التعبير عن ارتياحه فيما يتعلق بهذا الأمر ... أنظر:

- زروال، مرجع سابق، ص ص، 151 – 152.

(4)- كوران، مرجع سابق، ص ص، 40 – 41.

(5)- حميدة، عميراوي، **دراسات في تاريخ الجزائر الحديث**، دار الهدى، الجزائر، ط$_2$، 2004م، ص، 18.

(6)- كوران، مرجع سابق، ص، 41.

(7)- نفسه، ص، 41.

مع فرنسا طالبا منها معلومات أكثر عن الأسباب الحقيقية التي دفعتهم إلى الحرب مع فرنسا، حتى يتمكن من الإجابة على أسئلة وزراء الدولة العثمانية[1].

رد الداي حسين على مفتي الجزائر بأزمير، وهي نفس الرسالة التي بعث بها إلى الصدر الأعظم، شارحا فيها الأسباب التي أدت إلى الحرب مع فرنسا، طالبا الإذن بالسماح بتجنيد الانكشاريين في أزمير للالتحاق بالجزائر[2]. و قد وافقت الدولة العثمانية على طلب الداي حسين، و طلبت من حاكم أزمير، و حكام المدن الأخرى بالسماح للمتطوعين بالتوجه إلى الجزائر[3].

غير أنه بعد اشتداد النزاع بين الجزائر و فرنسا، في ظل فشل المفاوضات التي كانت بينهما في الوصول إلى حل يرضي الطرفين. وبعدما وضعت الحرب أوزارها التي كانت قائمة بين الدولة العثمانية و روسيا، بتوقيع معاهدة أدرنة في سبتمبر 1829م[4] قررت الدولة العثمانية التدخل في النزاع الجزائري– الفرنسي، لكن بطريقة سلمية عن طريق إرسال مفتي الجزائر السابق بأزمير خليل أفندي إلى الجزائر في مهمة غير رسمية لتسوية الخلاف بين الجزائر و فرنسا[5]، كما أوصته بأن يطلب من الداي حسين التزام الحياد في النزاع القائم بين النمسا و مراكش[6]، وقد جاء هذا الطلب بناءا على رجاء سفير النمسا باسطنبول للسلطان العثماني[7].

وصل خليل أفندي إلى الجزائر في أواخر شهر نوفمبر 1829م على متن سفينة

---

(1)- مج 3190 ، م أ، و 230، ق م بم و، ح، ج.

(2)- مج 3190، م أ، و 257، ق م بم و، ح ، ج.

(3)- مج 3190، م أ، و 259، ق م بم و، ح، ج.

(4)- كوران، مرجع سابق، ص، 45.

(5)- مج 3190، م أ، و 361، ق م بم و، ح، ج.

(6)- مج 3190، م أ، و 335، ق م بم و، ح، ج.

(7)- كوران، مرجع سابق، ص، 45.

انجليزية بلووس التي انطلق على متنها من ميناء أزمير[1]، و فور وصوله طلب من الداي حسين إرسال بعثة جزائرية إلى فرنسا للاعتذار منها على ما حدث لقنصلها دوفال وسفينتها لابروفانس. لكن الداي رفض ذلك في البداية، و هدد حتى بقتله[2]. لكن تدخل القنصل الإنجليزي إلى جانب خليل أفندي في مباحثاته مع الداي حسين التي استغرقت ساعات تمكن من إقناعه بمهمة خليل أفندي[3]، مما جعل الداي يسمح له بإجراء لقاء مع قائد الأسطول الفرنسي المحاصر للجزائر الرائد لابروتونيير الذي كتب له خليل أفندي في 10 ديسمبر 1829م رسالة[4] تضمنت شروط الداي و هي :

–رفضه لإعادة بناء الباستيون بالقالة

– رفضه إعطاء احتكار التجارة بعنابة للفرنسيين

– على فرنسا أن تدفع أكبر قيمة من المال إن أرادت الاحتفاظ بصيد المرجان

– تبقى المعاهدات المبرمة بين الطرفين سارية المفعول

– في حالة قبول فرنسا لهذه الشروط عليها بإرسال مفوضا يلتقي بخليل أفندي الموجود بالساحل على متن السفينة بلووس.

– على فرنسا أن تدفع أكبر قيمة من المال إن أرادت الاحتفاظ بصيد المرجان

– تبقى المعاهدات المبرمة بين الطرفين سارية المفعول

---

(1)- زهرة، مرجع سابق، ص، 220.

(2)- نفسه، ص، 220.

(3)- نفسه، ص، 221.

(4)- مج 3190، م أ، و 359، ق م بم و، ح، ج.

– في حالة قبول فرنسا لهذه الشروط عليها بإرسال مفوضا يلتقييلتقي بخليل أفندي الموجود بالساحل على متن السفينة بلووس[1].

كما ساعد خليل أفندي في مهمته مع لابروتونيير القنصل الانجليزي الذي وجه رسالة إلى الأميرال لابروتونيير في نفس اليوم الذي بعث فيه خليل أفندي برسالة إليه مؤكدا له فيها أن ما عرضه الداي من شروط هذه المرة ما هي إلا دليل على رغبته في حل الخلاف مع فرنسا بطريقة سلمية، ناصحا إياه في الأخير باستغلال الفرصة لفض الخلاف مع الجزائر[2].

أما لابروتونيير فقد اعتبر شروط الداي حسين لا جديد فيها ، بينما حكومته رأت فيها شروط غير معقولة، و لا يمكنها الموافقة عليها، و هذا ما أخبر به لابروتونيير خليل أفندي في 31 جانفي 1830م[3]، و بذلك تكون مهمة خليل أفندي باءت بالفشل في التوصل إلى حل للنزاع بين الجزائر و فرنسا، و عليه لم يبق له ما يفعله في الجزائر التي غادرها في جوان 1830م[4].

في الوقت الذي سافر فيه خليل أفندي إلى الجزائر كان السفير الفرنسي باسطنبول الكونت فييومينو(Guilleminot) يجري لقاء سريا مع رئيس الكتاب العثماني برتيف أفندي[5] و خلال هذا اللقاء قدم له السفير الفرنسي مذكرة التي يعترف فيها بتبعية الجزائر للدولة العثمانية كما ذكر فيها تمرد أوجاق الجزائر على الدولة العثمانية لذلك اقترح على

---

(1)- زهرة، مرجع سابق، ص، 221.

(2)- نفسه، ص، 221.

(3)- نفسه، ص، 222.

(4)- نفسه، ص، 222.

(5)- كوران، مرجع سابق، ص ص، 45 – 46.

الدولة العثمانية القيام بحملة تأديبية لهم يتولاها محمد علي[1] بمساعدة فرنسا لإرجاعها إلى الحظيرة العثمانية، وفي الأخير أعلن أن فرنسا ستقوم بحركة عسكرية من البحر، و البر ضد الجزائر في حالة رفض الدولة العثمانية للمقترحات الفرنسية[2]. لكن الدولة العثمانية رفضت ذلك لأنه في نظرها لا يجوز إرسال عساكر إلى أرض مطيعة لها[3]. بعدما فشل كل من خليل أفندي في مهمته بالجزائر، و الكونت قييومينو في اسطنبول اقترح القنصل الانجليزي في اسطنبول قوردن تكوين لجنة يتألف أعضاؤها من الطرفين (العثماني – الفرنسي) مع إرسال هذه اللجنة إلى الجزائر لتسوية الخلاف هناك[4].

لقد وافق السلطان العثماني على اقتراح القنصل الإنجليزي، و كلف طاهر باشا بالسفر إلى الجزائر في شهر مارس 1830م[5]، لكنه لم يسافر و تأخر عن موعد السفر الذي حدده له السلطان العثماني بسبب تماطل السفير الفرنسي في تعيين الموظف الفرنسي الذي سيصحبه في مهمته[6]. ليأتي بعد ذلك و يخبره عن عدم إمكان إرسال موظف معه واكتفى بإرسال رسالة معه إلى قائد الأسطول الفرنسي المحاصر للجزائر دوكليرفال

---

(1)- **محمد علي:** هو من مواليد سنة 1769م بمدينة قولة، و لما بلغ أشده التحق بالجهادية ثم اشتغل بالتجارة، و انضم إلى الحملة العثمانية التي أتت إلى مصر لإخراج الفرنسيين منها، و بعد خروج الفرنسيين بقي في مصر على رأس قوة ألبانية استخدمها خسرو باشا لمحاربة المماليك الذين تحالف معهم ضد الوالي العثماني الذين تمكنوا من عزله، و بعدها أوقع بين المماليك، و تقرب من الأهالي الذين طلبوا من السلطان العثماني تنصيبه واليا عليهم، و كان ذلك في سنة 1805م، و قد انتهج بعد توليه الولاية سياسة مخالفة لسابقيه، بحيث أراد بناء دولة على أسس حديثة مستنبطة من النظم الأوربية بصفة عامة و الفرنسية بصفة خاصة، و حتى يتأتى له ذلك قام بالقضاء على فئة العلماء الذين ساعدوه من قبل، لمعارضتهم للأسس الأجنبية. أما على الصعيد الخارجي فقد حاول في البداية التوسع في ناحية الغربية لمصر، لكن فشله في ذلك جعل أبصاره تتجه إلى الشرق، و بذلك خلق ما عرف بالمسألة السورية، التي انتهت بتدخل الدول الأجنبية لحلها، و فرض عليه توقيع معاهدة ... للمزيد عن محمد علي و سياسته التوسعية أنظر:

- محمد، صبري، **تاريخ مصر من محمد علي إلى العصر الحديث**، مكتبة مدبولي، القاهرة، ب.ط، ب.س.

(2)- كوران، مرجع سابق، ص، 46.

(3)- نفسه، ص، 46.

(4)- محمد الشيخ، برابح، **مواقف دول غرب المتوسط من الاحتلال الفرنسي للجزائر**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة الجزائر، 2007م، ص، 93.

(5)- نفسه، ص، 93.

(6)- زروال، مرجع سابق، ص، 157.

من أجل السماح له بدخول الجزائر و قيامه بمهمته[1].

على إثرها غادر طاهر باشا اسطنبول في 16 أفريل 1830م[2]، على متن سفينة نسيم الظفر مع كاتبه، و مترجمه حاملا معه رسالة السفير الفرنسي باسطنبول إلى قائد الحصار الفرنسي على الجزائر[3]، و مكتوب يحدد مهمته، ويوضحها يحمل خط يد السلطان العثماني محمود الثاني نفسه[4]جاء فيه ما يلي:

-عندما يصل طاهر باشا إلى المياه الإقليمية الجزائرية، فإنه يبادر بالتباحث مع قائد الحصار الفرنسي لتسوية المشكلة القائمة بين الجزائر و فرنسا.

- إذا رفض قائد الحصار أن يتفاوض معه فعليه أن يطلب من الحكومة الفرنسية ممثلا عنها يتمتع بكامل الصلاحيات ليبدأ معه مداولات رسمية ثم يدخل بعد ذلك إلى مدينة الجزائر.

- يشرح طاهر باشا للعلماء، و الأعيان العواقب الوخيمة التي تنتج من الحرب على فرنسا و عليه أن يقنع هؤلاء أن السلطان طلب حل النزاع بالطرق السلمية.

- إذا كانت المطالب الفرنسية مجحفة، فليكن ذلك موضوع مفاوضات بينه، و بين الموظف الذي ترسله الحكومة الفرنسية.

- على طاهر باشا أن يبذل كل ما بوسعه للوصول إلى حل الخلاف الذي نشب بين فرنسا و الجزائر، و إذا فشلت مساعيه كلها عليه أن يوجه رسالة إلى السلطان[5].

---

(1)- أرزقي، شويتام، " مواقف الدول من الاحتلال الفرنسي للجزائر"، مجلة الدراسات التاريخية، عدد 6، 1992م، ص 120.

(2)- كوران، مرجع سابق، ص، 54.

(3)- زروال، مرجع سابق، ص، 158.

(4)- زهرة، مرجع سابق، ص، 223.

(5)- كوران، مرجع سابق، ص، 55.

بالرغم من الرسالة التي حملها معه طاهر باشا، و التي بموجبها تسمح له بدخول مدينة الجزائر إلا أن قائد الحصار الفرنسي منعه من دخول الجزائر[1]، مما اضطره إلى الانصراف إلى تونس ليلتحق بالجزائر من جهة البر، لكن باي تونس هو الآخر منعه من النزول إلى البر[2] لأن فرنسا كانت قد أخبرته بأنه في حالة نجاح مهمة طاهر باشا سيتم إلحاق الجزائر مباشرة بالإدارة العثمانية، و إذا فعلت ذلك مع الجزائر، فإنها لن تتوانى في إلحاق باقي الإيالات المغربية بها[3].

على إثرها اضطر طاهر باشا إلى التوجه إلى مدينة طولون للإقامة فيها، و توليه مهمته هناك، و أثناء طريقه التقى بالأسطول الفرنسي الذي انطلق من ميناء طولون متجها إلى الجزائر[4]. و قد اجتمع مع القائد العام للأسطول الفرنسي دي برمون الذي أعرب له عن أسفه بمنعه من دخول الجزائر، و مؤكدا له أن حضوره كان كافيا لحل النزاع[5].

لقد حاول طاهر باشا فور وصوله إلى مدينة طولون إجراء محادثات مع وزير الخارجية الفرنسية الذي سأله إن كان يتمتع بكل الصلاحيات للتفاوض معه حول الخلاف مع الجزائر؟[6]، و بالرغم من تأكيد طاهر باشا للوزير الفرنسي تمتعه بكل الصلاحيات إلا أنه لم يتلق أي رد منه ، و هذا و إن دل فإنما يدل على إهمال الحكومة الفرنسية لمهمة طاهر باشا، و العمل على إشغاله في طولون ريثما تنجح حملتها على الجزائر[7].

---

(1)- De Grammont, Op. cit, p, 399.

(2)- أحمد توفيق، المدني، " من الوثائق العثمانية عن تاريخ الجزائر"، مجلة التاريخ، عدد 12، 1982م، ص، 26.

(3)- نفسه، ص،26.

(4)- De Grammont, Op. cit, p, 399.

(5)- شويتام، مرجع سابق، ص، 121.

(6)- زروال، مرجع سابق، ص، 161.

(7)- نفسه، ص، 161.

ففرنسا عملت منذ البداية على إفشال مهمة طاهر باشا عن طريق كل من سفيرها باسطنبول الذي أخر سفره إلى غاية أن قررت حكومته رسميا القيام بالحملة على الجزائر بنفسها[1]، و قائد الحصار الفرنسي الذي منعه من دخول الجزائر، و ذلك بأمر من وزير الحربية دي هوسي[2] بقوله : " عندما علمت بسفر طاهر باشا ، أصدرت أمرا لقائد الحصار بمنع هذا الأخير من الدخول إلى الجزائر. و أن التنفيذ المنتظم لهذا الإجراء قد أزاح إحدى الصعوبات الكبرى التي كانت من الممكن أن تواجهها الحملة "[3].

و بناء على ما سبق يظهر أن هناك تنسيق محكم بين السفير الفرنسي باسطنبول و قائد الحصار الفرنسي على الجزائر، و حكومتهما في فرنسا لإفشال مهمة طاهر باشا بصفة خاصة، و الوساطة العثمانية لحل النزاع بين الجزائر و فرنسا بصفة عامة.

لقد فشل طاهر باشا كغيره في مهمته، و على إثر ذلك بعث إلى السلطان العثماني رسالة شرح فيها كل ما حدث له منذ وصوله إلى الجزائر إلى غاية احتجازه في طولون[4]. كما أخبر السلطان العثماني عن الأسطول الفرنسي المحمل بالعساكر و الذخيرة الذي كان متجها صوب الجزائر الذي رآه عند اقترابه من مدينة طولون[5].

بعد وصول الأسطول الفرنسي إلى الجزائر، و تمكنه من إنجاح مهمته بعث بولينياك مذكرة إلى قيبومينو كي يقدمها إلى الدولة العثمانية، و رسالة سرية له فيما بين 17 و 18 جويلية 1830م[6].

---

(1)- زروال، مرجع سابق، ص، 160.

(2)- De Grammont, Op. cit, p, 399.

(3)- شويتام، مرجع سابق، ص، 122.

(4)- كوران، مرجع سابق، ص، 59.

(5)- نفسه، ص، 59.

(6)- زهرة، مرجع سابق، ص، 249.

تضمنت مذكرة بولينياك للدولة العثمانية مطالب فرنسا إلا أن الكونت فييومينو ركز على المطالب المالية التي هي عبارة عن تعويضات لأجل حل مشاكل سياسية و حضارية[1]، و هو بذلك أعطى لنفسه صلاحيات غير مخولة له، و لم يقدم المذكرة بحذافيرها، و إنما صاغها في قالب وضح خلاله الأطماع الفرنسية في الجزائر[2].

و قد قدم تلك المذكرة في 14 أوت 1830م إلى رئيس الكتاب العثماني حميد باي[3] و التي استهلها بمقدمة طويلة أكد فيها حق فرنسا في الاحتفاظ بالجزائر، مع شرح الأسباب التي دعت فرنسا إلى احتلال الجزائر، مؤكدا على استقلالية هذه الأخيرة عن الدولة العثمانية[4] مستدلا في ذلك بعدة أمثلة منها : إعلان الحروب، و إبرام المعاهدات دون اللجوء إلى الدولة العثمانية. التعرض إلى حلفاء الدولة العثمانية، و عدم استجابتها للفرمانات السلطانية، و ختم أدلته باعتراف الدولة العثمانية نفسها باستقلال الجزائر، لذلك تعتبر فرنسا ما قامت به الدولة العثمانية من جهود لإصلاح الوضع بينها، و بين الجزائر لا يتعدى الوساطة نظرا للعلاقة الروحية التي تجمعهما، وعليه فإن فرنسا ستشرك الدولة العثمانية في البحث، و التخطيط في مستقبل الجزائر[5] شرط التزامها بالشروط الفرنسية المقترحة و هي :

-تعاد الجزائر إلى الدولة العثمانية[6]

– القضاء على القرصنة و الاسترقاق و إلغاء الضرائب

– طرد الحاميات العمانية إلى آسيا

---

(1)- زهرة، مرجع سابق، ص، 249.

(2)- نفسه، ص، 249.

(3)- كوران، مرجع سابق، ص، 61.

(4)- خط همايون، ع 29، و 469065، الأرشيف الوطني، بئر خادم، الجزائر.

(5)- خط همايون، ع 29، و 469065.

(6)- كوران، مرجع سابق، ص، 62.

– تدمير كل تحصينات مدينة الجزائر و مينائها

–منع الجزائر من تشكيل بحرية[1]

– تنصيب على الجزائر باشا عثماني،مع قوات نظامية يعاد تشكيلها كل خمس سنوات[2]

– تأخذ فرنسا عنابة مع حق تدخلها في تعيين باي قسنطينة

– تخلي فرنسا عن تعويضات الحرب

– تتحمل الدولة العثمانية مديونية الجزائر، و كل ما تعرض إليه الفرنسيون، و الدول التي كانت تحت حماية فرنسا

– لا يحق لأحد منهم التوسع دون موافقة الآخر

– تنسحب الجيوش الفرنسية من الجزائر، و تعاد الجزائر للسلطان العثماني شريطة أن يطبق هذه الشروط[3].

لقد كانت الدولة العثمانية مستعدة لقبول شروط فرنسا إلا الشرط الخاص بالتعويضات لأنها كانت تعيش ضائقة مالية لولا تلاعب فرنسا بها[4]، و التي كانت لها مطامع، و نوايا خفية في الجزائر كالاحتفاظ بها بعدما تهدأ الأمور في فرنسا، و أوروبا و هذا ما احتوته رسالة بولينياك السرية إلى السفير الفرنسي باسطنبول[5].

حاولت الدولة العثمانية استغلال ما حدث في فرنسا من انقلاب لبعث القضيةالجزائرية من جديد، و التباحث فيها على أمل أن تتوصل مع الحاكم الجديد إلى

---

(1)- زهرة، مرجع سابق، ص، 250.

(2)- كوران، مرجع سابق، ص، 62.

(3)- زهرة، مرجع سابق، ص ص، 250 – 251.

(4)- نفسه، ص، 251.

(5)- نفسه، ص، 251.

حل للقضية، و على إثرها قام حميد باي في 25 ديسمبر 1830م بالتحدث في القضية مع السفير الفرنسي باسطنبول الذي تهرب في البداية من مناقشة الموضوع[1]، و أمام إصرار حميد باي صرح بأنه لا حق للدولة العثمانية في الجزائر ، لذلك يرفض مناقشة الموضوع و هذا ما أثار غضب حميد باي الذي أخبره بضرورة إرجاع الجزائر إلى الدولة العثمانية بناءا على ما جاء في مذكرة 14 أوت 1830م[2] ، أما فيما يخص التعويضات أخبره بأن الدولة العثمانية لن تدفع و لو فلسا واحدا لا لفرنسا أو لحلفائها، لأنه يكفيها ما نهبته من خزينة الجزائر التي احتوت على أموال طائلة، و طلب منه إبلاغ ذلك إلى حكومته[3].

عقب ذلك قدمت الدولة العثمانية مذكرة 14 أوت الفرنسية إلى القنصل الانجليزي باسطنبول على أمل بعد إطلاع انجلترا على المذكرة ستتأثر، و تقف إلى جانبها و تساعدها على استرجاع الجزائر[4] كما ساعدتها على استرجاع مصر. لكن رد انجلترا هنا كان مخالفا تماما لردها عشية الحملة الفرنسية على مصر، لأنها هنا رفضت القيام بالحرب ضد فرنسا من أجل استرجاع الجزائر[5]، و هذا ما ذكره قنصلها أثناء اجتماعه بحميد باي في 29 جانفي 1831م، و اكتفى بإعطاء نصيحة مفادها تقديم مذكرة إلى السفير الفرنسي توضح الدولة العثمانية فيها حقوقها في الجزائر[6].

وبناء على اقتراح القنصل الانجليزي قدمت الدولة العثمانية مذكرة إلى الكونت قييومينو في 13 ماي 1831م، تقر فيها بمنح التسهيلات للتجارة الأوروبية مع منع القرصنة مؤكدة في الأخير على ضرورة إرجاع الجزائر إليها، و ذلك بقولها : " لما كان

---

(1)- زهرة، مرجع سابق، ص، 252.

(2)- كوران، مرجع سابق، ص، 66.

(3)- نفسه، ص، 66.

(4)- زهرة، مرجع سابق، ص، 252.

(5)- كوران، مرجع سابق، ص ص، 67 – 68.

(6)- نفسه، ص، 68.

استرجاع البلاد المذكور بكامل حكومتها، و استقلالها لجناب الدولة العليا طلبا عاليا، فإن الشرط المذكور من المذكرة التي قدمها السفير المؤمى إليه كاف في نفس الأمر لتحقيق ذلك، و لا حاجة قطعا لسائر القيود، و الشروط المختلفة – باستثناء المواد المتعلقة بشأن القرصنة الناشئة من تكفلها لتلك الشروط – في معاهدات الصفاء المعقودة بين الدول ". لكن هذه المذكرة بقيت بلا رد من الجانب الفرنسي[1].

بعد تلك المذكرة انشغلت الدولة العثمانية ببعض الأمور إلى غاية سنة 1834م[2] أين جددت اهتمامها بقضية الجزائر من خلال إرسالها مصطفى رشيد باشا كسفير إلى باريس في سبتمبر 1834م، و طلبت منه الاتصال بالجزائريين الموجودين هناك أمثال حمدان خوجة، و بعدها الاتصال بالحكومة الفرنسية للتباحث في قضية الجزائر، و في نفس الوقت أوفدت نامق باشا إلى لندن لنفس الغرض الذي بعثت إليه مصطفى[3]. غير أن مساعيها هذه كانت مثل سابقاتها و لم تأت بأي جديد[4].

عقب فشل كل مساعي الدولة العثمانية السلمية لحل القضية الجزائرية قررت أخيرا القيام بمحاولة عسكرية لاسترداد الجزائر، و منع فرنسا من التوسع في بلدان المغرب العربي[5]، و في هذه الأثناء كانت فرنسا تقوم بحملتها التوسعية على قسنطينة، و أحمد باي يخوض غمار المقاومة لوحده ضد الفرنسيين فهل ستتمكن الحملة العثمانية من الوصول إلى الجزائر و مساعدته؟.

---

(1)- كوران، مرجع سابق، ص ص، 69 – 70.

(2)- الأمور التي شغلت الدولة العثمانية هي تمردات محمد علي، و تجدد الحرب مع روسيا، و التي انتهت بتوقيع كل من معاهدة كوتاهية مع محمد علي و انكارا إسكلاسي في 1833م مع روسيا ... أنظر:

- كوران، مرجع سابق، ص، 75.

(3)- نفسه، ص ص، 76 – 78.

(4)- عميراوي، مرجع سابق، ص، 19.

(5)- كوران، مرجع سابق، ص،

2. موقف الجزائر من الحملة الفرنسية على مصر:

لقد كان موقف الجزائر من الحملة الفرنسية على مصرفي البداية موقفا محايدا بحيث لم تتخذ أي إجراء إزاء ذلك بسبب العلاقات التي كانت تربطها مع فرنسا. لذلك بعد استيلاء نابليون على جزيرة مالطا، و إطلاقه للأسرى المسلمين بعث إلى الإيالات المغربية يخبرها بذلك، و من بينهم الجزائر التي احتفلت بانتصارات نابليون في مالطا التي تعتبرها عش الصليبية[1]، و لم تكن تعرف أن نابليون كان يخطط لغزوها، وإنما هي مسألة أولويات[2].

كما عمل نابليون منذ دخوله مصر على طمأنة الإيالات المغربية حول حسن نواياه اتجاههم، و ذلك من خلال المنشور الذي أرسله مع الحجاج المغاربة أثناء مرورهم بمصر و التضمن الأسباب التي دفعت فرنسا إلى احتلال مصر، مؤكدا فيه حسن نواياه اتجاههم واتجاه الدولة العثمانية، معبرا عن أمله في أن لا يؤثر ذلك في استمرار العلاقات بينهم و بين فرنسا[3].

لقد أراد نابليون من اتصاله بالإيالات المغربية ضمان حيادهم عن حملته عن مصر. و كذلك ضمان مساعدتهم له خاصة بعد تدمير الأسطول الفرنسي في أبي قير و انقطاع الاتصال مع حكومته فوجد نفسه محاصرا في مصر، و رأى في الإيالات المغربية المتنفس الذي يسمح له على الأقل الاتصال ببلاده[4]، لذلك طلب من القناصل هناك العمل من أجل حصوله على ذلك، و بالفعل كان له ما أراد، و قدمت له

---

(1)- جمال، قنان، **العلاقات الفرنسية الجزائرية (1790 – 1830)**، منشورات متحف المجاهد، الجزائر، ب.ط 1999م ص، 95.

(2)- أبو القاسم، سعد الله، **مجادلة الآخر**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط$_1$، 2006م، ص، 222.

(3)- قنان، العلاقات الفرنسية ...، مرجع سابق، ص ص، 95 – 96.

(4)- نفسه، ص، 96.

الإيالات المغربية كل التسهيلات حتى بعد إعلان الدولة العثمانية الحرب على فرنسا في سبتمبر 1798م[1].

بالرغم من كل ما قدمته الايالات المغربية لنابليون من دعم، و مساعدة إلا أن فرنسا تخوفت بعد إعلان الدولة العثمانية الحرب عليها من أن تحذو الإيالات الثلاث في المغرب حذوها، لذلك أرسلت في 19 ديسمبر 1798م منشورا إلى القناصل الفرنسيين في الإيالات الثلاث دعتهم فيه إلى تحذيرهم من إعلان الحرب إلى جانب الدولة العثمانية التي تحالفت مع كل من انجلترا و روسيا، اللتين تسعيان إلى السيطرة على البحر الأبيض المتوسط، و بذلك تهدد مصالحهم فيه[2].

لقد تزامن تحرك فرنسا مع تحرك الدولة العثمانية، بحيث وصل مبعوثها إلى الجزائر في اليوم الذي كتب فيه المنشور الفرنسي[3]. وقد حمل المبعوث العثماني فرمانا إلى الداي مصطفى[4] تضمن تجديد الولاية له مع أمره بإعلان الحرب على فرنسا[5] و القبض على قنصلها، و جميع الرعايا الفرنسيين، و سجنهم مع إرسال السفن إلى البحر المتوسط للبحث عن السفن الفرنسية و احتجازها ، وإن لزم الأمر حرقها من أجل منع

---

(1)- قنان، العلاقات الفرنسية ...، مرجع سابق، ص، 96.

(2)- حنيفي، هلايلي، **بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني**، دار الهدى، الجزائر، ط$_1$، 2007م، ص، 132.

(3)- نفسه، ص، 124.

(4)- **الداي مصطفى:** هو من مواليد حوالي سنة 1743م بالأناضول بآسيا الصغرى من أبوين فقيرين، و عندما شب جاء إلى الجزائر و انضم إلى الميليشيات، ثم اشتغل كناسا للزقاق الذي كان أمام الثكنة التي يقيم بها، ليتوسط له أحد أقاربه و هو حسن لدى حكومة الداي محمد باشا التي انتقل على إثرها للعمل في القصر. و عندما أصبح حسن دايا على الجزائر قلده منصب الخزناجي، و بعد وافاة حسن في 1798م أصبح هو الداي، و لم يلقى أي معارضة في البداية، لكنه بعد مضي ثلاث سنوات بدأت المعارضة لسياسته، التي بناءا عليها قرب إليه الأجانب، و منحهم امتيازات واسعة، و خاصة منهم اليهود و قد تطورت تلك المعارضة، لتصبح ثورة يترأسها الجند الذين أجبروه على التنحي من السلطة، و الخروج من القصر و بعد خروجه و هو في طريقه إلى القبة لقي حتفه على يد مجموعة من العثمانيين، و كان ذلك سنة 1805م ... للمزيد أنظر:

- الزهار، مصدر سابق، ص ص، 71 – 89.

- أبو العيد، دودو، **الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان (1830 – 1855)**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ب.ط 1989م، ص ص، 39 – 46.

(5)- مج 3190، م أ، و 62، ق م بم و، ح، ج.

وصول الإمدادات إلى نابليون في مصر[1]. لأن الدولة العثمانية تعتبر أن الاعتداء على مصر بمثابة الاعتداء عليها، لذلك يجب على الجزائر إعلان الحرب إلى جانبها ضد فرنسا[2].

بعدها قررت الجزائر الامتثال لأوامر الدولة العثمانية، و قطع علاقاتها مع فرنسا و إلقاء القبض على قنصلها دومينيك مولتيد (De Marie moltedo) ، و جميع الرعايا الفرنسيين[3] في الجزائر في 21 ديسمبر 1798م[4]. كما بعث الداي مصطفى تعليمات إلى باي قسنطينة بإيقاف الأعوان الفرنسيين في القل و عنابة و القالة و حجز ممتلكاتهم[5] و بذلك فقدت فرنسا أهم مراكزها التجارية في شمال إفريقيا. كما بعث أيضا برسائل إلى كل من تونس وطرابلس المملكة العلوية[6] يخبرهم فيهم عن إعلان الجزائر الحرب ضد فرنسا استجابة للطلب العثماني، و يطلب منهم اتخاذ نفس الموقف[7].

غير أنه بعد مرور شهر على اعتقال الفرنسيين بالجزائر تم إطلاق سراحهم، وهذا ما أثار استياء السلطان العثماني مما جعله يبعث بفرمان عبر فيه عن ذلك بقوله: "... إبقاؤكم للقنسلو الفرنسيس في السجن نحو مقدار شهر ثم أطلقتموه، و فراسينكم ملاقاتهم

---

(1)- مج 3190، م أ، و 63، ق م بم و، ح، ج.

(2)- مج 3190، م أ، و 63.

(3)- عدد الرعايا الفرنسيين في الجزائر عند إعلان الحرب ثمانية عشر رجلا، و خمس نسوة، أما أعوان الوكالة الإفريقية في شرق الجزائر، فكان عددهم خمسة و تسعون شخصا، بينهم أربعة عشر مسؤولا إداريا ... أنظر:

- قنان، العلاقات الفرنسية ...، مرجع سابق، ص، 99.

(4)- زهرة، مرجع سابق، ص، 46.

(5)- هلايلي، مرجع سابق، ص،46.

(6)- ودان، بوغوفالة، **الثورة الفرنسية و بونابرت في الكتابات المغاربية خلال القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشرالميلادي**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة الجزائر، 2001م، ص، 66.

(7)- نفسه، ص، 66.

بسفن الفرنسوية، و معاملتهم مخالفة لعمل الآستانة ...".[1]، و قد دعا الداي مصطفى إلى الإسراع في الامتثال لأوامر السلطان، و إلا سيقوم بطرد وكلاء الجزائر من كل مناطق التجنيد التي بالأراضي العثمانية، و منع وصول المجندين إليها[2].

لذلك تماطلت فرنسا في اتخاذ موقف ضد الجزائر بعد إعلانها الحرب عليها لأنها اعتبرتها مجبورة من طرف الدولة العثمانية إلى غاية 15 فيفري 1799م[3]، فإنها اتخذت قرار بعد جدل كبير يقضي بإعلان الحرب على الجزائر، و مهاجمة كل سفينة تحمل العلم الجزائري مع إيقاف رعاياها بفرنسا، و مصادرة أملاكهم تعويضا عما فقدوه رعاياهم في الجزائر[4].

بناءا على ما سبق يظهر أن الداي مصطفى لم يكن مقتنعا بالقرار الذي اتخذه ضد فرنسا[5]، و إنما كان مجبورا للامتثال لأوامر وتهديدات السلطان العثماني بعد خروج الفرنسيين، من مصر مباشرة قام بعقد معاهدة مع فرنسا في 31 أوت 1800م[6]، سمحت للفرنسيين بإعادة مزاولة نشاطهم في الجزائر بصورة طبيعية مع إعادة الاعتبار للقنصل الفرنسي في الجزائر[7].

3.موقف محمد علي باشا من الحملة الفرنسية على الجزائر:

من خلال ما توفر لنا من المعلومات يمكن أن نميز موقفين لمحمد علي من الحملة

---

(1)- مج 3190، م أ، و 65.

(2)- مج 3190، م أ، و 65.

(3)- قنان، العلاقات الفرنسية ...، مرجع سابق، ص، 101.

(4)- نفسه، ص، 102.

(5)- نفسه، ص، 100.

(6)- أنظر نص تلك المعاهدة في:

- خط همايون، ع 21، و 5837، الأرشيف الوطني، بئر خادم، الجزائر.

(7)- هلايلي، مرجع سابق، ص، 125.

الفرنسية على الجزائر، فالأول قبل وقوعها بحيث أراد القيام بالحملة عليها مع مساعدة فرنسا له[1]، أما الثاني بعد فشل مشروعه أي أثناء الحملة، و بعدها من خلال الرسائل التي بعث بها إلى الداي حسين ناصحا له، وطالبا منه أن يتزود بملح البارود من عنده[2] و كذلك معاملته للعثمانيين الذين نفتهم فرنسا إلى مصر[3].

و تعود فكرة إشراك فرنسا لمحمد علي في حملتها على الجزائر[4] إلى أيام تحطيم الأسطول الجزائري في معركة نافارين سنة 1827م، فأرادت فرنسا استغلال الظروف لصالحها هذا من جهة[5]، و من جهة أخرى أرادت إشعال نار الفتنة بين الدولة العثمانية و الإيالات التابعة لها. لتسهل عليها عملية التغلغل داخل الجزائر، فكرت في إشراك محمد علي في حملتها عليها[6]، الذي قابل اقتراحها بالقبول فور طرحه عليه، و بذلك تبدأ مرحلة الاتصالات بينه، و بين فرنسا لتهيئة الجو للمشروع الذي سيحمل اسمه فيما بعد[7].

و لتأكيد قبوله للمشروع المقترح عليه من قبل فرنسا، فقد بعث وفدا في شهر سبتمبر 1929م، و قد تألف هذا الوفد من قنصل فرنسا بمصر دروفتي، و دي ليفرون DE livron)، و أهم ما تضمنه ذلك المشروع هو طلب محمد علي من فرنسا مساعدته للسيطرة على دول شمال إفريقيا (طرابلس، تونس، الجزائر)، و اقترح أن يقوم جيشه بالحملة مع حماية الأسطول الفرنسي له من جهة البحر، مقابل ذلك تقدم فرنسا له

---

(1)- سعد الله، مجادلة ...، مرجع سابق، ص، 232.

(2)- مج 3190، م أ، و 327، ق م بم و، ح، ج.

(3)- سعد الله، مجادلة ...، مرجع سابق، ص، 234.

(4)- هناك اختلاف حول طرح الفكرة، بحيث هناك من يعتبر أن محمد علي هو أول من طرح فكرة مشروع الحملة على الجزائر، و هناك من قال العكس.

(5)- زهرة، مرجع سابق، ص، 200.

(6)- بوعزة، بوضرساية، " موقف حاكم مصر من الاحتلال الفرنسي للجزائر من خلال إحدى التقارير السرية الفرنسية" مجلة الذاكرة، العدد الثالث، 1995م، ص، 187.

(7)- سعد الله، محاضرات في تاريخ ...، مرجع سابق، ص، 30.

28 مليون فرنك مقدما مع أربعة سفن[1].

لقد كان يعتقد محمد علي بأن مشروعه ذلك سيباركه الجميع، و يرحبون به سواء من الجانب العثماني الذي سيدفع له عن الإيالات الثلاث جزية كالتي يدفعها له عن مصر أو فرنسا التي سيخلصها من مشكلة الجزائر، أو أوروبا التي سيخلصها من القرصنة. و قد وعد لإنجاح مشروعه بتجهيز جيش قوامه 68 ألف رجل و توفير 23 سفينة و 100 مليون فرنك[2].

أما في فرنسا فإنه أكثر واحد رحب بمشروع محمد علي، و أعجب به هو رئيس الوزراء الفرنسي بولينياك لأنه ينطبق مع أفكاره الرامية منذ سنة 1814م إلى ربط مصر بقضية دول شمال إفريقيا[3]، حتى تتسنى الفرصة لفرنسا السيطرة على حوض المتوسط و بناء على ذلك فقد قدم مذكرة إلى مجلس الملك شارل العاشر يبين فيها إيجابيات، و فوائد ذلك المشروع[4]، مع إرسال الضابط هودير (Huder) إلى مصر للتفاوض مع محمد علي حول تفاصيل المشروع[5].

و في نفس الوقت أرسل بولينياك تعليمات إلى السفير الفرنسي باسطنبول قييومينو قاضية بإقناع السلطان العثماني بمشروع محمد علي، حتى يكون له صبغة شرعية، و بناءا على تعليمات بولينياك قدم قييومينو في ديسمبر 1829م رسالة إلى رئيس الكتاب العثماني برتيف أفندي[6] أهم ما تضمنته تلك الرسالة:

---

(1)- سعد الله، محاضرات في تاريخ ...، مرجع سابق، ص، 30.

(2)- سعد الله، مجادلة الآخر ...، مرجع سابق، ص ص، 232 – 233.

(3)- سعد الله، محاضرات في تاريخ ...، مرجع سابق، ص، 31.

(4)- زهرة، مرجع سابق، ص، 203.

(5)- سعد الله، مجادلة ...، مرجع سابق، ص، 233.

(6)- كوران، مرجع سابق، ص، 46.

– اعتراف فرنسا بتبعية الجزائر للدولة العثمانية

– على السلطان العثماني أن يقدم فرمان لمحمد علي، ليؤدب الجزائر، لأن حكامها أصبحوا لا يمتثلون لأوامر السلطان

– ستعود هذه الحملة على الدولة العثمانية بفوائد، إذ ستعود الإيالات الثلاث بالمغرب التي أصبحت شبه مستقلة، و أصبحت مصدرا لإثارة المشاكل للدولة العثمانية[1]

– في حالة رفض الدولة العثمانية هذه الاقتراحات فإن فرنسا ستقوم بالحملة لوحدها و ستدمر الجزائر تدميرا كاملا[2]

لقد حملت رسالة بولينياك للدولة العثمانية عبارات ترغيب، و تهديد في آن واحد والتي تدخل في السياسة الفرنسية المتصفة بحيلها لتحقيق ما تصبوا إليه[3]، و قد أراد بولينياك من تلك الرسالة إشراك الدولة العثمانية في الحملة على الجزائر، حتى يتمكن من منحها الصبغة الشرعية، وحتى يظهرها كصراع بين البلدان الإسلامية، و بذلك يتجنب إقحام بلاده في ذلك[4].

لقد قوبل اقتراح بولينياك بالرفض من قبل الدولة العثمانية التي رفضت إرسال عساكر إلى أرض مطيعة لها[5]، و بعثت رسالة إلى محمد علي شرحت فيها المسألة الجزائرية طالبة منه تفسيرات عن الأخبار الرائجة بتحالفه مع فرنسا ضد الجزائر، باعتبار أن ذلك مناف للشريعة الإسلامية[6].

---

(1)- زهرة، مرجع سابق، ص،204.

(2)- كوران، مرجع سابق، ص، 46.

(3)- زهرة، مرجع سابق، ص، 205.

(4)- نفسه، ص، 205.

(5)- كوران، مرجع سابق، ص، 46.

(6)- نفسه، ص، 46.

و لم تكن الدولة العثمانية وحدها من قابلت ذلك المشروع بالرفض، ففي فرنسا كذلك قوبل بالرفض حتى منهم من هدد بالاستقالة في حالة تنفيذ المشروع، لأنه في نظرهم إهانة للشرف الفرنسي[1]، و هذا ما اضطر بولينياك إلى تعديل المشروع عدة مرات الشيء الذي لم يعجب محمد علي مما جعله يقطع الاتصالات مع فرنسا قائلا: " إنهم لن يصلوا أبدا إلى الجزائر، و إذا وصلوا فلن يجرؤا على البقاء فيها لمعارضة انجلترا لهم"[2].

و بعدها بعث رسالة إلى السلطان العثماني في شهر أفريل 1830م يكذب فيها الأخبار الرائجة بشأن تحالفه مع فرنسا ضد الجزائر. و ذلك من خلال تصريحه للقنصل الفرنسي في مصر قائلا:" أنتم مسيحيون، أما نحن و الجزائريون مسلمون، و سماع أقوال كتلك، و نحن ذو دين و أمة و شريعة و دولة واحدة، لا يتلاءم مع ديننا و دولتنا"[3].

ربما يعود موقفه هذا المتأخر إلى عدم قبول فرنسا لشروطه، أو لاهتمامه بأقطار أخرى غير دول شمال إفريقيا[4]، و قد استمر على موقفه هذا حتى نجاح الحملة الفرنسية على الجزائر من خلال استقباله للجزائريين الذين لجئوا إلى كنفه[5].

---

(1)- سعد الله، مجادلة ...، مرجع سابق، ص، 233.

(2)- سعد الله، محاضرات في تاريخ ...، مرجع سابق، ص، 33.

(3)- كوران، مرجع سابق، ص، 217.

(4)- زهرة، مرجع سابق، ص، 217.

(5)- سعد الله، مجادلة ...، مرجع سابق، ص، 234.

الفصـــل الـــثالث:

انعكاسات الموقف العثماني على الوجود الفرنسي في مصر و الجزائر

1.محاصرة الجيش الفرنسي في مصر و نقله الحرب إلى الشام

2. الحملات التوسعية الفرنسية في الجزائر

3. نتائج الحملة الفرنسية على مصر و الجزائر

1.محاصرة الجيش الفرنسي في مصر و نقله الحرب إلى الشام:

بعد إعلان الدولة العثمانية الحرب على فرنسا، و تهديدها بتدخل عسكري ضد الفرنسيين المتواجدين في مصر، معززة بالأسطول الانجليزي المرابط في عرض البحر المتوسط، و إقامتها للحف الدولي ضد فرنسا، و إجبارها للإيالات المغربية على إعلان الحرب على فرنسا، وجد الجيش الفرنسي نفسه محاصرا في مصر[1]، لذلك قرر نابليون نقل الحرب خارج الأسوار المصرية حتى يوسع ساحات القتال، و يتسنى له فك الحصار عن مصر[2].

كما رأى نابليون في نقله الحرب إلى الشام تحقيق لحلمه المتمثل في مواصلة الزحف إلى الهند في حالة نجاح حملته على الشام هذا جهة[3]، للرفع من معنويات الجند و محو الآثار السيئة التي تركتها موقعة أبي قير البحرية في نفوسهممن جهة أخرى[4].

لقد غادر نابليون مصر في 11 فيفري1799 [5]، على رأس قوة تقارب 13 ألف جندي متجها إلى الشام عن طريق صحراء سيناء[6]، و بعد عشرة أيام وصل إلى قلعة العريش، و سيطر عليها بعد هزيمته للجيش العثماني بها[7]، ليتابع بعدها زحفه و كان يحتل كل منطقة يمر بها في طريقه، بحيث احتل كل من مدينة غزة، و الرملة[8]

---

(1)- العسلي، مرجع سابق، ص، 93.

(2)- نفسه، ص، 93.

(3)- محمد سهيل، طقوس، **تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة**، دار النفائس، بيروت، ط$_2$، 2008م ص، 312.

(4)- العسلي، مرجع سابق، ص، 93.

(5)- Bret, Op. cit, p, 260.

(6)- Ibid, p, 260.

(7)- سلطان، مرجع سابق، ص، 148.

(8)- العسلي، مرجع سابق، ص، 93.

حتى وصل إلى مدينة يافا في 03 مارس 1799م، التي سلمت له بعد أربعة أيام من المقاومة الشديدة.

لقد ارتكب الجيش الفرنسي في مدينة يافا بأمر من نابليون أبشع مجزرة ستظل وصمة عار في جبين الفرنسيين[1]، بإعدام رميا بالرصاص ثلاثة آلاف من الجيش العثماني الذين استسلموا لنابليون بعد الاتفاق على شروط تسليم المدينة، و التي من بينها ضمان أرواحهم[2]، و بتلك المجزرة تكون كل ادعاءات نابليون قد سقطت، و كشفت حقيقته[3].

بعدها واصل الجيش الفرنسي زحفه صوب مدينة عكا[4]، لكنه كان يعاني من مشكلة الإمداد بسبب انقطاع الاتصالات مع بلاده، فكان يأمل نابليون من خلال سيطرته على عكا الاستحواذ على مستودع الأسلحة و الذخائر و العتاد بها[5]، من أجل إمداد جيشه حتى يتمكن من مواصلة الزحف حتى يصل إلى اسطنبول، و يسقط الدولة العثمانية و يقيم هو إمبراطوريته التي طالما حلم بها، و بعدها يعود إلى بلاده عن طريق أدرنه أو فينا[6] و هذا ما قاله لأحد ضباطه :" سأستولي على عكا، ثم أزحف على دمشق، وحلب، و أزيد من حجم جيشي مع كل تقدم، و أعلن للشعب عزل الباشاوات الظالمة، و أدخل القسطنطينية، و معي جماهير هائلة مسلحة، و هناك أسقط تركيا – الإسلامية – و أقيم

---

(1)- صبحي، مرجع سابق، ص، 181.

(2)- نفسه، ص، 181.

(3)- نفسه، ص، 181.

(4)- الأغا بن عودة، المزاري، **طلوع سعد السعود في أخبار وهران و الجزائر و اسبانيا و فرنسا إلى أواخر القرن التاسع** عشر، ج$_2$، تحقيق و دراسة يحي بوعزيز، دار البصائر، الجزائر، ط$_1$، 2007م، ص، 75.

(5)- العسلي، مرجع سابق،ص، 94.

(6)- نفسه، ص، 94.

إمبراطورية جديدة عظيمة. و هكذا أخلد لنفسي ذكرا بين الأجيال المقبلة[1]، و ربما عدت عندئذ إلى الوطن عن طريق أدرنة أو فينا[2].

وصل نابليون إلى أسوار عكا بجيشه الهزيل[3]، و كانت المدينة تحت حكم أحمد باشا الجزار[4]، لقد بذل الجيش الفرنسي كل ما في وسعه من أجل السيطرة عليها، وعاود الهجوم تلو الآخر من أجل دخولها لكنه فشل[5]. و يعود ذلك لاستبسال أهل عكا في الدفاع عن مدينتهم، و الوقوف في وجه القوات الفرنسية إلى جانب حاكمهم أحمد باشا الجزار الذي كان دفاعه عن المدينة قويا[6]، لأنه كان يشد أزره من ناحية البحر الأسطول الانجليزي بقيادة السير سيدني سميث الذي استولى على أكثر المؤن، و الذخائر التي أرسلت إلى الجيش الفرنسي من مصر[7].

و بعد مرور شهرين من حصار الجيش الفرنسي لمدينة عكا، و فشله في اختراق أسوارها[8] و صلته أنباء من مصر مفادها أن قوة برية عثمانية – إنجليزية متوجهة إلى

---

(1)- العسلي، مرجع سابق، ص، 94.

(2)- نفسه، ص، 94.

(3)- نفسه، ص، 96.

(4)- **أحمد باشا الجزار:** ولد سنة 1720م بالبوسنة، اقترف و هو صغيرا في بلاده جرما أخلاقيا، فر على إثره إلى اسطنبول، و باع نفسه إلى نخاس يهودي، و انتهى أمره بعدئذ إلى علي بك في القاهرة فعينه جلادا، و قد تفنن في أداء هذه المهنة مما أكسبه لقب الجزار، الذي كان يفتخر به كثيرا. ثم ذهب إلى الشام، و قد ساعد الدولة العثمانية في القضاء على تمرد ظاهر العمر، ليصبح بعدها حاكما على صيدا ثم حل محل الظاهر، و أصبح حاكما لعكا التي اشتهر فيها بدفاعه عنها و صموده أمام حصار الجيش الفرنسي له الذي كان بقيادة نابليون. أما وافاته فقد كانت سنة 1804م ...أنظر:

- فليب،حتى، **تاريخ سورية و لبنان و فلسطين**، ترجمة كمال اليانجي و مراجعة جبرائيل جبور، دار الثقافة، بيروت، ط$_1$ 1983م، ص ص، 337 – 340.

(5)- قدورة، مرجع سابق، ص ص، 335 – 336.

(6)- صبحي، مرجع سابق، ص، 172.

(7)- حتى، مرجع سابق، ص، 338.

(8)- لوتسكي، مرجع سابق، ص، 54.

مصر لمحاربة الفرنسيين هناك[1]، و إخراجهم منها هذا من جهة، و من جهة أخرى تأهب أهل القاهرة للقيام بثورة ثانية بعد بثورة بعد أكتوبر 1798م[2]، فاضطر الجيش الفرنسي على إثرها لرفع الحصار عن عكا، و الإسراع بالعودة إلى مصر[3].

1.1.عودة الجيش الفرنسي إلى مصر :

دخل نابليون إلى مصر – بعد تخلصه من أفراد جيشه الجرحى و المصابين – رافعا الأعلام العثمانية التي استولى عليها من مدينة يافا، ليوهم أهالي مصر أنه كان في موكب نصر[4]. و قد تزامن دخوله إلى مصر مع وصول القوات العثمانية بقيادة مصطفى باشا إلى الإسكندرية، و التي كان قوامها 10 آلاف جندي، حيث نزلوا في خليج أبي قير يوم 14 جويلية 1799م[5]، و هاجموا الحامية الفرنسية الموجودة هناك، و تمكنوا من اختراق دفاعها، و التي لم تجد خيار أمامها سوى الاستسلام للقوات العثمانية التي أسرتها و سيطرت على القلعة[6].

لما علم نابليون بما حدث لقواته في أبي قير أدرك خطورة الموقف، و سارع إلى الاستعداد للهجوم على القوات العثمانية هناك، التي استطاع التغلب عليها في 25 جويلية 1799م[7] بعدما دارت بينهما معركة أصبحت تسمى بموقعة أبي البرية، و يعود انتصار

---

(1)- Bret, Op. cit, p, 260.

(2)- قدورة، مرجع سابق، ص ص، 335 – 336.

(3)- طقوس، مرجع سابق، ص، 313.

(4)- روبير، سوليه، **علماء بونابرت في مصر**، ترجمة فاطمة عبد الله محمود و مراجعة و تقديم د. محمود ماهر طه و تصدير أنيس منصور، الهيئة العامة للكتاب، مصر، ط1، 2010م، ص، 124.

(5)- صبحي، مرجع سابق، ص، 173.

(6)- نفسه، ص، 173.

(7)- Henry, D' Estre, **Bonaparte (1798 – 1799)**, Librairie Plon, Paris, 1949, p, 342.

الفرنسيين في هذه الموقعة إلى حسن نظامهم، و إحكام هجومهم و كثرة عددهم[1].

تعتبر واقعة أبي قير البرية كارثة للعثمانيين الذين فقدوا ثمانية آلاف جندي و الباقي وقعوا أسرى بين يدي القوات الفرنسية، و منهم قائدهم مصطفى باشا كما استولى الفرنسيون على كل مدافعهم و ذخائرهم، أما قوات نابليون فإنها لم تفقد سوى 250 جندي في تلك المعركة[2].

و عقب انتصار الجيش الفرنسي في موقعة أبي قير البرية كتب نابليون إلى القاهرة يخبرهم بانتصارهم بقوله : " لعلكم علمتم أخبار معركة أبي قير، فهي من أبدع ما شهدت من معارك. و قد أجهز فيها على جيش العدو النازل إلى البر بأكمله. فلم ينج منه أحد"[3].

لقد حاول نابليون الاستفسار من قائد القوات الفرنسية مصطفى باشا ليعطيه صورة عما يجري في بلاده، لكن هذا الأخير لا يعلم شيئا عن أخبار أوربا، لذلك أرسل إلى قائد الأسطول الانجليزي الموجود في عرض البحر الأبيض المتوسط السير سيدني سميث ليتفاوض معه من أجل تبادل الأسى، و ليزوده بأخبار عن فرنسا[4]. و قد بعث له هذا الأخير بصحف يعود تاريخها إلى 10 جوان 1799م، و التي علم نابليون من خلالها ما حل بفرنسا، و شعر أن طبول الحرب تدق في أوربا، و أنه حان الوقت للعودة إلى فرنسا بأسرع وقت ممكن[6].

---

(1)- صبحي، مرجع سابق، ص، 173.

(2)- نفسه، ص، 173.

(3)- العسلي، مرجع سابق، ص، 97.

(4)- حسنة، مرجع سابق، ص، 118.

(5)- المحامي، مصدر سابق، ص، 376.

2.1.عودة نابليون إلى فرنسا و تولي كليبر القيادة في مصر :

لقد عجلت أخبار الهزائم التي حلت بالجيوش الفرنسية في أوربا، بعودة نابليون إلى فرنسا[1] بعدما غادر مصر في 22 أوت 1799م، في سرية تامة خوفا من الوقوع في أيدي الانجليز، و وصل إلى باريس في 13 أكتوبر 1799م[2]. وقد استطاع بفضل شبكاته المنظمة، و صحافته من تحويل فشله في مصر إلى نصر ضخم[3]، وبذلك تكون حروبه الخارجية، و ظروف فرنسا الداخلية قد هيأت له الفرصة لظهور كبطل منقذ، فقاد الانقلاب ضد حكومة الإدارة في 9 نوفمبر 1799م، ليصبح بعدها قنصل أول لفرنسا[4].

غير أنه قبل رحيله من مصر اختار الجنرال كليبر ليخلفه في قيادة الجيش، و ترك له رسالة شرح فيها الأسباب التي دفعته للمغادرة[5] بقوله : " إن مصلحة الوطن، و عظمته و الاستجابة للإحداث غير الطبيعية، قد دفعتني للرجوع وحيدا، و المرور من بين قطع البحرية المعادية للوصول إلى أوربا"[6]. و قد قام كليبر في 26 أوت 1799م بإذاع بيانا على الجيش الفرنسي بمصر أعلن فيه توليه قيادتهم، بعد مغادرة نابليون مبينا الأسباب التي دفعته للمغادرة وفقا لما جاء في رسالته[7].

كما حاول نابليون قبل رحيله عن مصر إجراء مفاوضات مع الدولة العثمانية لعقد الصلح معها، و من أجل ذلك كلف مصطفى باشا أن يرسل إلى الصدر الأعظم رسالة من

---

(1)- Juchereau, Op. cit, p, 90.

(2)- سلطان، مرجع سابق، ص، 149.

(3)- العسلي، مرجع سابق، ص، 97.

(4)- Jean Paul, Bertaud, **Le Consulat et l'empire**, Armand colin, Paris, 2005, p p, 15 – 17.

(5)- Bret, Op. cit, p, 262.

(6)- العسلي،مرجع سابق، ص، 97.

(7)- نفسه، ص، 97.

نابليون بتاريخ 17 أوت 1799م[1]، ذكر فيها الأسباب التي دفعت فرنسا للقيام بالحملة على مصر كما نوه في الرسالة بالصداقة التي جمعت بين فرنسا، و الدولة العثمانية منذ القدم، محذرا إياها في الأخير من أخطار الدول المتحالفة معها بذكر عداءاتها لها قبل التحالف[2].

غير أن نابليون عجلت أخبار أوروبا برحيله، و لم ينتظر الرد على رسالته لأنه غادر مصر بعد خمسة أيام من تاريخ الرسالة، إلا أنه أعطى للجنرال كلبير صلاحيات التفاوض مع الدولة العثمانية بعدما عينه كما أسلفنا قائدا للجيش في مصر من بعده[3].

و بناءا على طلب نابليون فإنه بعد توليه قيادة الجيش بدأ يتأهب للتفاوض مع العثمانيين من خلال توجيه دعوة لهم للتفاوض، لأجل جلاء القوات الفرنسية عن مصر[4].و عليه فقد اقترح كلبير على العثمانيين إيفاد مبعوث من عندهم للتفاوض معه حول شروط الجلاء، لكن العثمانيون اعتبروا ذلك ضعفا، و حاولوا استغلال الفرصة للاستعداد و تجهيز حملة للزحف على مصر، و طرد الفرنسيين منها[5].

لقد وصلت تلك الحملة العثمانية إلى مصر في أول نوفمبر 1799م، معززة من ناحية البحر بالأسطول الانجليزي بقيادة السير سيدني سميث، و لما نزلت القوات العثمانية إلى البر دارت بينها، و بين القوات الفرنسية معركة انتصر فيها الفرنسيون انتصارا كبيرا[6].

---

(1)- حسنة، مرجع سابق، ص، 119.

(2)- نفسه، ص، 119.

(3)- Bret, Op. cit, p p, 263 – 264.

(4)- صبحي، مرجع سابق، ص، 174.

(5)- نفسه، ص، 174.

(6)- نفسه، ص، 174.

بالرغم من الانتصار الساحق الذي حققه الفرنسيين إلا أن كليبر لم يواصل الحرب و فضل العودة مرة أخرى للتفاوض مع العثمانيين من أجل الجلاء عن مصر[1]، و بأحسن الشروط لأنه كان مقتنع بضرورة إنهاء الحرب التي كان العثمانيون يستعدون لاستئنافها[2].

بعد لقاءات عدة أجراها الجنرال كليبر مع العثمانيين تمكن من الوصول معهم إلى اتفاق بعقد معاهدة التي كانت في 24 جانفي 1800م، وقد عرفت باسم معاهدة العريش الذي أهم ما تضمنته هو جلاء الفرنسيين عن مصر شريطة تحمل الدولة العثمانية نفقات نقل الجيش و أسلحته و عتاده إلى فرنسا[3].

الحكومة الانجليزية رفضت تلك المعاهدة لأنها لا تريد من الفرنسيين الخروج من مصر إلا كأسرى حرب[4]، و يأتي ذلك من تخوفها من انضمام تلك القوات إلى ميادين الحرب، و ساحات القتال في أوربا مما يزيد، و يعزز من قوة الفرنسيين العسكرية هناك[5] و إزاء ذلك رفض كليبر الجلاء عن مصر، و هاجم القوات العثمانية التي وصلت إلى عين شمس في طريقها نحو القاهرة في 20 مارس 1800م، و حقق عليها انتصارا ساحقا ولاحقها إلى ما وراء حدود مصر[6].

استغل سكان القاهرة نشوب معركة عين شمس، و أعلنوا الثورة على الفرنسيين بحيث انطلقت هذه المرة حي بولاق، لتنتشر بعدها، و تشمل العديد من إحياء القاهرة إذ

---

(1)- صبحي، مرجع سابق، ص، 174.

(2)- نفسه، ص، 174.

(3)- Bret, Op. cit, p, 264.

(4)- طقوس، مرجع سابق، ص، 315.

(5)- نفسه، ص، 315.

(6)- Bret, Op. cit, p, 265.

لم يكن كلهم[1]. و قد استمرت هذه المرة الثورة أكثر من شهر، و يعود ذلك لانشغال الجنرال كليبر مع قواته بمعركتهم مع العثمانيين، و ملاحقتهم إلى ما وراء حدود مصر[2].

بعد عودة كليبر إلى القاهرة مع قواته وجدها ثائرة ضدهم، مما جعله يصدر أوامره بتشديد الحصار على الأحياء الثائرة، و منع وصول الإمداد و المؤن إليهم، و قصفهم بالمدافع من القلاع و البروج[3]، و في ظل هذا الوضع لم يجد الثوار أمامهم خيار سوى الاستسلام بعد تأمينهم على أرواحهم، و يعود ذلك إلى عدم تنظيمهم و نقص أسلحتهم و افتقارهم للمدفعية[4].

غير أن الجنرال كليبر بعد إخماده لنار الثورة تنكر لوعوده بالإعفاء عنهم بحيث عاقبهم بفرض غرامات مالية كبيرة على أهالي القاهرة خاصة منهم العلماء، و الأعيان و التجار[5]، لكن شاءت الأقدار و أن خلصتهم ليس من الغرامات المالية، و إنما من كليبر نفسه بعد حوالي شهرين من إخماد الثورة، باغتياله على أيدي سليمان الحلبي الذي تسلل إلى قصره، و قتله في 14 جوان 1800م[6]، ليخلفه بعدها في قيادة الجيش الجنرال مينو (Mino)[7].

---

(1)- الجبرتي، عجايب الآثار ...، ج4، مصدر سابق، ص، 334.

(2)- صبحي، مرجع سابق، ص ص، 175 – 176.

(3)- الجبرتي، عجايب الآثار ...، ج4، مصدر سابق، ص ص، 334 – 335.

(4)- صبحي، مرجع سابق، ص ص، 175 – 176.

(5)- الجبرتي، عجايب الآثار...، ج4، مصدر سابق، ص، 361.

(6)- طقوس، مرجع سابق، ص، 316.

(7)- **الجنرال مينو:** تولى قيادة الفرقة الخامسة من فرق الحملة الفرنسية على مصر، و عقب دخولهم إلى مصر عينه نابليون حاكما على مدينة رشيد، ليصبح بعد وافاة الجنرال كليبر قائدا عاما للقوات الفرنسية في مصر، لكنه لم يكن محنكا مما جعله يحظى بنبذ من طرف جنوده، و أهم ما اشتهر به في مصر اعتناقه للإسلام، و سمى نفسه " عبد الله باشا مينو"، و تزوج بسيدة مصرية من رشيد، إلا أن ذلك لم يمنعه من كره المصريين، الذي فرض عليهم ضرائب جديدة إلى جانب الضرائب المفروضة من قبل. لكن لحسن الحظ أنه لم يلبث في مصر كثيرا لأن العثمانيين مع الانجليز أجبروه عن الجلاء عن مصر ... أنظر:

- عبد المنعم، مرجع سابق، ص، 101.

3.1.عهد مينو و جلاء الفرنسيين عن مصر :

حاول نابليون بعد تولي الجنرال مينو قيادة الجيش تدعيمه لضمان بقائه في مصر لكن تحريض انجلترا الدولة العثمانية عن طريق قنصلها المتواجد باسطنبول، ببعث حملة إلى مصر لإخراج الفرنسيين منها حال دون ذلك[1].

استجابة لطلب انجلترا قرر السلطان العثماني بعث حملة إلى مصر لإخراج الفرنسيين منها معززة بقوات انجليزية، التي وصلت إلى خليج أبي قير قبل وصول القوات العثمانية، و قد كان وصولهم في 8 مارس 1801م[2]، و التي دارت بينها و بين الفرنسيين معركة أسفرت عن هزيمة الفرنسيين بقيادة مينو، و تراجعهم إلى الإسكندرية[3].

بعد مرور أربعة أيام على هزيمة الفرنسيين في المعركة سالفة الذكر وصلت إلى أبي قير الحملة العثمانية الأولى التي بلغ عددها 6 آلاف جندي، و كانت تحت قيادة حسين قبطان باشا[4]، و فور نزولها انضمت إلى القوات الانجليزية التي تعززت بها، مما شجعها و ساعدها على مواصلة الزحف نحو العاصمة محتلة في طريقها كل من مدينة رشيد و الرحمانية[5]. أما الحملة العثمانية الثانية فإنها كانت بقيادة الوزير يوسف ضيا باشا و التي بدأ زحفها من العريش، لتلتقي مع القوات العثمانية الانجليزية عند إمبابة للتخطيط و الاستعداد للهجوم على الفرنسيين في القاهرة[6].

لما رأي الجنرال بليار الذي تركه مينو خلفا له في القاهرة القوات العثمانية

---

(1)- حسنة، مرجع سابق، ص، 122.

(2)- صبحي، مرجع سابق، ص، 177.

(3)- نفسه، ص، 177.

(4)- Juchereau, Op. cit, p, 96.

(5)- صبحي، مرجع سابق، ص ص، 177 – 178.

(6)- نفسه، ص، 178.

الانجليزية فقد هاله ذلك، و أعلن أن لا قدرة له مجابهة تلك القوات مما جعله يلجأ إلى طريقة التفاوض معهم حول الجلاء عن مصر بالشروط التي اتفق عليها في معاهدة العريش، و بالفعل تم الاتفاق معهم و على إثرها وقع معهم معاهدة الجلاء في 27 جوان 1801م عن القاهرة[1]. أما الجنرال مينو فإنه رفض أن يحذو حذو الجنرال بليار، و ظل يقاوم في الإسكندرية إلا أن ذلك لم يدم طويلا، لأنه بعد شهرين اضطر هو الآخر لتسليم المدينة بعد توقيعه معاهدة الجلاء عن الإسكندرية في 31 أوت 1801م[2].

هكذا بعد ثلاثة سنوات، و التي كانت حافلة بالمعارك سواء في البداية مع المماليك أو فيما بعد مع العثمانيين و الانجليز من جهة، و أهالي مصر من جهة أخرى اضطر الفرنسيين إلى الجلاء عن مصر، بعد اجتماع قام به كل الجنرالات الفرنسيين في شهر سبتمبر 1801م[3]، و طلبوا مهلة للجلاء عن مصر مع أخذ معهم كل ما يملكون من معدات و أسلحة و ذخيرة بما في ذلك الآثار، و قد وافق العثمانيون و الانجليز على كل المطالب الفرنسية[4].

2.الحملات التوسعية الفرنسية في الجزائر :

بعد سقوط مدينة الجزائر في أيدي الفرنسيين إثر توقيعهم لمعاهدة الاستسلام في 5 جويلية 1830م مع الداي حسين، و استباحتهم للمدينة منذ أول يوم دخولهم بتصريح من القائد العام د ي برمون قرر هذا الأخير القيام بحملات توسعية لفك العزلة عن مدينة

---

(1)- صبحي، مرجع سابق، ص، 178.

(2)- نفسه، ص، 178.

(3)- حسنة، مرجع سابق، ص، 122.

(4)- نفسه، ص، 122.

الجزائر نتيجة الحصار المضروب عليها من طرف أهل متيجة[1].

لقد كانت أول حملة قرر القيام بها د ي برمون هي الحملة على مدينة البليدة في 22 جويلية 1830م، رغم المخاطر التي كانت تحيط بتلك الحملة[2]، و رغم تحذيرات محمد بن زعموم[3] من خلال ما كتبه إلى د ي برمون إلا أن هذا الأخير لم يأبه لا به و لا بتحذيراته، و أصر على المضي في حملته باتجاه البليدة[4].

وصل د ي برمون إلى مدينة البليدة في 23 جويلية مع جنده الذين كان قوامهم 1400 بين جندي و ضابط، إضافة إلى بطارية مدفعية و فرقة قناصة، و قد قضى ليلته هناك على أسوار البليدة دون أن يسمح له بدخولها، وقرر على إثرها العودة إلى الجزائر أين بغاته في طريق عودته رجال من قبائل متيجة، و بذلك تأكد لدي برمون أن تحذيراتهم لم تكن مجرد كلام[5].

بعد عودته إلى الجزائر أصبح يفكر في الانتقام من أهالي متيجة، و على رأسهم أهالي البليدة لما ألحقوه به أثناء عودته إلى الجزائر، و راح يبحث عن أسباب و أشخاص يلصقهم التهمة، و يحملهم مسؤولية ما جرى له في البليدة، فلم يجد أمامه إلا العثمانيين الذي أمر بترحيلهم إلى بلادهم بطرق و حشية[6].

---

(1)- تلمساني، مرجع سابق، ص، 47.

(2)- حمداني، مرجع سابق، ص، 287.

(3)- **محمد بن زعموم:** هو من قبيلة فليسة أم الليل، و قد قاد المقاومة في سهل متيجة ضد الفرنسيين، و خاض عدة معارك ضدهم منهم معركة البليدة الأولى التي أحرز فيها انتصارا باهرا على الفرنسيين في سنة 1830م، و استمر في المقاومة إلى أن توفي سنة 1842م ... أنظر:

- سعد الله، الحركة الوطنية ...، ج$_1$، مرجع سابق، ص، 119.

(4)- تلمساني، مرجع سابق، ص، 288.

(5)- حمداني، مرجع سابق، ص، 288.

(6)- نفسه، ص، 289.

أما الحملة الثانية التي أمر بها د ي برمون كانت على مدينة عنابة بقيادة دامريمون Damrémont في 2 أوت 1830م، و الذي جاء تطلعه إلى عنابة باعتبارها تمثل نقطة إستراتيجية و هام في حوض المتوسط، لأنها بوابة الجزائر على الجهة الشرقية لحوض المتوسط(1)، و التي جعلته يتخوف من إمكانية قيام الدولة العثمانية بحملة على الفرنسيين في الجزائر، و بالتالي تدخل من ميناء عنابة، كما أن السيطرة عليها تعتبر ضربة لباي قسنطينة الذي كان رافعا راية الجهاد ضد الفرنسيين بعد سقوط مدينة الجزائر(2).

كانت حملة دامريمون على عنابة من ناحية البحر إلا أن وحدة أهاليها، و شجاعتهم أجبروه على الانسحاب منها في 18 أوت 1830م، ليعود أدراجه إلى الجزائر ليقود بها حملة أخرى ستكون نهايته فيها(3).

أما الحملة الثالثة و الأخيرة في عهد د ي برمون كانت على مدينة وهران، و التي عين ابنه أميدي Amédi قائدا لها، و قد كانت في 13 أوت 1830م(4)، و جاءت هذه الحملة بعد مفاوضات أجراها مع بايها حسن بن موسى الذي كان مسنا، و منبوذا من طرف أهالي وهران، و الذي قرر تسليم المدينة للفرنسيين الذين تمكنوا في البداية من احتلال وهران و المرسى الكبير(5)، و إلا أن شجاعة و بسالة أهالي وهران جعلت الحملة الفرنسية على وهران تفشل، و تعود أدراجها إلى الجزائر بعدما فقد قائدها رأسه فيها(6).

---

(1)- سعد الله، الحركة الوطنية ...، ج$_1$، مرجع سابق، ص، 30.

(2)- نفسه، ص ص، 30 – 31.

(3)- نفسه، ص، 31.

(4)- مسعودي، مرجع سابق، ص، 64.

(5)- الأمير عبد القادر، **مذكرات الأمير عبد القادر**، تحقيق د. محمد الصغير بناني و محفوظ سماتي و محمد صالح الجون دار الأمة، الجزائر، ط$_7$، 2010م، ص، 138.

(6)- سعد الله، الحركة الوطنية ...، ج$_1$، مرجع سابق، ص ص، 31 – 32.

بالرغم مما قدمه د ي برمون من انتصاره على الجزائريين، و إسقاطه للحكم العثماني بالجزائر، و احتلاله لعاصمتها إلا أن ذلك لم يشفع له عند فرنسا التي مباشرة بعد قيام الثورة بها في جويلية 1830م، و تبديل الحكم لصالح لويس فليب الذي هو، و أتباعه أجبروا شارل العاشر على التنحي من السلطة قررت الحكومة الجديدة عزله في 7 أوت من نفس السنة سالفة الذكر، غير أنه لم يعلم بذلك إلا في يوم 20 منه[1]، و عينوا خلفا له الجنرال كلوزيل Clauzel الذي فور وصوله غادر الجزائر في 3 سبتمبر 1830م على متن سفينة نمساوية استأجرها من ماله الخاص بعدما رفض كلوزيل منحه سفينة فرنسية تحمله إلى إسبانيا[2].

كان كلوزيل أكثر مما خلفه كان متهورا، و ارتجاليا في سياسته في الجزائر بحيث منذ دخوله عمد على إتباع سياسة الترغيب، و التهريب[3] من خلال خطاباته أما من الناحية العسكرية، فقد أراد إنشاء فرقة من المشاة من الجزائريين من أجل مساعدة جيشه في توسعاتهم، و كان يطمح لإنشاء كذلك فرقة من الفرسان من أبناء الجزائر كذلك، غير أن فشله في تكوين الفرقة الأولى جعله يعرض عن تكوين الفرقة الثانية[4].

كما أراد كلوزيل فك الحصار المضروب على قواته في مدينة الجزائر بعد فشل سلفه في حملاته على البليدة و عنابة و وهران هذا من جهة، و من جهة أخرى أراد التخفيف من التذمر الذي كان عليه أهالي مدينة الجزائر نتيجة غلاء الأسعار وسوء المعاملة،و كذلك الرفع من معنويات الجيش المنهارة، فعزم على فعل شيء يحقق له

---

(1)- سعد الله، الحركة الوطنية ...، ج$_1$، مرجع سابق، ص، 33.

(2)- نفسه، ص، 33.

(3)- نفسه، ص، 33.

(4)- نفسه، ص، 35.

كل ذلك فلم يجد أمامه إلا محاولة إعادة الكرة بالحملة على كل من البليدة و المدية[1].

و على أمل تحقيق ما كان يصبو إليه الجنرال كلوزيل انطلق من مدينة الجزائر على رأس قوات قوامها 8 آلاف بين جنديا، و ضابطا في 17 نوفمبر 1830م[2]، نحو مدينة البليدة، و أثناء طريقه اعترضته مجموعة من المقاومين جرت بينهما اشتباكات رغم ذلك تمكن كلوزيل مع قواته من الوصول إلى مدينة البليدة مع نهاية اليوم الثامن عشر من شهر نوفمبر، لقد حاول أهالي البليدة منع الفرنسيين من الدخول إلى مدينتهم، و ذلك بغلق جميع الأبواب، لتضرب بعدها القوات الفرنسية حصارا على المدينة مع محاولة الاقتحام و بالفعل تمكنت من دخول المدينة، و السيطرة عليها، و تحويل مسجدها إلى مستشفى و قد كلفه ذلك سقوط 30 قتيلا في صفوفه[3].

حاول كلوزيل الانتقام من أهالي البليدة بعد دخوله المدينة على ما أبدوه من مقاومة بإطلاق عنان الحرية لقواته في التصرف مع الأهالي الذين نهبوا، و تعدوا على الأعراض بينما كلوزيل بعد إحكام قبضته على المدينة غادرها متجها نحو المدية بعدما ترك بها حامية عسكرية[4]. إلا أن أهالي المدية اعترضوا طريقه قبل وصوله إلى مدينتهم و تمكنوا من قتل 27 و جرح 80 من قواته، و هذا ما أعاق تقدمه إلى غاية 22 نوفمبر 1830م[5].

إلا أن بعد مغادرة كلوزيل البليدة متجها نحو المدية هاجمت القوات المقاومة بقيادة

---

(1)- تلمساني، مرجع سابق، ص، 50.

(2)- نفسه، ص، 50.

(3)- نفسه، ص ص، 50 – 51.

(4)- محمد بن عبد القادر، الجزائري، **تحفة الزائر في تاريخ الجزائر و الأمير عبد القادر**، ج$_1$، شرح و تعليق ممدوح حقي، منشورات ثالة، الجزائر، ب.ط، 2007م، ص، 168.

(5)- سعد الله، الحركة الوطنية ...، ج$_1$، مرجع سابق، ص، 37.

حسن بن زعموم الحامية العسكرية الفرنسية بالبليدة[1]، و تمكنت من القضاء على عدد من الفرنسيين، و حالت دون وصول الإمداد، و المؤن إلى البليدة إلا أن خروج القوات الفرنسية من البليدة، و مهاجمة قوات المقاومة من الخلف أربكتهم، و أخلطت أوراقهم مما جعلهم يفضلون الانسحاب[2].

و لما عاد كلوزيل من المدية وجد مدينة البليدة تعج بالفوضى، و المستشفى مكتظ على آخره بالجرحى من القوات الفرنسية، فلم يجد سوى الانتقام من الأهالي العزل الذين امتلأت بيوتهم بالجثث[3].

ليتولى بعده الجنرال برتزين Berthesene قيادة الجيش في 20 فيفري 1831م خلفا للجنرال كلوزيل، و الذي انتهج في البداية سياسة الشدة، و الخشونة حيث شن حملة على مدينة المدية في 25 جوان 1831مع جيش قوامه 4 آلاف جندي، و ضابط لتصل تلك الحملة على مشارف المدية في 29 جوان، أين دارت اشتباكات مع بعض المقاومين و قد قام بحرق المزارع و محاصيلها، و البيوت ظنا منه أن ذلك يجبر أهالي المدية على الخضوع و الطاعة، لكن ذلك لم يتحقق بل زادهم عزما، و تحدي على المضي في المقاومة و عدم الاستسلام[4].

بعدها لم يجد برتزين خيارا أمامه سوى العودة أدراجه إلى العاصمة مع قواته أين داهمه المقاومين في طريق عودتهم في عدة نقاط منها ثنية موزاية في 3 جويلية 1831م أين كبدوهم خسائر فادحة في الأرواح بلغت 120 قتيلا و 270 جريحا[5].

---

(1)- الجزائري، مصدر سابق، ص، 169.

(2)- تلمساني، مرجع سابق، ص، 52.

(3)- نفسه، ص، 52.

(4)- نفسه، ص، 54.

(5)- نفسه، ص، 55.

بعد عودة برتزين إلى الجزائر حاول تغيير سياسته من الشدة، و الغلظة إلى المهادنة و ذلك لتهدئة الأوضاع، و راح يبحث عن شخصية تكون ذات نفوذ، و تأثير بين أهالي متيجة حتى تكون واسطة بينه و بين الأهالي[1]، إلا أن تلك السياسة لم تدم طويلا لأنه تم استدعاءه إلى فرنسا، و تعيين خلفا له هو الجنرال روفيقو (Rovigo) [2].

عين الجنرال روفيقو في شهر ديسمبر 1831م خلفا كما أسلفنا ذكرا للجنرال برتزين، و الذي انتهج سياسة لا تختلف عن سابقيه بحيث اتسمت بالقوة، و القهر ظنا منه أن ذلك يسحق المقاومة، و الإعدام الجماعي للقبائل المقاومة و شيوخها[3].

أما عن الحملات فإنه لم يجرؤا على القيام بالحملة على مدينة البليدة، و المدية نظرا للمقاومة الشديدة بها، و إنما قام بإرسال حملة إلى مدينة عنابة التي تمكنوا من خلالها من دحر مقاومة الحاج أحمد باي بها، و السيطرة عليها في سنة 1832م. و قد حاول الاتصال مثل سابقيه بأحمد باي من أجل تسليم قسنطينة للفرنسيين عن طريق حمدان خوجة إلا أنه رفض ذلك، و استمر مع قواته في المقاومة[4].

و نتيجة مرض روفيقو تم استدعاءه، و تعيين خلفا له الجنرال فوارول (Voirol) في أفريل 1833م، و الذي تميز عن سابقيه بعدم تهوره، و عدم تحركه إلا بأمر من وزير الحربية بحيث في عهده اشتدت المقاومة ضد الفرنسيين في كل أنحاء الجزائر، و لم يستطع مع جيشه من عمل أي شيء أو خوض أي معركة ضد المقاومين مما جعل حكومته تستدعيه، و تعين خلفا له الجنرال ديرلون (Delran)[5] الذي بلغ من الكبر عتيا

---

(1)- سعد الله، الحركة الوطنية ...، ج$_1$، مرجع سابق، ص ص، 43 – 44.

(2)- نفسه، ص، 44.

(3)- نفسه، ص ص، 44 – 45.

(4)- حميدة، عميراوي، **جوانب من السياسة الفرنسية و ردود الفعل الوطنية في قطاع الشرق الجزائري**، دار البعث قسنطينة، ط$_1$، 1984م، ص، 49.

(5)- للمزيد عن كل القادة الفرنسيين المذكورين في هذا العنصر أنظر:

- غربي، و آخرون، مرجع سابق، ص ص، 307 – 322.

في جويلية 1834م، و اتسم عهده كسابقه إلى أن تم عزله، و تعيين خلفا له مرة ثانية كلوزيل[1].

إن عهد كلوزيل الثاني في الجزائر لم يكن يختلف عن عهده الأول، بحيث و كعادته انتهج سياسة الوعد، و الوعيد مع الجزائريين من خلال خطاباته، أما عن الحملات فقد كان يسعى للقيام بها على الجهة الغربية و الشرقية، فعلى الجهة الأولى تمكن من انتزاع تلمسان من قبضة المقاومين، و عين عليها بايا بعدها تفرغ للجهة الشرقية التي كان أحمد باي يتزعم كما أسلفنا المقاومة بها[2].

بعد فشل السلطات الفرنسية في استمالة أحمد باي لتسليم قسنطينة قررت إرسال حملة إلى قسنطينة في شهر نوفمبر 1836م بقيادة المارشال كلوزيل[3] الذي حشد لها قوات قوامها 8 آلاف جندي مزودين بالمدافع الثقيلة، و اتجه نحو مدينة قالمة أين أقام معسكره هناك ليستأنف بعدها الزحف نحو قسنطينة[4].

و لما علم أحمد باي بقدوم الحملة نحو استعد لذلك، و جند حوالي 6 آلاف مقاتل خرج على رأسهم للقاء الفرنسيين، و قد وضع خطة عسكرية محكمة تعتمد على عملية الالتفاف ثم الهجوم على المؤخرة[5]، و بفضل ذلك لم يستطع كلوزيل التوغل داخل المدينة و اضطر في النهاية إلى الانسحاب، و كان ذلك في 23 نوفمبر 1836م، و ارجع ذلك لسوء الأحوال الجوية[6].

---

(1)- سعد الله، الحركة الوطنية ...،ج$_1$، مرجع سابق، ص ص، 51 – 54.

(2)- أبو القاسم، سعد الله، **خلاصة تاريخ الجزائر (1830 – 1962)**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط$_1$، 2007م ص، 21.

(3)- صالح، فركوس، **الحاج أحمد باي قسنطينة (1826 – 1850)**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م ص، 66.

(4)- بوضرساية، الحاج أحمد ...، مرجع سابق، ص، 119.

(5)- نفسه، ص ص، 115 – 118.

(6)- سعد الله، الحركة الوطنية ...، ج$_1$، مرجع سابق، ص، 71.

في هذه الأثناء كانت الدولة العثمانية قد أعلنت الحرب على فرنسا، و أرسلت حملة عسكرية مكنتها من إلحاق طرابلس بها، و قد ساعدها ذلك على حماية تونس، و الاقتراب من الجزائر[1]. و قد كان بإمكانها استغلال الظروف، و الانضمام إلى أحمد باي الذي كان يخوض غمار الحرب لوحده في الإقليم الشرقي ضد فرنسا[2].

لكن الدولة العثمانية نظرا لضعفها، و رفض انجلترا مساندتها في حربها ضد فرنسا فإنها اكتفت بتقديم المساعدة لأحمد باي بعد الهجوم الفرنسي الأول على قسنطينة و قد جاءت هذه المساعدة بناءا على طلب من أحمد باي، و ذلك حسب قول السلطان العثماني : " لقد علمنا من رسالتكم التي نقلها إلينا باشا طرابلس بكل ما حدث في بلادكم. و إننا نهنئكم على الشجاعة التي أبديتموها في مثل هذه الظروف، و نحمد الله على النصر الذي حققه لكم. أننا ندرك جيدا بأن الكفار سيهاجمونكم من جديد، و نخبركم بأننا لن نبخل عليكم بمعونتنا، و سنرسل إليكم عددا كافيا من الجنود و المدافع، و من المختصين في المدفعية[3].

بالفعل تم إرسال إلى أحمد باي كما وعده السلطان العثماني في رسالته إليه أربع سفن حربية على متنها الجنود العثمانيين و 12 مدفعا و 150 من رماة المدافع غير أن باي تونس، و كالعادة خوفا من غضب السلطات الفرنسية لم يسمح لتلك المساعدات من المرور إلى الجزائر[4].

أما فرنسا فقد اعتبرت مساعدة الدولة العثمانية لأحمد باي بمثابة الحرب عليها، و قد

---

(1)- شويتام، مرجع سابق، ص، 123.

(2)- نفسه، ص، 123.

(3)- مذكرات أحمد باي ...، مصدر سابق، ص، 61.

(4)- عميراوي، دارسات في تاريخ ...، مرجع سابق، ص، 71.

حذرته من مساعدة أحمد باي، بحيث في حالة وقوع ذلك مرة ثانية، فإنها ستعلن هي الأخرى الحرب على الدولة العثمانية[1].

حاولت الدولة العثمانية مرة أخرى مساعدة أحمد باي من خلال محاولتها لضم تونس إليها، و ذلك من خلال الحملة التي أرسلتها في سنة 1837م إلى تونس إلا أن الأسطول الفرنسي حال دون تحقيق هدفها، و وصولها إلى مياه المتوسط بحجة حماية مصالح فرنسا في حوض المتوسط، مما اضطر الحملة العثمانية إلى التراجع عائدة إلى اسطنبول دون التمكن من تحقيق هدفها[2].

و بذلك وجد أحمد باي نفسه وحيدا دون أية مساعدة في دفاعه عن قسنطينة أثناء الحملة الفرنسية الثانية عليها، مما جعل الغلبة للفرنسيين الذين تمكنوا من السيطرة على المدينة[3]، و إجبار أحمد باي على الفرار إلى الصحراء عند أخواله في الزبان.

بسقوط قسنطينة معناه أن الشرق الجزائري كله قد سقط لأنها هي عاصمته كما أن الدولة العثمانية لم تقم بأي شيء إزاء سقوط قسنطينة في أيدي الفرنسيين، بل منذ تلك اللحظة طوت ملف الجزائر من شؤونها، و تركتها للفرنسيين الذين راحوا يتوسعون بكل حرية، و تركت الجزائريين وحدهم يجابهون العدو الفرنسي، و على العكس في مصر فإنها جابهت الفرنسيين إلى غاية إجبارهم على الخروج من مصر، و ربما يعود ذلك لوقوف القوى المعادية لفرنسا إلى جانبها على عكس في الجزائر، و نظرا لظروفها الداخلية و الخارجية لم تستطع مجابهة فرنسا للخروج من الجزائر لوحدها[4].

---

(1)- كوران، مرجع سابق، ص، 71.

(2)- عميراوي، جوانب من السياسة ...، مرجع سابق، ص، 22.

(3)- محمد الصالح، العنتري، **فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة و استيلائهم على أوطانها (تاريخ قسنطينة)** مراجعة و تقديم و تعليق أ. يحي بوعزيز، دار هومة، الجزائر، ب.ط، 2005م، ص ص، 141 – 142.

(4)- كوران، مرجع سابق، ص، 76.

1.نتائج الحملة الفرنسية على مصر و الجزائر :

إن الآثار التي خلفتها الحملة الفرنسية على مصر تختلف عن النتائج التي ترتبت عليها في الجزائر لأن في مصر، و بالرغم من قصر المدة إلا أنها أعطت نتائج بانت ثمارها فيما بعد (أي عهد محمد علي)، فهي تعتبر فاصل بين العصر الجمود، و الركود الذي كانت تعيشه مصر، و عصرها الحديث بينما في الجزائر انعكست عليها سلبا منذ أن نجحت الحملة عليها، و هذا ما سوف نلاحظه فيما بعد.

1.1.نتائج الحملة الفرنسية على مصر :

بالرغم من أن الحملة الفرنسية على مصر لم تدم طويلا (ثلاث سنوات) إلا أنها خلفت وراءها نتائج على جميع الأصعدة[1]. بحيث إلى غاية مجيئها لم تتعرض الإيالات العربية الخاضعة للحكم العثماني لأي اعتداء أو حملة من قبل القوى الأوربية الكبرى فقد كانت تلك الإيالات تعيش حالة من العزلة عن العالم الخارجي، و الجمود و التأخر عن مواكبة الركب الحضاري، و ذلك بسبب الأنظمة التي كانت تحكمها التي كان همها الوحيد كيفية جمع الضرائب المفروضة على الأهالي[2].

فالحملة الفرنسية على مصر كسرت ذلك الجمود، و العزلة التي كانت تعيشها منطقة الشرق الأوسط، و أظهرتها كمنطقة خاصة ذات أهمية إستراتيجية كبيرة للقوى العظمى التي راحت تتنافس للسيطرة عليها[3]، و خاصة الحكومة الانجليزية التي أيقنت مع مطلع القرن التاسع عشر، بأنه من الضروري أن تسيطر على مصر من خلال

---

(1)- إبراهيم، الجمل، مرجع سابق، ص، 115.

(2)- عمر عبد العزيز عمر، و آخرون، **دراسات في تاريخ مصر الحديث و المعاصر**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ب.ط، 2006م، ص، 231.

(3)- نفسه، ص، 231.

تنصيب عليها حاكم تربطه أواصر الصداقة معها حتى لا تترك مصر للفرنسيين مرة أخرى[1].

و بذلك تكون فرنسا من خلال حملتها على مصر، قد افتتحت مرحلة طويلة من التنافس الأنجلو–فرنسي على مصر، و الذي اختتم بالاحتلال الانجليزي لها في سنة 1882م[2]. بحيث بعدما فشلت حملتها على مصر سنة 1807م ظلت انجلترا تقف أمام استقلال مصر، فقد عارضت بشدة مشروعات محمد علي، و وقفت في وجه أطماعه التي كانت تهدد مصالحها في الهند، و الشرق الأقصى من خلال إجباره على الانسحاب من المناطق التي استولى عليها بعدما كانت هي المسؤولة الأولى عن معاهدة لندن سنة 1840م، تلك المعاهدة التي فرضت على مصر نوعا من الوصاية الدولية، و جعلت الحكم فيها وراثيا إلى غاية إعلان الحماية الانجليزية عليها سنة 1914م[3].

خلفت تلك النوع من الوصاية الدولية فرصة واسعة للتغلغل الأوربي في مصر لاسيما الانجليزي[4]، و الفرنسي في العهد الذي يلي عهد محمد علي، غير أن هذا الأخير في عهده كان قد أعجب بالنظم الأوروبية لاسيما الفرنسية منها، مما جعله يفتح الباب على مصراعيه لكل ما هو أجنبي خصوصا إذا كان فرنسيا. فقد اعتمد على الفرنسيين في بناء أسس دولته الحديثة[5].

---

(1)- عبد العزيز عمر، و آخرون، مرجع سابق، ص، 231.

(2)- نفسه، ص، 232.

(3)- إبراهيم، الجمل، مرجع سابق، ص، 116.

(4)- عبد العزيز عمر، و آخرون، مرجع سابق، ص، 231.

(5)- غربي، دراسات حول تاريخ ...، مرجع سابق، ص ص، 175 – 176.

كما قضت الحملة الفرنسية في مصر على البناء الأساسي للوظائف و المصالح و الحقوق المكتسبة التي كانت من قبلهم، و ذلك بالقضاء على حكم المماليك، و مكانتهم في مصر ليحل محلهم الفرنسيين[1]، وقد وجه مجيء الفرنسيين إلى مصر، و سيطرتهم عليها ضربة قاضية للمماليك الذين لن يستطيعوا حتى بعد خروج الفرنسيين من مصر استرجاع مكانتهم[2].

كما نتج عن اضمحلال طبقة المماليك أثناء الوجود الفرنسي نمو، و ازدياد نفوذ العلماء الذين أتاح لهم نابليون فرصة المشاركة في حكم مصر من خلال الدواوين التي أقامها في مصر، و أعطاهم العضوية فيها، و جاء اهتمامه بالعلماء لتفطنه إلى الدور و الأهمية التي لهم في الحياة العامة في العصر السابق له، و مدى تأثيرهم على الأهالي[3].

و عليه فإن الديوان كان في مصر في تلك الفترة كان شيء جديد كما أن الطبقة الوسطى(البرجوازية) كان شيء جديد إشراكها في الحكم[4]، لأنها في الإيالات العربية خلال العهد العثماني لم يكن لها، أو لم تشغل أي منصب رسمي في الحياة السياسية أو السلطة التنفيذية. كما أن مجالس المدن لم تنشأ من قبل في كامل أجزاء الدولة العثمانية حتى أخذت ذلك من النظم الأوربية في القرن التاسع عشر[5].

عمل الديوان الذي أنشأه نابليون في مصر تحت إشراف، و سيطرة فرنسية دقيقة، و لكن رغم سلطاته المحدودة، فقد كان تجربة مهمة لأن منح السلطة السياسية الفعلية لرجال (العلماء) كان دورهم في الدولة من قبل هو أن يكونوا وسطاء و مصلحين

---

(1)- إبراهيم، الجمل، مرجع سابق، ص، 116.

(2)- صبري، مرجع سابق، ص، 26.

(3)- نفسه، ص، 117.

(4)- عبد العزيز عمر، و آخرون، مرجع سابق، ص، 237.

(5)- نفسه، ص، 237.

و أصحاب نفوذ من كونهم سلطة تنفيذية[1].

كما أنشأ نابليون في مصر دواوين الأقاليم أو مجالس المديريات في القطر المصري في 27 جويلية 1798م، بحيث تقوم تلك المجالس بالاستماع إلى شكاوي الأهالي و عرضها على نابليون مع تنظيم المعاملات بين القرى، و منع اعتداء إحداهم على الأخرى كما تم تعيين أغا في كل مديرية يتصل بالقومندان الفرنسي، و يكون تحت إمرته قوة مسلحة من 60 رجلا من الأهالي يحافظ بهم على النظام و الأمن و السكينة. وكذلك تعيين مدير الضرائب في كل مديرية لجباية الضرائب، و بذلك حل رأي الجماعة كحل رأي الفرد، و بذلك أعطى نابليون للمصريين تجربة في ديمقراطية الحكم المحلي لم تكن معروفة من قبل في عهد العثمانيين و المماليك[2].

و بناءا على ما سبق فإن الدواوين التي أنشأها نابليون في مصر تعتبر التجربة الأولى للمصريين في المشاركة في حكم بلادهم بعدما ما كانونا معزولين تمام عن أداة الحكم فيها، و بذلك يكونوا قد خاضوا تجربة في الحكم النيابي بعدما كانوا خاضعين للحكم الشخصي أيام العثمانيين و المماليك، وكانت هذه التجربة بمثابة إيقاظ لهم، و تنبيه إلى حقهم في مزاولة السلطة في بلادهم، و بمثابة تدريب لهم على مسؤوليات الحكم الديمقراطي، و هذا ما جسدوه في سنة 1805م حينما استطاعوا تقرير مصيرهم بصورة عملية[3]، ظروف الحملة السيئة قبيل الجلاء عن مصر. و مع ذلك فقد مهد ذلك المشروع الطريق لإصلاح، و وجه الأنظار إليه حتى تم اعتماده فيما بعد.

كما لفتت الحملة الفرنسية الأنظار، و خاصة أنظار انجلترا إلى أهمية حفر قناة السويس، و أهمية الطريق البري المصري في التجارة إلى الهند، مما أدى إلى تنشيط

---

(1)- عبد العزيز عمر، و آخرون، مرجع سابق، ص، 237.

(2)- نفسه، ص ص، 237 – 238.

(3)- صبري، مرجع سابق، ص، 27.

الخط الحديدي من الإسكندرية إلى القاهرة، ثم من القاهرة إلى السويس، فزادت حركة المرور حتى انتهى الأمر بحفر قناة السويس، و فتحها للملاحة البحرية في سنة 1869م[1].

أما على الصعيد الثقافي و الفكري فقد مهدت الحملة الفرنسية لحدوث تأثيرات في الثقافة المصرية عن طريق العلماء الذين رافقوا نابليون إلى مصر، و انشأوا المجمع العلمي، الذي كان من أهم أثره ذلك الكتاب الضخم الذي حمل عنوان " وصف مصر"[2] الذي فيه كل ما يخص مصر من حيث التاريخ و المجتمع و الاقتصاد، و قد ظهر أولى أجزاء ذلك الكتاب في سنة 1809م، لتظهر باقي الأجزاء في سنة 1829م[3].

غير أن العلماء المصريين لم يتعاونوا مع العلماء الفرنسيين بالرغم من محاولاتهم لاطلاعهم على ما حوته أبنية المجمع العلمي، و يعود ذلك لاعتبارهم بأنهم كفار، و بأن أفكارهم معادية لشريعتهم كما أنهم كانوا لا يفرقون بينهم، و بين باقي الفرنسيين العسكريين[4].

و عليه يمكن اعتبار الغرس الحقيقي للثقافة الفرنسية في مصر يعود إلى عهد محمد علي الذي فتح الباب على مصراعيه أمام الأفكار الفرنسية التي جاءت مع الضباط و المهندسين، الذين اعتمد عليهم في بناء دولته أو عن طريق البعثات التعليمية المصرية التي كان يرسل بها إلى فرنسا، و التي كان يشرف عليها أحد علماء الجامعة الفرنسية[5].

---

(1)- عبد العزيز عمر، و آخرون، مرجع سابق، ص، 241.

(2)- غربي، دراسات في تاريخ ...، مرجع سابق، ص، 176.

(3)- نفسه، ص، 176.

(4)- عبد العزيز عمر، و آخرون، مرجع سابق، ص، 234.

(5)- نفسه، ص، 234.

2.1. نتائج الحملة الفرنسية على الجزائر :

إن نتائج الحملة الفرنسية على الجزائر تختلف عن نتائجها في مصر، فإذا كانت في تلك الأخيرة ضربت لهم أمثل عن التقدم الحضاري، و أعطت لهم فرص لتعويدهم على الحكم الديمقراطي، و انتهاجها لسياسة المهادنة معهم فإنه في الجزائر منذ دخولهم أعطيت لهم الإشارة لاستباحة المدينة كتكريم لهم على النصر الذي حققوه على المقاومة الجزائرية عشية وصولهم إلى الجزائر[1].

قابل الجنود الفرنسيين ذلك التكريم بالاستيلاء على القصور، و الفيلات التي كانت ملكا لموظفي الحكومة، و أعيان المدينة من نهب، و سرقة كل ما وجدوه فيها من أموال و كنوز و أثاث[2]، و لم يكتفوا بهذا، و إنما تعدوه إلى تخريب المنازل، و قطع الأشجار و كسر أنابيب المياه لملء أوانيهم و غيرها من أعمال التخريب[3].

غير أن أخطر شيء قاموا به هو إتلافهم للعديد من الوثائق العثمانية، و سجلاتهم فمنها من مزقوه، و منها من أحرقوه، و قد كان كل ما فعله الجنود أمام أعين قائدهم العام د ي برمون[4] الذي كان يختلف كثيرا على نابليون الذي أصدر قانونا مع دخوله إلى مصر بأنه من جنوده من يسيء إلى الأهالي أو مقاوماتهم أو أي شيء يخصهم، فإنه مباشرة يقوم بإعدامه رميا بالرصاص.

بناءا على ما سبق فإن الجزائر أصبحت تعيش فوضى لا مثيل لها بعد سقوطها في

---

(1)- مسعودي، مرجع سابق، ص، 62.

(2)- نفسه، ص، 62.

(3)- سعد الله، الحركة الوطنية ...، ج$_1$، مرجع سابق، ص، 23.

(4)- بن عثمان خوجة، مصدر سابق، ص، 176.

يد الفرنسيين الذين لم يعرفوا ماذا يفعلون بها، فأطلقوا العنان للنهب و التخريب فيها لاسيما بعد إسقاطهم للحكم العثماني بها، و ترحليهم للعثمانيين منها بطريقة وحشية[1].

أول من تم ترحيله هو الداي حسين وفقا لما نصت عليه معاهدة الاستسلام إلى نابلولي الذي كانت تجمعه صداقة مع ملكها في 10 جويلية 1830م على متن سفينة فرنسية مصطحبا معه 110 شخص من حاشيته، و قد وصل إلى نابلولي يوم 31 من نفس الشهر[2]، وقد أقام بها فترة ثم انتقل إلى ليفورنة، و منها إلى الإسكندرية التي ظل بها إلى أن وافته المنية سنة 1838م[3].

أما بقية الأتراك فقد تم ترحيلهم على مرتين، الأولى تم ترحيل الأتراك العزب الذين كانوا منخرطين في الجيش الانكشاري، و الذين بلغ عددهم 2500 جندي ثم تم ترحيل الأتراك المتزوجين بتهمة التحريض أي تحريض أهالي متيجة على فرض الحصار على الفرنسيين في الجزائر، و مهاجمتهم لهم أثناء محاولتهم التوسع في إقليمهم[4].

كما كان يهدف د ي برمون من ترحيله للعثمانيين هو فرض غرامات عليهم و امتلاك ما كانوا يملكونه في الجزائر، و كأن لم يكفيه هو و بقية جنوده ما نهبوه من خزينة الجزائر في القصبة التي تركها الداي حسين سالمة في ثلاث قاعات بالقصبة[5] لما غادر الجزائر في 10 جويلية لقول حمدان خوجة: " عندما غادر القصبة لم يمس حسين باشا أي شيء مما هو تابع للخزينة العامة، و لم يسمح لأحد بأن يفعل ذلك. لقد كان يرى نفسه مسؤولا حسب شروط الاستسلام عن كل ما يمكن امتلاكه، و بذلك لم يأخذ أي شيء

---

(1)- حمداني، مرجع سابق، ص، 289.

(2)- عباد، مرجع سابق، ص ص، 259 – 260.

(3)- نفسه، ص، 261.

(4)- مسعودي، مرجع سابق، ص، 60.

(5)- الزهار، مصدر سابق، ص، 132.

من كنوز الجزائر، و استطاعت فرنسا أن تتسلمها كاملة"[1].

قدرت اللجنة التي أعدها د ي برمون لإحصاء ما توفرت عليه خزينة القصبة بعدما سلم له الخزناجي مفاتيحها ب 56 مليون فرنك، منها أكثر من 48 مليون فرنك من الذهب و الفضة و الجواهر، و الباقي عبارة عن سلع و بضائع و 700 مدفع من البرونز التي أرسلت إلى فرنسا[2]. بينما هناك من يذكر أن الداي حسين لمازا ردي برمون أخبره أن الخزينة تحتوي على 180 مليون فرنك، و هذا و إن دل فإنما يدل على تعرض الخزينة للنهب من طرف الجيش الفرنسي و قائده[3].

و عليه فقد كثر الحديث عن نهب خزينة الجزائر، و أصبح كل واحد يتهم الآخر و قد طال الاتهام حتى الملك شارل العاشر، الذي نقل الجزء الأكبر من أموال الخزينة (43 مليون فرنك) إلى فرنسا، و ترك الباقي لتغطية حاجيات الجيش في الجزائر[4].

و بعد الانتهاء من موضوع الخزينة اتجهت أنظار د بيرمون و من جاء بعده إلى التوسع في الجزائر عن طريق القيام بعدة حملات إلا أن في عهد د بيرمون باءت كلها بالفشل إلى درجة أنه فقد في إحداها رأس ابنه أميدي. ليتولى هذه المهمة من جاء بعده فتم الاستيلاء على الجزائر من الغرب إلى الشرق بعد خوض العديد من الحملات، ليتحول الجيش الفرنسي من جيش غاز إلى جيش محتل ثم مستوطنا[5]، لأن فرنسا بعدها قررت الاحتفاظ بالجزائر في ظل عدم وجود من يدافع عنها، في ظل عجز الدولة العثمانية عن ذلك، لأنها كانت تعيش آخر أيام حياتها حتى أطلقت الدول الأوربية عليها اسم الرجل المريض.

---

(1)- بن عثمان خوجة، مصدر سابق، ص، 175.

(2)- مسعودي، مرجع سابق، ص، 60.

(3)- نفسه، ص، 61.

(4)- نفسه، ص، 61.

(5)- سعد الله، الحركة الوطنية ...، ج$_1$، مرجع سابق، ص، 16.


الخاتمة

بعدما تطرقنا لموضوع المقارنة بين الحملة الفرنسية على مصر و الجزائر توصلنا إلى:

أن أوضاع مصر خلال العهد العثماني لا تختلف عن أوضاع الجزائر خلال نفس العهد، و ما صاحب تلك الأوضاع من تخلف و انغلاق على النفس، و عدم مواكبة التطور و الركب الحضاري، مما جعل المصريون و الجزائريون على حد السواء يجهلون حقيقة فرنسا و إمكانياتها، و يظهر ذلك جليا من قول مراد بك الذي ذكرناه في البحث، و عدم قيام الداي حسين بالتحصينات البرية ظنا منه أن تلك الحملة الفرنسية لن تتعدى الضرب من ناحية البحر، و تعود أدراجها مثل سابقاتها من الحملات، و قد ترتب عن ذلك الاستخفاف الانهزام فيما بعد. و بالتالي فتلك الأوضاع التي كانت تعيشها مصر و الجزائر خلال العهد العثماني، هي التي هيأت الأرضية لنجاح الحملة الفرنسية عليهما.

استغلت فرنسا تلك الأوضاع التي كانت تعيشها مصر و الجزائر خلال العهد العثماني، لتعطي لحملتها عليهما الصبغة الشرعية، ففي مصر ادعت أنها جاءت لتخليص المصريون من ظلم و عبث المماليك، و في الجزائر من ظلم العثمانيين، و هي بذلك حاولت أن تستغل كره الأهالي للمماليك في مصر، و الحكام العثمانيون في الجزائر.

لكن كل ما ادعته فرنسا سواء في مصر أو الجزائر كانت تقف وراءه جملة من الخلفيات و الأهداف التي أرادت تحقيقها، و التي من أهمها توجيه ضربة بطريقة غير مباشرة لعدوتها التقليدية انجلترا من خلال تهديد مصالحها في الشرق، و ذلك بعد عجزها في توجيه ضربة لها مباشرة هذا من جهة، كما أرادت فرنسا تعويض ما فقدته من مستعمرات في أمريكا و الهند إثر حرب السبع سنوات هذا من جهة أخرى. و بالتالي فحملة فرنسا على مصر و الجزائر هي حملة استعمارية، و ليس حملة تأديبية كما كانت تزعم فرنسا، لأنها تندرج ضمن التنافس بين الدول لاسيما الأوربية في كسب مناطق النفوذ أكثر.

لتحقيق ما كانت تهدف إليه فرنسا في حملتيها على مصر و الجزائر، فإنها تجندت للاستعداد لذلك على قدم و ساق، و كونت أسطول ضخم مزود بكل الوسائل، بحيث لم تستطع لا القوات في مصر و لا في الجزائر من الانتصار عليه، و لا يعود ذلك إلى

ضخامته فحسب، بالقدر ما يعود إلى عدم علم المصريين بمجيء الحملة عليهم، و انعدام الاستعداد الجيد لدى الجزائريين، و مما زاد الطين بلة في الجزائر هو إسناد القيادة لرجل لا تتوفر فيه معايير القيادة، و روح المسؤولية، إضافة إلى الثقة الزائدة عند كليهما من الانتصار على فرنسا من خلال ما قاله مراد بك و إبراهيم أغا، و يظهر ذلك كواقع لا ما فر منه عشية نزول الفرنسيين سواء في مصر أو الجزائر الذين كبدوا أهالي مصر و الجزائر خسائر، و أجبروهم على التراجع بعد إلحاق الهزائم بهم في عدة معارك و بذلك تمكن الفرنسيون من السيطرة على مصر و الجزائر، اللتان بسقوطهما تكون الدولة العثمانية قد فقدت إيالة من أهم إيالاتها في المشرق و الأخرى في المغرب.

الدولة العثمانية في بدايات سقوط مصر و الجزائر إن صح التعبير لم تتخذ أي موقف ، و إنما اكتفت بالاستفسار من سفراء فرنسا باسطنبول، و سفرائها بفرنسا إلا بعد تحريض القوى المعادية لفرنسا لها، و على رأسهم طبعا انجلترا، غير أنه بعد اتخاذها للموقف إزاء ذلك لم يكن نفسه من الحملتين، و يعود ذلك للظروف الداخلية و الخارجية التي كانت تمر بها. كما أنه في مصر وجدت من يتحالف معها لإخراج الفرنسيين منها بينما في الجزائر لم تجد حتى انجلترا ألد أعداء فرنسا رفضت القيام بحرب مع الدولة العثمانية لإخراج الفرنسيين من الجزائر، لذلك اكتفت بمحاولاتها الهزيلة، و الصورية لحل الأزمة من خلال إرسال مفوضين عنها للتفاوض مع الفرنسيين من أجل إرجاع الجزائر إليها، على العكس في مصر بعد تكوينها للحلف الدولي الذي ضم حتى ألد أعداء الدولة العثمانية روسيا سيرت عدة حملات إلى مصر لإخراج الفرنسيين منها.

بذلك تركت الدولة العثمانية الحاج أحمد باي مع قواته في الجزائر يخوض غمار الحرب لوحده ضد الفرنسيين في عاصمة إقليمه، الذي تمكن من إفشال الحملة الأولى عليها، لكنه لم يستطع في المرة الثانية من إيقاف الزحف الفرنسي عليها في ظل عدم وجود من يآزره في دفاعه عنها.

لقد كان للموقف العثماني من الحملة على مصر و الجزائر انعكاسات على الوضع في كل منهما، بحيث في مصر بعد إعلانها الحرب كما أسلفنا في ظل تكوينها للحلف الدولي ضد فرنسا قادت عدة حملات إليها مع مآزرة الأسطول الانجليزي لها من جهة

البحر مع اشتراك بعض القوات الانجليزية معها في حملتها الأخيرة على مصر، و التي تمكنت من إخراج الفرنسيين منها بعد توقيعهم لمعاهدة العريش، بينما في الجزائر انعكس موقفها سلبا على الوضع، بحيث تركت فرنسا تتوسع في الجزائر بكل حرية، و أكثر من ذلك بعد سقوط مدينة قسنطينة طوت ملف الجزائر نهائيا من قضاياها، ليتحول بعدها الجيش الفرنسي في الجزائر من جيش غاز إلى محتل و مستوطن.

كما ترتب عن الغزو الفرنسي أو الحملة الفرنسية على مصر و الجزائر نتائج عدة، و تعود تلك النتائج إلى السياسة الفرنسية المنتهجة في كل منهما، بحيث اتبع نابليون منذ دخوله إلى مصر سياسة المسالمة، و محاولة إشراك الطبقات التي كانت بعيدة عن السلطة و لا تستخدم إلا كواسطة بين الحكام و الأهالي، و بالتالي أعطى لهم فرصة لخوض تجربة الحكم ظهرت نتائجها فيما بعد، إضافة إلى نتائج أخرى تولدت عن الوجود الفرنسي في مصر لكن أنا ركزت على النتائج الايجابية في دراستي مع العلم أنها لم تكن كل نتائج ايجابية بل توجد نتائج عدة سلبية، لأنه مهما كانت النتائج السلبية فان المصريون استفادوا من الوجود الفرنسي في إيالاتهم، على العكس في الجزائر التي منذ دخولهم أطلق د ي برمون، و من جاء بعده العنان للجنود لنهب ما في الجزائر من أموال، و خيرات مع الإساءة للأهالي و مقوماتهم، و بذلك فإن النتائج المتمخضة عن الوجود الفرنسي في الجزائر تختلف عنها في مصر.

الملاحق

ملحق رقم (1):

المنشور الذي وزعه نابليون بعد دخوله إلى مصر.

بسم الله الرحمن الرحيم، لا إله إلا الله، لا ولد له و لا شريك له في ملكه- من طرف الفرنساوية المبنى على أساس الحرية و التسوية السر عسكر الكبير أمير الجيوش الفرنساوية بونابارته.

يعرف أهالي مصر جميعهم أن من زمان مديد – الصناجق الذين يتسلطون في البلاد المصرية يتعاملون بالذل و الاحتقار في حق الملة الفرنساوية، و يظلمون تجارها بأنواع الإيذا و التعدي، فحضر الآن ساعة عقوبتهم، و أخرنا من مدة عصور طويلة هذه الزمرة المماليك المجلوبين من بلاد الأبازة و الجراكسة يفسدون في الإقليم الحسن الأحسن الذي لا يوجد في كرة الأرض كلها – فأما رب العالمين القادر على كل شيء فإنه قد حكم على انقضاء دولتهم. يا أيها المصريون قد قيل لكم إنني ما نزلت بهذا الطرف إلا بقصد إزالة دينكم، فذلك كدب صريح فلا تصدقوه، و قولوا للمفترين إنني ما قدمت إليكم إلا لأخلص حقكم من يد الظالمين، و إنني أكثر من المماليك أعبد الله سبحانه و تعالى، واحترم نبيه و القرآن العظيم.

و قولوا أيضا أن جميع الناس متسوون عند الله، و إن الشيء الذي يفرقهم عن بعضهم هو العقل و الفضايل و العلوم فقط، و بين المماليك و العقل و الفضايل تضارب فماذا يميزهم عن غيرهم حتى يستوجبوا أن يمتلكوا مصر وحدهم، و يختصوا بكل شيء أحسن فيها من الجواري الحسان و الخيل العتاق و المساكن المفرحة، فإن كانت الأرض المصرية التزاما للمماليك فليرونا الحجة التي كتبها الله لهم، و لكن رب العالمين رءوف و عادل و حليم. ولكن بعونه تعالى من الآن فصاعدا لا ييأس احد من أهالي مصر عن الدخول في المناصب السامية، و عن اكتساب المراتب العالية. فالعلما و الفضلا و العقلا بينهم سيدبرون الأمور، و بذلك يصلح حال الأمة كلها. و سابقا كان في الأراضي المصرية المدن العظيمة و الخلجان الواسعة و المتجر المتكاثر، و ما أزال ذلك كله إلا الظلم و الطمع من المماليك.

أيها المشايخ و القضاة و الأيمة و الجربجية و أعيان البلد – قولوا لأمتكم أن الفرنساوية هم أيضا مسلمون مخلصون، و إثبات ذلك أنهم قد نزلوا في رومية الكبرى و خربوا فيها كرسي البابا الذي كان دائما يحث النصارى على محاربة الإسلام، ثم قصدوا جزيرة مالطة، و طاردوا منها الكواللرية الذين كانوا يزعمون أن الله تعالى يطلب منهم مقاتلة المسلمين، و مع ذلك الفرنساوية في كل وقت من الأوقات صاروا محبين مخلصين لحضرة السلطان العثمانين، و أعد أعاديه – أدام الله ملكه– و مع ذلك إن المماليك امتنعوا من إطاعة السلطان غير ممتثلين لأمره. فما أطاعوا أصلا إلا لطمع أنفسهم. طوبى ثم طوبى لأهالي مصر الطيم يتفقون معنا بلا تأخير، فيصلح حالهم و تعلى مراتبهم، طوبى أيضا للذين يقعدون في مساكنهم غير مايلين لأحد من الفريقين المتحاربين. فإذا عرفونا بالأكثر تسارعوا إلينا بكل قلب. لكن الويل للذين يعتمدون على المماليك في محاربتنا، فلا يجدون بعد ذلك طريقا إلى الخلاص، و لا يبقى منهم أثر.

- الجبرتي، عجايب الآثار ...، ج$_4$، مصدر سابق، ص ص، 67 – 68.

ملحق رقم (2):

المنشور الفرنسي الذي وزع على الشعب الجزائري.

(إلى الكولوغلي، أبناء الأتراك و العرب المقاومين في إقليم الجزائر)

إننا نحن أصدقاءكم الفرنسيين نتوجه الآن نحو مدينة الجزائر. إننا ذاهبون لكي نطرد الأتراك من هناك. إن الأتراك هم أعداؤكم و طغاتكم الذين يتجبرون عليكم و يضطهدونكم و الذين يسرقون أملاكم و إنتاج أرضكم، و الذين يهددون حياتكم باستمرار. إننا لن نأخذ المدينة منهم لكي نكون سادة عليها. إننا نقسم على ذلك بدمائنا و إذا انضممتم الينان و إذا برهنتم على أنكم جديرون بحمايتنا، فسيكون الحكم في أيديكم كما كان في السابق و ستكونون سادة مستقلين على وطنكم.

إن الفرنسيين سيعاملونكم كما عاملوا المصريين، إخوانكن الأعزاء، الذين لم يفتأوا يفكرون فينا و يتأسفون على فراقنا طيلة الثلاثين سنة الماضية، فمنذ خروجنا من بلادهم و الذين ما يزالون يرسلون أبناءهم إلى فرنسا يتعلموا القراءة و الكتابة و كل فن و حرفة مفيدة. و نحن نعدكم باحترام نقودكم و بضائعكم و دينكم المقدس، لأن ملك فرنسا المعظم حامي وطننا المحبوب، يحمي كل دين.

فإذا كنتم لا تثقون في كلمتنا و في قوة سلاحنا، فابتعدوا عن طريقنا و لا تنضموا إلى الأتراك الذين هم أعداؤنا و أعداؤكم. فابقوا هادئين. إن الفرنسيين ليسوا في حاجة إلى مساعدة لضرب و طرد الأتراك. إن الفرنسيين هم، و سيظلون، أصدقاؤكم المخلصون. فتعالوا إلينا و سنكون مسرورين بكم و سيكون ذلك فرصة لكم. و إذا أحضرتم إلينا الأطعمة و الأغذية، و الأبقار و الأغنام فسندفع ثمن ذلك بسعر السوق. و إذا كنتم خائفين من سلاحنا فأشيروا علينا بالمكان الذي يقابلكم فيه حنودنا المخلصون دون سلاح مزودين بالنقود في مقابل التموين الذي تأتون به. و هكذا يحل السلام بينكم و بيننا لمصلحتكم و مصلحتنا.

-سعد الله، أبحاث و آراء ...، ج$_1$، مرجع سابق، ص ص، 266 – 267.

ملحق رقم (3):

رسالة بولينياك إلى السفير الفرنسي بلندن لإقناع انجلترا بالحملة على الجزائر.

إلى الدوق دي لافال السفير الفرنسي في لندن.

سيدي الدوق.

في اللحظة التي يغادر فرنسا فيها الأسطول الذي يحمل جيشنا إلى إفريقيا، يشعر الملك بضرورة إعلام حلفائه بشعوره العميق بعلامات الاهتمام و الصداقة التي تلقاها منهم أثناء المنعرج العام للظروف التي سبقتا قلاع الحملة الموجهة ضد الجزائر. إن جلالته قد طلب موافقتهم بثقة كاملة، و قد يقال أمام الرأي العام بأنه قد عالج مشكلة كان يعتقد أنه من المناسب أن يجعلها معروفة لكل أوروبا. و قد استجاب حلفاؤه بثقة و منحوه رضاهم و تشجيعهم و هي حقيقة ستجعله يتذكر موقفهم ما دام حيا.

و لكي يرد على هذه المعاملة المخلصة و الصديقة، رغب جلالته الآن في طرح الباعث و الهدف إلى الحملة التي يعدها ضد ولاية الجزائر، أمام خلفاؤه مرة ثانية في اللحظة التي يقلع فيها الأسطول الفرنسي.

إن هناك مصلحتين متمايزتين بطبعهما، و لكنهما متصلتان اتصالا وثيقا، قد أدتا إلى الاستعدادات التي جرت في موانينا. إحداهما تخص فرنسا بالدرجة الأولى: و هي الثأر لشرف رايتنا ، و الحصول على تصحيح الأخطاء التي كانت السبب المباشر في النزاع و المحافظة على ممتلكاتنا من الاعتداءات و أعمال العنف التي تعرضت لها في كثير الأحيان، ثم الحصول على تعويض مالي، بالقدر الذي تسمح به دولة الجزائر، على مصاريف الحرب التي لم تتسبب فيها. أما المصلحة الثانية، التي تهم البلاد المسيحية عامة، فهي الفاء نظام الرق، و القرصنة، و دفع الجزية التي ما زالت أوروبا تدفعها إلى ولاية الجزائر.

- سعد الله، أبحاث و آراء ...، ج$_1$، مرجع سابق، ص ص، 267 – 268.

ملحق رقم (4):

بنود معاهدة 5 جويلية 1830م.

–تسلم قلعة القصبة و كل القلاع الأخرى المتصلة بالمدينة و ميناء هذه المدينة إلى الجيش الفرنسي هذا الصباح على الساعة العاشرة.

–يتعهد القائد العام للجيش الفرنسي أمام سعادة باشا الجزائر أن يترك له الحرية و كل ثرواته الشخصية.

– سيكون الباشا حرا في أن يذهب هو و أسرته و ثرواته الخاصة إلى المكان الذي يقع عليه اختياره. فإذا فضل البقاء في الجزائر فله ذلك هو و أسرته تحت حماية القائد العام للجيش الفرنسي و سيعين له حرس لضمان أمنه الشخصي و أمن أسرته.

– يتعهد القائد العام لكل الجنود الانكشاريين بنفس المعاملة و نفس الحماية.

– سيظل العمل بالدين الإسلامي حرا، كما أن حرية السكان مهما كانت طبقتهم، و دينهم و أملاكهم، و تجارتهم. و صناعتهم لن يلحقها أي ضرر. و ستكون نساؤهم محل احترام.

و قد التزم القائد العام على ذلك بشرفه

توقيع:

الكونت دي برمون

ختم حسين باشا، داي الجزائر

- سعد الله، محاضرات في تاريخ ...، مرجع سابق، ص، 46.

ملحق رقم (5):

المذكرة الفرنسية المقدمة إلى الدولة العثمانية بشأن إخبارها باحتلال الجزائر بتاريخ أوت 1830م

بناء على أن فرنسا هي صاحبة الجزائر فإن قواتها البرية و البحرية سوف تتم أن في احتلال أماكن أخرى أيضا غير مدينة الجزائر و ذلك ضمن سياستها الرامية إلى الاستيلاء على الجزائر كلها. إن أغلب الإداريين في الولايات الجزائرية قد انضموا إلى الإدارة الفرنسية كما ستنضم البقية الباقية منهم إليها في الوقت القريب و الجدير بالذكر أن فرانسة كانت قد شرحت للدولة العلية بواسطة سفيرها الأسباب الحقيقية لتلك الحرب التي جرت بينها و بين الجزائر ثم انتهت بنتصار فرانسة الساحق على الجزائر.

تلك الأسباب التي كانت متعلقة بالأمن العام و المناقع الإنسانية و قضايا دولية عامة لا يمكن تحقيقها إلا إذا اقترنت بالغلبة الكاملة و الانتصار الحاسم على الخصم و لذا فإن فرانسة كانت مصممة و تشبثة كل التصميم و التثبيت تلك الغلبة و الانتصار، كما أن جميع الدول الأوروبية تبارك و تستحسن الإدارة الفرنسية الحازمة في القضية الجزائرية و تؤيد مطلق التأييد مضيها نحو الاستيلاء العامل على كل الجزائر طالبة من فرانسة العمل من أجل إعداد الاجراءات اللازمة و الوسائل الضرورية لاستقلال و جني تمار هذه الغلبة و ذلك الانتصار بما أن الأوجاقين هم الدين يقررون مصير أنفسهم و يتحملون نتائج تهوبهم كما أنهم هم الذين يعقدون الاتفاقيات و يفسخونها مع الدول كما يشاؤون ووقتما يشاؤون و يعلنون الخرب أيضا عندما يشاءون فإن هذا الحق و تلك الصلاحية ليقد أن ليعتبران أحسن دليل و مبرر على أحقية الدولة الغالبة في الحرب في التمتع و الاستفادة من منافع و خبرات المناطق الدافلة تحت نفوذها و إدارتها لأنها تغلبت على الدولة التي تملك صلاحية إعلان الحرب و عقد الاتفاقيات و فسخها.

إن الجزائر و إن قيل بأنها تابعة للدولة العلية إلا أننا لما ننظر إلى أسلوب التعامل و العلاقات القائمة بين الطرفين لا نكاد نؤمن بهذه التبعية إذ كيف يمكن أن تكون هذه التبعية و الجزائر لا تدفع الضريبة إلى الدولة العلية كما لا تعترف بحق الدولة العلية في

إصدار الأوامر الشاهانية العالية إليها و إنما تنحصر العلاقات القائمة بين الطرفين في العلاقات الدينية فقط بمعنى أن تبعية الجزائر للدولة العثمانية تكون في إطار اخلافة فقط لا غير – حسب برأيهم.

هذه من جهة و من جهة أخرى فإن الدولة العلية لم تفعل في كل هذه الأوقات و الأزمان و في جميع الأحوال و الأوضاع ما يجبر أوروبا على التصديق و الاعتراف بهذه التبعية، مثلا إن الدولة العلية في خلال ثلاثمأ عام لم تحاول أن تفعل شيئا من أجل رفع اعتداات الجزائريين و تأمين الأمن للدول المتفقة معها من هذه التعديات و التجاوزات و منع الأوجاق الجزائري من استمراره بالإضرار بالصلح العام و الا نسانية كلها دائما و بشكل مستمر، بل على عكس ذلك فإن الأوجاق الجزائري كان يستمر قوة وجوده واستقرا دائما في كل وقت من الدولة العلية التي كانت تمد و دائما بالجنود من سائد الممالك المحروسة.

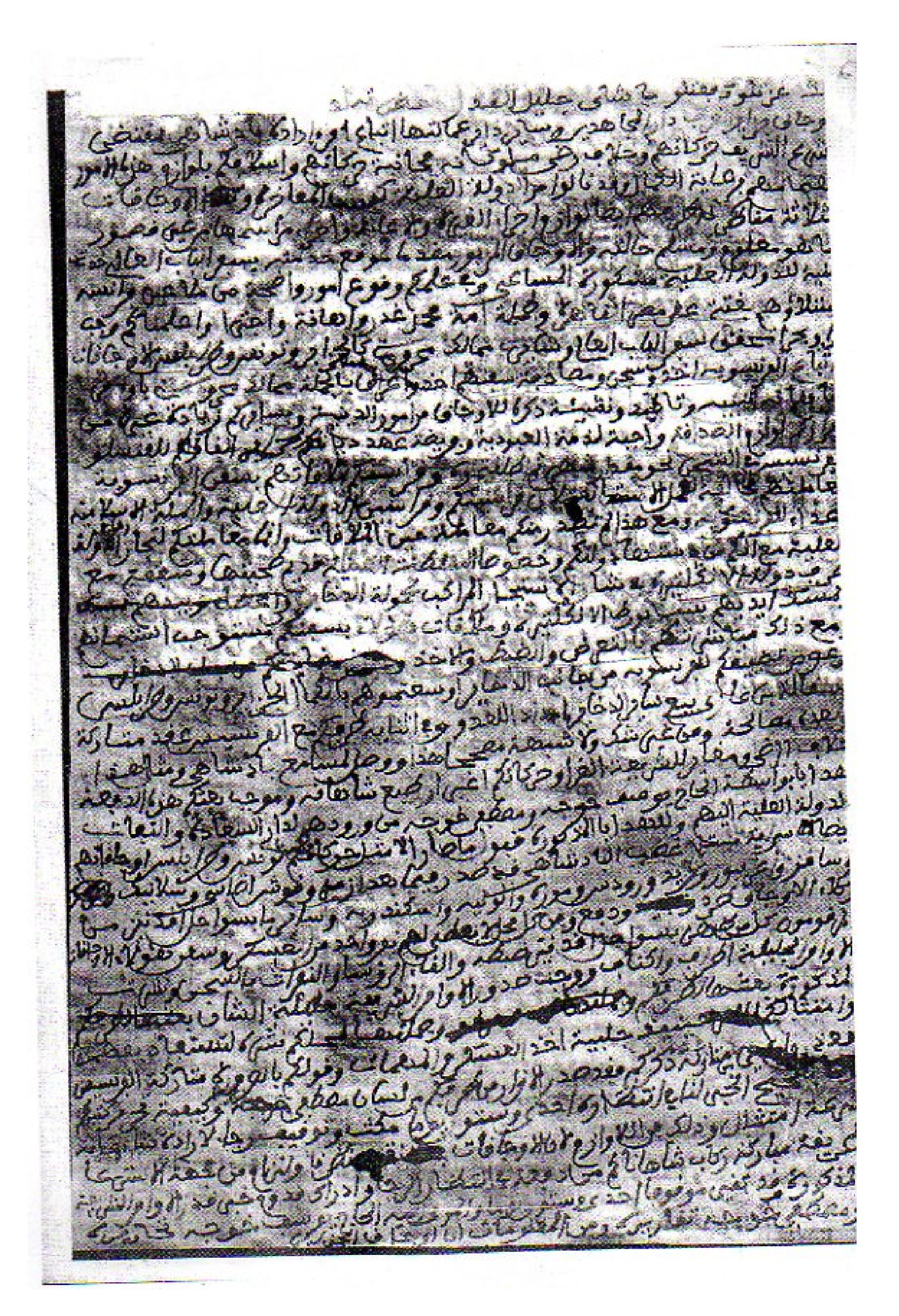
و الحاصل أن الدولة العلية لما عرضت وساطنها بين الإمبراطور الفرنسي من شهر كانون الأول و في زمن رياسة- ويرتوافن- اسم شخص- ولما أفاد السفير الفرنسي إذ ذاك الطاهر باشا بأن فرانسة لا توافق على إرسال موظف فرنسي بمعينة إلى الجزائر كان الرد على القاطع من طرفه على السفير الفرنسي كما يلي: إننا لا نتدخل في شؤون الجزائريين، ولكن لنعمل معا لأننا إن عملنا وحدنا لا يكون ذلك مفيدا ولذا لا نستطيع أن نتحرك وحدنا أفلا تكون هذه العبارات و الإفادات تصديقا علينا و صريحا لاستقلال الجزائر عن الدولة العلية.

نعم بعد ذلك الحوار قد عزم طاهر باشا على التوجه فعلا إلى الجزائر و لكن ذلك أيضا كان حسب إقرار الدولة العلية نفسها يهدف إلى العمل من أجل رفع و إزالة النزاع القائم بين الدولة الفرنسية و بين الأوجاق الجزائري إذا يمكن القول أيضا أن مهمة طاهر باشا كانت تتمثل بإظهار الدولة العلية بمظهر الدولة المتوسطة بين إمبراطور فرانسة و أمير أمراء جزائر الغرب و بمعنى أوضح بين الدولة الفرنسية التي أعلنت ضدها الحرب و بين حكومة قرصنة تجاسرت على إعلان الحرب تلك الدولة هذه هي الأمور التي استطاعت الدولة العلية أن تفعلها أو رأت بالقياس و التدبير على أنها ملازمة بفعل

هذه هي الأمور فقط لا غير إذا كانت أعمال الدولة العلية تتمثل في تلك الأمور فهل يمكن أن تنال التعية القائمة على تلك الأمور حقوقا معتبرة تفوق الحقوق الصبحة الناتجة عن الضبط و الغلبة و الانتصار و هل يمكن ملاحظة ذلك فعلا و لكن على الرغم من أن الإمبراطور الفرنسي قد قرر التصرف بكل حرية في الحقوق الناتجة و المترتبة على تلك الغلبة و الانتصار دون أن يسمح لأي معارض أن يتدخل في هذا المبدان إلا أن حضرة الإمبراطور قد اتخذ قرارا لإشراك الدولة العلية أثناء اتخاذ الترتيبات اللازمة لتعيين و مناقشة مصير الجزائر و ذلك بناء على ما يكنه للمقام الشاهاني العالي من ود و تقدير و صداقة و ما يتمناه دائما و بكل إخلاص للدولة العلية من عز و سوء و إقبال و نظرا إلى ما يحدثه مصير مصير مملكة ترتبط فيه في الدين ة المذهب في قلبه من حزن و تأثير نعم إن الرأي العام الفرنسي المؤيد بالرأي العام الأوروبي يطالب الإمبراطور بالاحتفاظ بالجزائر التي تم الاستيلاء عليها عن طريق القهر و القوة و الجني ثمار هذه الغلبة و الانتصار و تأمين الأمن العام لجميع النصارى الذين ذاقوا الأمرين من هذه المملكة التي تعد من أحسن الممالك العثمانية و نقل الحضارة الغربية إليها حتى لا تعود تلك المصائب التي كانت تنصب دائما على جميع الدول النصرانية عن طريق هذه المملكة و ترجع القوة و الهيبة للدول الغربية و لكن الإمبراطور مصمم في إشتراك الدولة العلية للاعتبارات السابقة أثناء إجراء الترتيبات اللازمة للخوض في تقرير مصير الجزائر و ذلك بعد تحقق الأهداف و الغايات الأصلية التي تهدف إليها فرانسة من جراء هذه العمليات و بعد إجراء موازنة عامة بين الوسائل المختلفة التي تتعلق بتحقيق تلك الأهداف و الغايات.

- خط همايون، ع 29، و 469065.

الملحق رقم (6): رسالة من السلطان العثماني إلى الداي مصطفى قاضية بإعلانه الحرب على فرنسا.



ودارة جنوده على الدوام اجتهاداً منه في تحصيل [illegible] باد شاه انه

[illegible]

لدولة العلية [illegible]

من غير [illegible] ملة الاسلام [illegible]

[illegible]

1

قد مر [illegible] بساير سواحل الاسلام مجموع [illegible]

وقبله [illegible] لابن يكون [illegible] من [illegible] ولو [illegible]

[illegible] تونس [illegible] السعادة [illegible]

[illegible] من [illegible] وجوب [illegible] وسببه [illegible]

[illegible] الاولياء [illegible] لابد من [illegible]

[illegible] الاسلام [illegible] وكاجة الحوادث [illegible]

[illegible] من اخذ [illegible] والله [illegible]

حصولها [illegible] للعمل والحركة [illegible]

[illegible] ان شاء الله تعالى على الوجه [illegible] كما هو

[illegible]

[illegible]

حسين

حسين

- مج 3190، م أ، و 65.

ملحق رفم (7): خريطـــة تمثل سير الحملة الفرنسية على مصر[2]



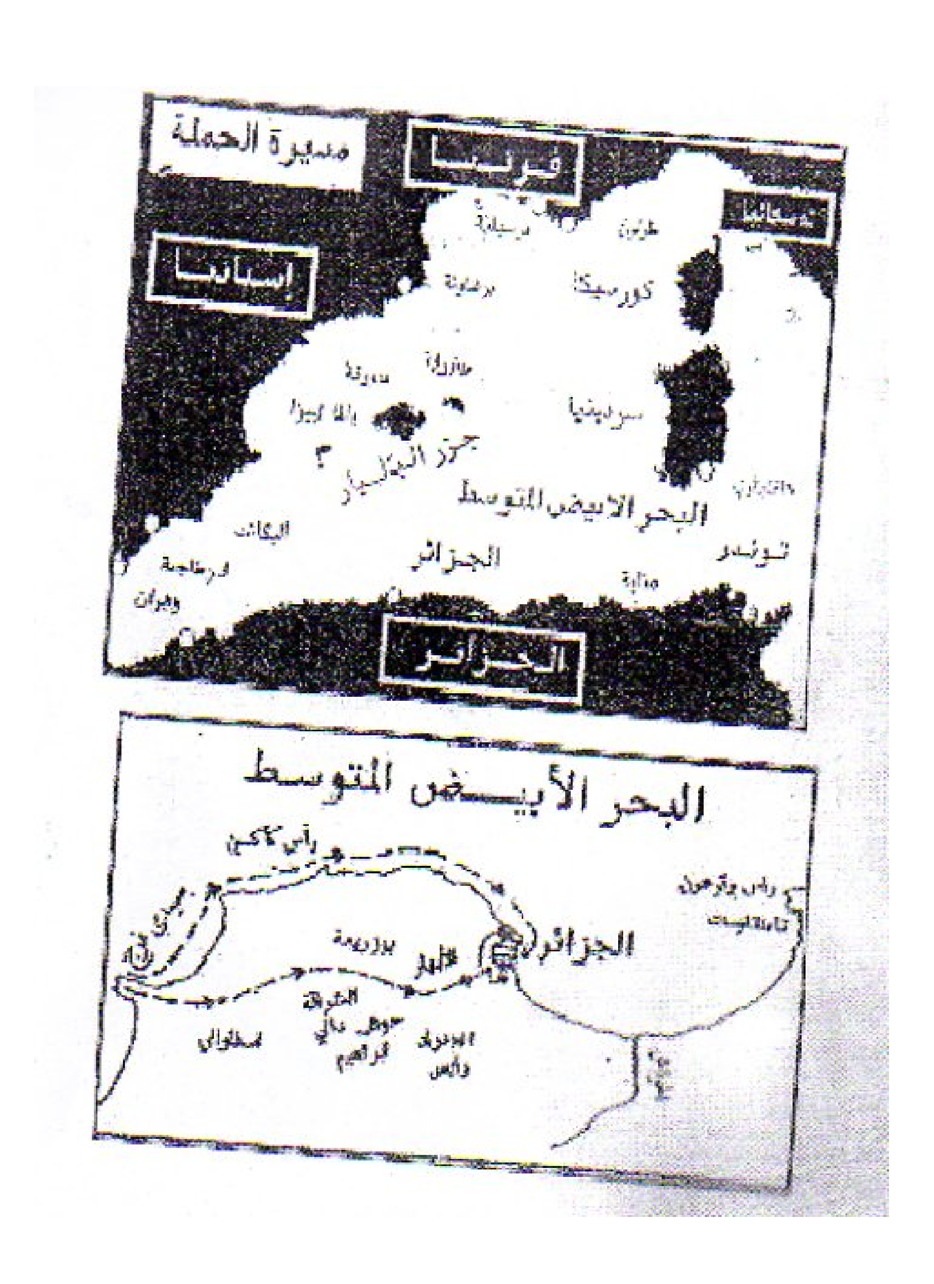
شكل ٣

خط سير الحملة الفرنسية في مصر

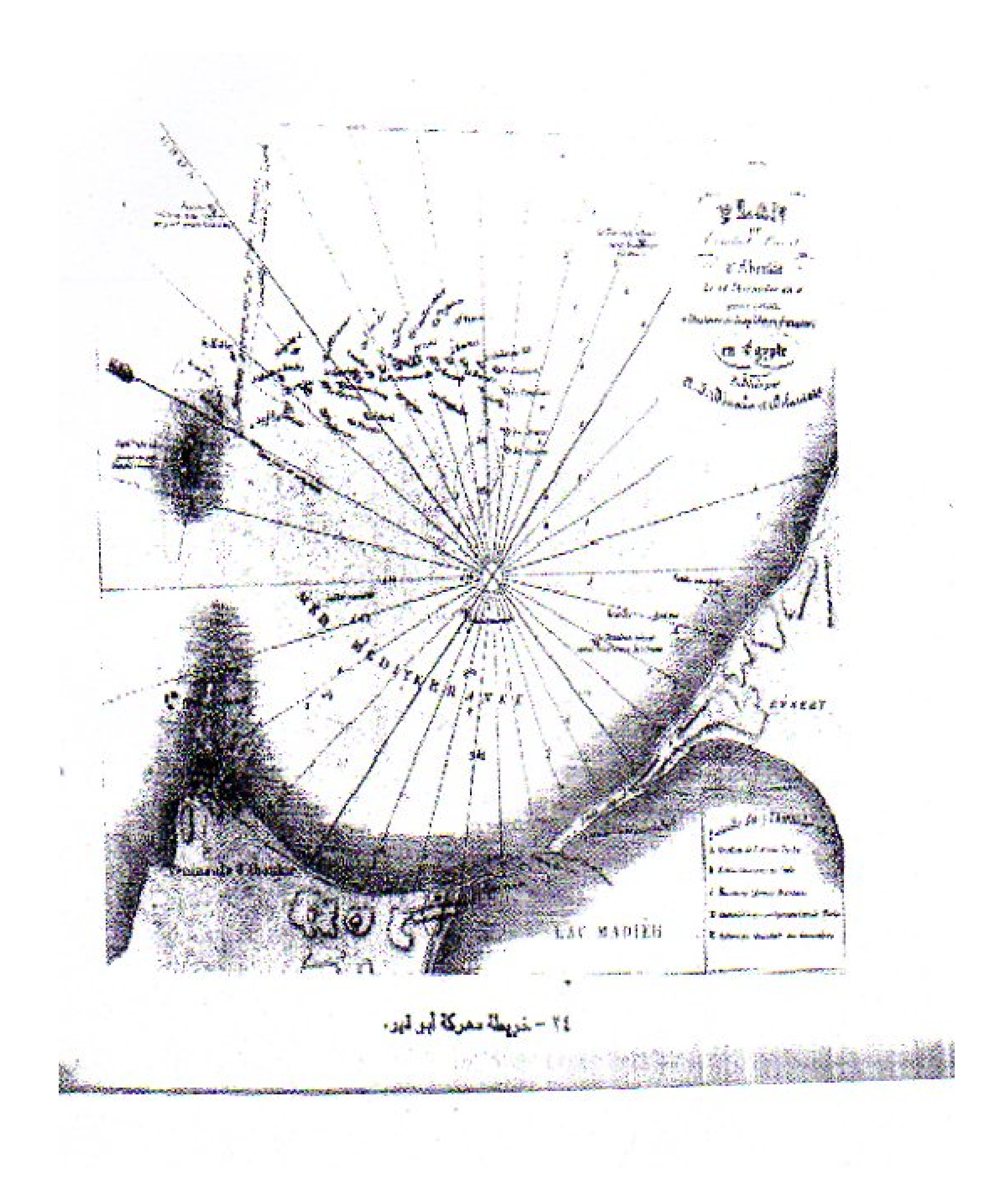
٨٦

- عبد الرازق إبراهيم، الجمل، مرجع سابق، ص، 86.

ملحق رقم (8): خريطة تمثل سير الحملة الفرنسية على الجزائر



ملحق رقم (9): خريطة تمثل معركة أبي قير البحرية[3]



٢٤ – خريطة معركة أبي قير.

- لورنس، مرجع سابق، ص، 153.

قائمة المصادر
و المراجع

1.المصادر و المراجع باللغة العربية:

1.1.المصادر:

1.1.1.خط همايون:

الوثيقـــــة	العلبـــــــة
5837 469065	21 29

2.1.1.وثائق قسم المخطوطات:

الوثيقـــــة	الملــــف	المجموعــة
62، 63، 65، 230، 257 259، 361، 335، 359.	الملف الأول	3190

3.1.1.المصادر:

– ابن أحمد ابن إياس، محمد، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج5، تحقيق محمد مصطفى، دار إحياء الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1961م.

– الأمير عبد القادر الجزائري، مذكرات الأمير عبد القادر، تحقيق و دراسة محمد الصغير بناني و آخرون، دار الأمة، الجزائر، ب.ط، 2007م.

- بفاير، سيمون، مذكرات، تعريب أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر، ب.ط، 1974م.

- بشور، أمل، حملة بونابرت إلى الشرق " مخطوطة نقولا الترك"، دراسة و تحقيق،دار جروس بروس، لبنان، ب.ط، 1993م.

- الترك، نقولا، ذكرتملك جمهور الفرنساوية الأقطار المصرية و البلاد الشامية أو الحملة الفرنسية على مصر و الشام، حققه و قدم له ياسين سويد، دار الفارابي، بيروت، ط1 1990م.

- الجبرتي،عبد الرحمن، عجايب الآثار في التراجم و الأخبار، ج1، دار الفارس، ب.ط ب.س.

- ـــــــ، ــــــــ، عجايب الآثار في التراجم و الأخبار، ج4، إعداد و تحقيق عبد العزيز جمال الدين، مكتبة مدبولي، مصر، ب.ط، 1997م.

- ـــــــ، ــــــــ، مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس، ج1، دراسة و تحقيق و تعليقعبد الرازق عبد الرازق عيسى و عماد أحمد هلال، دار العربي،القاهرة، ط1 1998م.

- الزهار، أحمد الشريف، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، إشراف و تحقيق أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، ط2، 1974م.

- زيدان، جرجي، مصر العثمانية، تحقيق و دراسة و تعليق د. محمد حرب، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2002م.

- المحامي، فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، دار النفائس، بيروت، ب.ط، 1983م.

- مذكرات أحمد باي و حمدان خوجة و بوضربة، تحقيق محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، ب.ط، 1981م.

- المزاري، الأغا بن عودة، طلوع سعد السعود في أخبار وهران و الجزائر و اسبانيا و فرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق و دراسة يحي بوعزيز، دار البصائر الجزائر، ط1، 2007م.

- مواريه، جوزيف ماري، مذكرات ضابط في الحملة الفرنسية على مصر، ترجمة و تقديم كاميليا صبحي، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ب.ط، 2000م.

- بن ميمون الجزائري، محمد، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، شرح و تعليق د. ممدوح حقي، منشورات ثالة، الجزائر، ب.ط، 2007م.

- بن عثمان خوجة، حمدان، المرآة، تقديم و تعريب و تحقيق د. محمد العربي الزبيري المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، ب.ط، 2005م.

- علماء الحملة الفرنسية، وصف مصر، م4، ج1، ترجمة زهير الشايب، مكتبة الخانجي مصر، ب.ط، ب.س.

- العنتري، محمد الصالح، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة و استيلائهم على أوطانها (تاريخ قسنطينة)، مراجعة و تقديم و تعليق يحي بوعزيز، دار هومة الجزائر ب.ط، 2005م.

- شالر، وليام، مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر (1816 – 1824)، تعريب و تعليق إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، ب.ط، 1982م.

2.1.المراجع:

- إبراهيم،عبد الله عبد الرازق، الجمل شوقي، تاريخ مصر و السودان الحديث و المعاصر دار الثقافة، القاهرة، ب.ط، 1997م.

- أجيرون، شارل روبير، تاريخ الجزائر المعاصرة، ترجمة عيسى عصفور، منشورات عويدات، بيروت، ط1، 1982م.

- أوبري، أوكتاف، نابليون، نقله إلى العربية متري شماس، المطبعة البوليسية، لبنان ب.ط، 1969م.

- أندري، شارل جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب مزالي محمد بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، ب.ط، 1978م.

- أنيس، محمد، الدولة العثمانية و الشرق العربي (1514 – 1922)، مكتبة لأنجلو المصرية، القاهرة، ب.ط، 1985م.

- أوغلو، عبد القادر، السلاطين العثمانيون، ترجمة محمد جان، دار سحنون، تونس ب.ط، 1990م.

- بركلمان، كارل، تاريخ الشعوب الاسلامية، نقله الى العربية أمين فارس و منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ب.ط، 1974م.

- بقطاش، خديجة، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر (1830– 1871)، مطبعة دحلب، الجزائر، ب.ط، ب.س.

- بوعزيز، يحي، الموجز في تاريخ الجزائر، ج2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2007م.

- بيات، فاضل مهدي، دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط1، 2003م.

- حتى، فليب، تاريخ سورية و لبنان و فلسطين، ترجمة كمال اليانجي و مراجعة جبرائيل جبور، دار الثقافة، بيروت، ط1، 1983م.

- حمداني، عمار، حقيقة غزو الجزائر، ترجمة لحسن زغدار، منشورات ثالة، الجزائر ب.ط، 2007م.

- حسن، إبراهيم حسين، تاريخ الإسلام السياسي و الديني و الثقافي و الاجتماعي، ج4 دار الجيل، بيروت، ط15، 2001م.

- الحسني، محمد الهادي، احتلال الجزائر من خلال نصوص معاصرة، جمع و تقديم مؤسسة عالم الأفكار، الجزائر، 2006م.

- دودو، أبو العيد، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان (1830 – 1855)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ب.ط، 1989م.

- راشد، أحمد إسماعيل، تاريخ أقطار المغرب العربي السياسي الحديث و المعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 2004م.

- الزبيري، محمد العربي، التجارة الخارجية للشرق الجزائري (1792 – 1830) المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1984م.

- زروال، محمد، العلاقات الجزائرية الفرنسية (1791 – 1830)، مطبعة دحلب الجزائر، ب.ط، ب.س.

- طقوس، محمد سهيل، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، دار النفائس، بيروت، ط2، 2008م.

- كوران، أرجمنت، السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر، ترجمة عبد الجليل التميمي، منشورات الجامعة التونسية، تونس، ب.ط، 1970م.

- لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية الحديث، دار الفارابي، بيروت، ط9، 2007م.

- لورنس، هنري، الحملة الفرنسية على مصر (بونابرت والإسلام)، ترجمة بشير السباعي، دار سينا للنشر، القاهرة، ط1، 1995م.

- أبو الليل، محمود نجيب، الصحافة الفرنسية في مصر منذ نشأتها حتى الثورة العرابية،مطبعة التخزين، القاهرة، ط1، 1953م.

- المدني، أحمد توفيق، كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ب.ط 1984م.

- مغيث، كمال حامد، مصر في العهد العثماني (1517 – 1798)، تقديم د. رؤوف عباس، المطبعة التجارية الحديثة، القاهرة، ط1، 1997م.

– الميلي، محمد مبارك، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث، ج3، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1976م.

– صبحي، عبد المنعم، الشرق الإسلامي زمن المماليك و العثمانيين، دار العربي للنشر القاهرة، ب.ط، ب.س.

– صبري، محمد، تاريخ مصر من محمد علي إلى العصر الحديث، مكتبة مدبولي القاهرة، ب.ط، ب.س.

– صفا، أسد اله، نابوليون بونابرت، دار النفائس، بيروت، ط1، 1988م.

– عاصي، حسين، ابن إياس مؤرخ الفتح العثماني لمصر، دار الكتب العلمية، بيروت ط1، 1993م.

– عباد، صالح، الجزائر خلال العهد التركي (1514 – 1830)، دار هومة، الجزائر ب.ط، 2005م.

– عبد المنعم، محمد فيصل، مصر تحت السلاح، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة، ب.ط ب.س.

– عبد العزيز عمر، عمر، دراسات في تاريخ العرب الحديث و المعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، ب.ط، 1975م.

– ______، ______، تاريخ المشرق العربي (1516 – 1922)، دار النهضة العربية بيروت، ب.ط، ب.س.

– __________، و آخرون، دراسات في تاريخ مصر الحديث و المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ب.ط، 2006م.

– عراقي يوسف، محمد، الوجود العثماني المملوكي في مصر في القرن الثامن عشر و أوائل القرن التاسع عشر، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1985م.

- أبو علية عبد الفتاح، ياغي إسماعيل، تاريخ أوربا الحديث و المعاصر، دار المريخ الرياض، ب.ط، 1984م.

- عميراوي، حميدة، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث، دار الهدى، الجزائر، ط2 2004م.

- ـــــــ، ـــــــ، جوانب من السياسة الفرنسية و ردود الفعل الوطنية في قطاع الشرق الجزائري، دار البعث، قسنطينة، ط1، 1984م.

- العسلي، بسام، نابليون بونابرت، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، ط1 1980م.

- غربي، الغالي، دراسات حول تاريخ الدولة العثمانية و المشرق العربي (1288 – 1916)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م.

- ـــــــــــ، و آخرون، العدوان الفرنسي على الجزائر، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954م الأبيار، الجزائر 2007م.

- غطاس عائشة، و آخرون، الدولة الجزائرية الحديثة و مؤسساتها، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954م، الأبيار الجزائر، 2007م.

- فركوس، صالح، الحاج أحمد باي قسنطينة (1826 – 1850)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م.

- فولكف، أولج، القاهرة مدينة ألف ليلة و ليلة (969 – 1969)، ترجمة أحمد صليحة الهيئة المصرية للكتاب، مصر، ب.ط،1986م.

- قاسم محمد، هاشم أحمد نجيب، التاريخ الحديث و المعاصر، دار المعارف، مصر ب.ط، ب.س.

- قداش، محفوظ، جزائر الجزائريين (1830 – 1954)، ترجمة محمد المعراجي المؤسسة الوطنية للاتصال و النشر و الإشهار، الجزائر، ب.ط، 2008م.

- قنان، جمال، دراسات في المقاومة و الاستعمار، منشورات المتحف الوطني للمجاهد الجزائر، ب.ط، ب.س.

- _____، _____، العلاقات الفرنسية الجزائرية (1790 – 1830)، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، ب.ط، 1999م.

- سبنسير، وليم، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب و تعليق د. عبد القادر زبادية الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، ب.ط، 1980م.

- سلطان، علي، تاريخ العرب الحديث (1516 – 1918)، منشورات طرابلس العلمية طرابلس، ب.ط، ب.س.

- السليماني، أحمد، النظام السياسي في الجزائر في العهد العثماني، مطبعة دحلب الجزائر، ب.ط، 1993م.

- سعد الله، أبو القاسم، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال، دار نافع للطباعة، مصر، ط2، 1976م.

- _____، _____، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، ج1، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط4، 1992م.

- ____، ______، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ب.ط، 1992م.

- ____، ______، مجادلة الآخر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2006م.

- ____، ______، خلاصة تاريخ الجزائر (1830 – 1962)، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط1، 2007م.

- سعيدوني، ناصر الدين، النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني (1792 – 1830)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1985م.

- سوليه، روبير، علماء بونابرت في مصر، ترجمة فاطمة عبد الله محمود و مراجعة ماهر طه و تصدير أنيس منصور، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، ط1، 2010م.

- سيار، جميل، تكوين العرب الحديث، دار الشروق، عمان، ط1، 1997م.

- السيد الراق، محمد عبد المنعم، الغزو العثماني لمصر و نتائجه على الوطن العربي إشراف أحمد أحمد الحتة، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ب.ط، ب.س.

- سيف الإسلام، الزبير، تاريخ الصحافة في الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر، ب.ط، 1971م.

- شبيكة، مكي، تاريخ وادي النيل (مصر و السودان) في القرن التاسع عشر، دار الثقافة بيروت، ب.ط، ب.س.

- شريط عبد الله، الميلي محمد مبارك، مختصر تاريخ الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، ب.ط، 1985م.

- شكري، غالي، عروبة مصر و امتحان التاريخ، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2 1981م.

- الشناوي، عبد العزيز، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج1، مكتبة لأنجلو المصرية، القاهرة، ب.ط، 1984م.

- ______، ______، صور من دور الأزهر في مقاومة الاحتلال الفرنسي لمصر في القرن الثامن عشر، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ب.ط، 1971م.

- شعيب، عبد المنعم، المختصر في تاريخ مصر من أقدم العصور حتى الاحتلال البريطاني، دار ابن زيدون، لبنان، ب.ط، ب.س.

- الهاشمي، عبد المنعم، الخلافة العثمانية، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2004م.

– هلال، عمار، أبحاث و دراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830 – 1962) ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م.

– هلايلي، حنيفي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى، الجزائر ط1، 2008م.

– ______، ______، بنية الجيش الانكشاري خلال العهد العثماني، دار الهدى،الجزائر ط1، 2007م.

– يحي، جلال، العالم الإسلامي الحديث و المعاصر، المكتب الجامعي الحديث الإسكندرية، ب.ط، ب.س.

– ______، ______، العالم العربي الحديث، دار المعارف، القاهرة، ب.ط، 1966م.

– يوسف، نسيم جوزيف، العدوان الصليبي على مصر، دار النهضة العربية، بيروت ب.ط، 1981م.

1.2.المقالات:

– بوضرساية، بوعزة، " موقف حاكم مصر علي باشا من الاحتلال الفرنسي للجزائر من خلال إحدى التقارير السرية الفرنسية"، مجلة الذاكرة، العدد الثالث،1995م.

– التميمي، عبد الجليل، " التفكير الديني و التبشيري لدى عدد من المسؤولين الفرنسيين في الجزائر في القرن التاسع عشر"، المجلة التاريخية المغربية، عدد 1، 1974م.

– المدني، أحمد توفيق، " من الوثائق العثمانية عن تاريخ الجزائر"، مجلة التاريخ، عدد 12، 1982م.

– غطاس، عائشة، " الوضع الصحي للجزائر خلال العهد العثماني"، مجلة الثقافة، عدد 76، 1983م.

– سعيدوني، ناصر الدين، " الأحوال الصحية و الوضع الديمغرافي بالجزائر أثناء العهد التركي"، مجلة الثقافة، عدد 92، 1986م.

– شويتام، أرزقي، " مواقف الدول من الاحتلال الفرنسي للجزائر"، مجلة الدراسات التاريخية، عدد 6، 1992م.

2.2.1.الرسائل الجامعية:

– برابح، محمد الشيخ، مواقف دول غرب المتوسط من الاحتلال الفرنسي للجزائر، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة الجزائر، 2007م.

– بنور، فريد، المخططات الفرنسية اتجاه الجزائر، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة الجزائر، 1999من.

– بوضرساية، بوعزة، الحاج أحمد باي، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة الجزائر، 1991م.

– بوغوفالة، ودان، الثورة الفرنسية و بونابرت في الكتابات المغاربية خلال القرن الثلث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر جامعة الجزائر، 2001م.

– تلمساني، بن يوسف، التوسع الفرنسي في الجزائر (1830 – 1870)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة الجزائر، 2005م.

– حسنة، كمال، العلاقات العثمانية الفرنسية في عهد السلطان سليم الثالث (1789 – 1807)، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2006م.

– زهرة، زكية، التنافس الفرنسي الانجليزي على الجزائر و موقف الباب العالي منه (1792 – 1830)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة الجزائر 1987م.

- محرز، أمين، الجزائر في عهد الأغوات (1659 – 1671)، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2006م.

- مسعودي، أحمد، الحملة الفرنسية على الجزائر و المواقف الدولية منها (1792 – 1830)، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث المعاصر، جامعة الجزائر، 2010م.

- بن عمار، مصطفى، الصراع في الجزائر في عهد الدايات (1671 – 1830)، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة الجزائر (2)، 2010م.

- عمريوي، فهيمة، الجيش الانكشاري بمدينة الجزائر خلال القرن 12ه/ 18م، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة الجزائر، 2009م.

- غربي، الغالي، الانتفاضات الشعبية في الجزائر في منتصف القرن الثامن عشر حتى الاحتلال الفرنسي، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة دمشق 1985م.

- قريتلي، حميد، البعد الديني في السياسة الفرنسية في الجزائر (1830– 1907)، مذكرة ماجستير في التاريخ المعاصر، جامعة الجزائر، 2010م.

- القشاعي موساوي، فلة، الصحة و السكان في الجزائر أثناء العهد العثماني و أوائل الاحتلال الفرنسي (1518 – 1871)، أطروحة دكتوراة دولة في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة الجزائر، 2004م.

- شدري معمر، رشيدة، العلماء و السلطة العثمانية في تاريخ الجزائر فترة الدايات (1671 – 1830)، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة الجزائر 2006م.

- شويتام، أرزقي، المجتمع الجزائري و فعالياته في العهد العثماني (1519 – 1830) أطروحة دكتوراة في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة الجزائر، 2005م.

3.2.1.المعاجم و الموسوعات:

– المصري، حسين مجيب، معجم الدولة العثمانية، مكتبة لأنجلو المصرية، القاهرة 1989م.

– بن نعيمة عبد المجيد، و آخرون، موسوعة أعلام الجزائر (1830 – 1954) منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954، الأبيار، الجزائر، 2007م.

– الشيخ أبو عمران، و آخرون، معجم مشاهير المغاربة، منشورات دحلب، الجزائر 2007م.

2. قائمة المصادر و المراجع باللغة الأجنبية:

2.1.قائمة المصادر:

- Esquer, Gabrial, La Price d' Alger, Libraire de la Rose, Paris, 1921.

- De Grammont, (H. D), Histoire d'Alger sous la domination turque (1519 – 1830), Le Roux, Paris, 1973.

- Haedo, Diego, Histoire des rois d' Alger, trduite et annoteé H.d De Grammont et présentation de Jocelyne Dakhlia, Jourdan, Alger, 1881.

- Juchereau, Le Bonder Denys, Histoire de l'empire Ottoman depuis 1792 jusqu' en 1844, Tome deux, imprimerie de Guiraudet et Jouaust Paris, 1844.

- Venture de Paradis, Jean Michél, Tunis et Alger au 18 éme siècle, éditions sindbad, Paris, 1983.

- Volney, Voyage en Egypte et en Syrie, Publie avec une introduction et des notes par Jean Gaulmier, Mouton la haie, Paris, 1959.

2.2.قائمة المراجع:

- Bainville, Jacques, Bonaparte en Egypte, édition Balland, paris, 1997.

- Battesti, Michèle, La bataille d'Aboukir 1798, éditions Economico Paris, 1998.

- Bernard, Jean Louis, Histoire secrète de l'Egypte, éditions Albin Michel, Paris, 1993.

- Bontent, Claude, Manuel des institutions Algériennes de la domination turque a l'indépendance, édition Cutas, Paris, 1976.

- Bret, Patrice, L'Egypte au temps de l'expédition de Bonaparte (1798 – 1801), Hachette, Paris.

- Egretaud, Marcel, Réalité de la nation Algérienne, éditions socials Paris, 1961.

- Ferkous, Salah, Aperçu de l'histoire de l'Algérie (814 – 1962), Dar el ouloum, Anaba, 2007.

- Julien, Charles André, Histoire de l'Algérie contemporaine la conquête et les débuts de la colonisation (1827 – 1871), édition Casbah, Alger, 2005.

- Laissus, Yves, L'Egypte une aventure savante (1798 – 1801), Fayard Paris, 1998.

- N, Weissman, Les janissaires étude de l'organisation militaire des Ottomanes, thèse pour le doctorat d'université a la faculté de letters de paris, Paris, 1980.

- Soleillet, Jean Bernardin, Cap sur Alger (Toulon 25 mai 1830) L'atlanthrope, Paris, 1980.

- Tarlé, Evguéni, Napoléon, Tome 1, éditions de Moscou, Ruse Quatrième édition, 1957.

الفهارس

فهرس الأعلام

أ

- إبراهيم آغا ص 57،64،65،66
- إبراهيم بك، ص 11،12،57،61،62،63
- أحمد باشا الجزار، ص 107.
- أحمد باي، ص 55، 63، 65، 95، 101 122، 132، 124.
- أحمد بوضرية، ص 69.
- أحمد الشريف الزهار، ص 67.
- أميدي، ص 117، 132.
- ابن إياس، ص 15.

ب

- البارون دو توت، ص 39.
- برتزين، ص 120، 121.
- برتيف أفندي، ص 87، 101.
- بليار، ص 114، 115.
- بوتان، ص 64.
- بولينياك، ص 51، 52، 91،92 93، 101، 102.
- بوشمب، ص 77.
- بول الأول، ص 79.

ت

- تاليران، ص 36، 50، 73، 74، 77.

ج

- الجبرتي، ص 14، 35، 46.
- جركس بك، ص 10.
- جيردان، ص 35، 46.

ح

- حسن بن عثمان خوجة، ص69.
- حسن فنزيانو، ص 22.
- حسن بن موسى، ص 117.
- حسين الداي، ص 41، 55، 56، 66 67، 69، 85، 86، 87، 100، 115 121، 131، 132.

خ

- خاير بك، ص 9.
- خسروا باشا، ص 84.
- خليل أفندي، ص 84، 85، 86،87 88.

- حمدان خوجة، ص 66، 131. - حميد باي، ص 92، 93، 94.	
د	**ر**
- دروفتي، ص 100. - دامريمون، ص 117. - دوبراسويتر، ص 54. - دوبيري، ص 51. - دوفال، ص 43، 86. - دوكليرفال، ص 88. - دومنيك مولتيد، ص 98. - دي برمون، ص 51، 53، 61، 63،64 69، 70، 90، 115، 116، 117 118، 130، 131، 132. - ديبوي، ص 82. - ديرلون، ص 121. - ديسكورش، ص 74. - ديكارسي، ص 41. - دي لافال، ص 53. - دي ليفرون، ص 100. - دي هوسي، ص 51.	- روفيقو، ص 121. - روفين، ص 75. - الريس أفندي، ص 78.
ط	**ك**
- طاهر باشا، ص 88، 89، 90، 91.	- كلوزيل، ص 118، 119، 120 122.

	- كليبر، ص 62، 110، 111، 112113. - كليرمون تونير، ص 46، 47. - كوبان، ص 35. - كولي، ص 43. - كومبري، ص 54.
ل	**م**
- لويس التاسع، ص 40، 47. - لينتز، ص 35.	- ماريني، ص 39. - محمد بن بكير باشا، ص 25. - محمد أبو الذهب، ص 11. - محمد بن زعموم، ص 116، 120. - محمد كريم، ص 59. - محمد باشا النشنجي، ص 10. - محمد علي، ص 88، 99، 100، 101، 102، 103، 125، 126، 129. - محمود الثاني، ص 77، 89. - مراد بك، ص 11، 12، 57، 61، 62، 63. - مصطفى بومزراق، ص 66، 67. - مصطفى رشيد باشب، ص 95. - مصطفى باشا، ص 108،109، 110. - الداي مصطفى، ص 97، 99. - مصطفى كاتب الداي، ص 68، 69.

	- مينو، ص 114، 115. - ميور، ص 39.
ن	**ع**
- نابليون، ص 37، 38، 39، 40، 41، 46، 49، 50، 54، 58، 59، 60، 61، 62، 63، 64، 69، 70، 73، 75، 76، 77، 81، 82، 96، 97، 98، 105، 106، 107، 108، 109، 110، 111، 114، 127، 128. - نامق باشا، ص 95. - نلس، ص 59، 60، 74.	- علي بك الكبير، ص 11. - ابن العنابي، ص 66.
ف	**ق**
- فوارول، ص 121. - فولني، ص 39	- قييومينو، ص 88، 91، 92، 94، 101.
س	**ش**
- سعيد علي أفندي، ص 75. - سليم الأول، ص 8، 15. - سليم الثالث، ص 72، 75، 77، 79، 80. - سليمان الحلبي، ص 113. - سليمان القانوني، ص 17. - سنان باشا، ص 11.	- شارل العاشر، ص 45، 46، 47، 48، 49، 118. - شوازيل، ص 39.

– سيدني سميث، ص 107، 109، 111.	
هـ	**ي**
– عايدو، ص 33. – هودير، ص 101.	– يحي آغا، ص 57. – يوسف باشا، ص 76، 114.

فهرس البلدان

ب	أ
- روسيا، ص 79. - بريطانيا، ص 80	- أمريكا، ص 39، 40، 47. - إنجلترا، ص 17، 36، 37، 38، 47 50، 52، 59، 68، 75، 77،78، 79 94، 97،128. - اسبانيا، ص 5، 118. - ايطاليا، ص 40، 55.
ج	ت
- الجزائر، ص 20، 21، 23، 24، 26 27، 28، 29، 30، 31، 32، 33 35، 36، 37، 40، 41، 42، 43 44، 45، 46، 47، 48، 49، 51 52، 53، 54، 55، 56، 57، 58 63، 64، 65، 68، 70، 72، 73 77، 83، 84، 85، 86، 87، 88 89، 90، 91، 92، 93، 94، 95 96، 97، 98، 99، 100، 101 102، 103، 115، 116، 117 118، 121، 124، 125، 130 132.	- تركيا، ص 106. - تونس، ص 47، 54، 90، 98، 100 124.
ر	د
روسيا، ص 9، 11، 40، 75، 77، 78، 79	- الدولة العثمانية، ص 8، 9، 10، 1112،

14، 15، 17،21، 24، 40، 52 54، 72، 73، 75، 76، 77، 78، 79 80، 81، 83، 84، 85، 87، 88، 91 92، 93، 94، 95، 96، 97، 98، 99 100، 102، 103، 105، 106، 110 111، 112، 117، 123، 124، 127 132.	80، 84، 85، 97.
ط	**م**
– طرابلس، ص 98، 100، 123.	– مراكش، ص 85. – مصر، ص 7، 8، 9، 10، 11، 12 13، 14، 15، 16، 17، 18، 19 20، 26، 35، 36، 37، 38، 39 40، 41، 45، 46، 48، 49، 51 52، 54، 56، 58، 59، 60، 62 63، 69، 72، 73، 74، 75، 78 79، 80، 81، 96، 98، 99، 101 111، 112، 114، 115، 124 125، 126، 127، 128، 129 130.
ن	**ف**
– نابولي، ص 80، 131. – النمسا، ص 9، 40، 77، 79، 80، 85.	– الفاتيكان، ص 42. – فارس، ص 31. – فرنسا، ص 12، 16، 17، 35، 3637، 38، 39، 40، 41، 42، 43

	44، 45، 46، 47، 50، 52، 53، 54، 55، 56، 58، 59، 68، 72، 73، 74، 75، 76، 77، 78، 79، 80، 83، 84، 85، 86، 87، 88، 91، 92، 93، 94، 95، 96، 97، 98، 99، 100، 101، 102، 103، 105، 109، 110، 111، 118، 121، 123، 124، 126، 129، 132.
س	**هـ**
– السنغال، ص 47. – سوريا، ص 63، 105.	– الهند، ص 36، 37، 38، 39، 47، 126، 128.

فـــهـــرس الأمـــاكـــن

ب	أ
- باريس، ص 50، 55، 75، 95، 110. - بالما، ص 63. - البليدة، ص116، 118، 119، 120 121. - بولاق، ص 112.	- أدرنة، ص 106، 107. - أزمير، ص84، 85. - الألزاس، ص 47. - أمبابة، ص 62، 114. - اسطاولي، ص 64، 65، 66. - اسطنبول، ص 11، 15، 73، 74 76، 77، 78، 83، 85، 87، 88 89، 91، 93، 94، 101. - الإسكندرية، ص 55، 59، 60، 61 62، 76، 77، 114، 129، 131.
ث	**ت**
- ثنية موزاية، ص 120.	- تلمسان، ص 122. - التيطري، ص 64، 65.
ح	**ج**
- حلب، ص 106.	- الجزر البريطانية، ص 50.
ر	**د**
- الرحمانية، ص 114. - الرملة، ص 105.	- دمشق، ص 106.

	– رشيد، ص 114.
ط	**ك**
– طولون، ص 50، 55، 58، 63، 90، 91.	– كريت، ص 59.
ل	**م**
– لندن، ص 95، 126. – اللورين، ص47.	– كريت، ص 59.
ص	**ع**
– لندن، ص 95، 126. – اللورين، ص 47.	– مالطا، ص 54،55، 58، 59، 75 96. – متيجة، ص 116، 121. – المدية، ص 64، 119، 120، 121. – المرسى الكبير، ص 117. – مرسيليا، ص 55. – منصورة، ص 40. – مورا، ص 84.
غ	**ف**
– الصعيد، ص 62.	– عكا، ص 106، 107، 108. – عنابة، ص 44، 93، 98، 117 118، 121.

	- عين شمس، ص 112.
ق	**س**
- القالة، ص 42، 44، 86، 98. - القاهرة، ص 62، 69، 70، 81، 82، 109، 112، 113، 114، 129. - القصبة، ص 53، 132. - القسطنطنية، ص 106. - قسنطينة، ص 64، 65، 93، 95، 98، 117، 121، 122، 123، 124. - أبي قير، ص 74، 96، 108، 109، 114.	- السويس، ص 128، 129. - سيدي خالف، ص 66. - سيدي فرج، ص 55، 56، 63، 64، 65. - سيناء، ص 105.
ش	**و**
- شبراخيت، ص 62، 63.	- وهران، ص 64، 117، 118.
ي	
- يافا، ص ،106.	

فهرس الموضوع

المقدمـــــة... 01

الفصل التمهيدي:

أوضاع مصر و الجزائر قبل الحملة الفرنسية

1.أوضاع مصر قبل الحملة الفرنسية 08

1.1. سياسيا 08

2.1.إقتصاديا 12

3.1. اجتماعيا 18

2. أوضاع الجزائر قبل الحملة الفرنسية 21

1.2. سياسيا 22

2.2. إقتصاديا 27

3.2. اجتماعيا 32

الفصل الأول:

الحملة الفرنسية على مصر و الجزائر

1. خلفيات الحملة الفرنسية على مصر و الجزائر............ 36

1.1. خلفيات الحملة الفرنسية على مصر 36

2.1. خلفيات الحملة الفرنسية على الجزائر 41

2. الاستعدادات للقيام و مواجهة الحملة الفرنسية 49

1.2. الاستعدادات الفرنسية للقيام بالحملة على مصر 50

2.2. الاستعدادات الفرنسية للقيام بالحملة على الجزائر........... 52

3.2. الاستعدادات الجزائرية للمواجهة الحملة الفرنسية 55

3. سير الحملة الفرنسية على الجزائر و مصر.............. 59

1.3. سير الحملة الفرنسية على مصر........................... 59

2.3. سير الحملة الفرنسية على الجزائر 64

الفصل الثانــي:

موقف الدولة العثمانية من الحملة الفرنسية على مصر و الجزائر

1.موقف الدولة العثمانية من الحملة الفرنسية على مصر و الجزائر ... 73

1.1.موقف الدولة العثمانية من الحملة الفرنسية على مصر........... 73

1.1.1. التحالف الدولي ضد فرنسا 79

2.1.1. صدى الموقف العثماني في مصر 82

2.1. موقف الدولة العثمانية من الحملة الفرنسية على الجزائر .. 84

2. موقف الجزائر من الحملة الفرنسية على مصر 97

3. موقف محمد علي من الحملة الفرنسية على الجزائر 100

الفصل الثالث:

انعكاسات الموقف العثماني على الوجود الفرنسي في مصر و الجزائر

1.محاصرة الجيش الفرنسي في مصر و نقله الحرب إلى الشام.. 106

1.1. عودة الجيش الفرنسي إلى مصر 109

2.1. عودة نابليون إلى فرنسا و تولي كليبر القيادة في مصر 111

3.1. عهد مينوو جلاء الفرنسيين عن مصر 115

2.الحملات التوسعية الفرنسية في الجزائر 116

3.نتائج الحملة الفرنسية على مصر و الجزائر 126

1.3.نتائج الحملة الفرنسية على مصر 126

2.3.نتائج الحملة الفرنسية على الجزائر 131

الخاتمة 134

الملاحق 138

قائمة المصادر و المراجع 153

الفهارس 168

فهرس الأعلام 169

فهرس البلدان 174

فهرس الأماكن 177

فهرس الموضوع 180